

الشيخ

عبد الرحمن بن قاسم

رحمه الله

١٢٩٢ - ١٣١٢ هـ

حياته وسيرته ومؤلفاته

اعداد

عبد الملك والقاسم

كتاب القاسم

دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ. (ح)
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القاسم، عبد الملك بن محمد
الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - رحمه الله - سيرته ومؤلفاته/ عبد الملك بن
محمد القاسم - ط٢.. الرياض، ١٤٣٥هـ
٣٥٠ ص، ١٧ * ٢٤ سم
ردمك: ٩١٣-٩-٥٣-٩٦٦٠-٩٧٨
١- ابن قاسم عبد الرحمن بن محمد ٢- الإسلام- تراجم أ- العنوان
ديوي ٩٢٢.٥٨ ١٤٣٥/١٧٩٤

رقم الإيداع: ١٤٣٥/١٧٩٤
ردمك: ٩١٣-٩-٥٣-٩٦٦٠-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
الطبعة الثانية: ١٤٣٥ - ٢٠١٤م

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

دار القاسم للنشر والتوزيع

المكتب الرئيس: هاتف: ٤٠٩٢٠٠٠ — فاكس: ٤٠٣٣١٥٠

فروع دار القاسم للنشر

الرياض: هاتف: ٤٤٥٠٤٥ — فاكس: ٤٤٥٣٠٤٥

جدة: هاتف: ٦٠٢٠٠٠٠ — فاكس: ٦٣٣٣١٩١

الدمام: هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ — فاكس: ٨٤١٣٠١١

بريدة: هاتف: ٣٢٦٢٨٨٨ — فاكس: ٣٦٩٢٨٨٨

خميس مشيط: هاتف: ٢٢٢٢٢٦١ — فاكس: ٢٢٢٣٠٥٠

www.dar-algasseem.com

sales@dar-algasseem.com

الشيخ عبد الرحمن بن قاسم

- رحمه الله -

حياته وسيرته ومؤلفاته

١٣١٢ هـ - ١٣٩٢ هـ

قال - صلى الله عليه وسلم - :
« لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته».

[رواه ابن ماجه]

* * *

قال ابن القيم - رحمه الله - في مدارج السالكين: «ولولا ضمان الله بحفظ دينه وتكفله بأن يقيم له من يجدد أعلامه ويحيي ما أماته المبطلون، وينعش ما أخمله الجاهلون، لهدمت أركانه وتداعي بنيانه ولكن الله ذو فضل على العالمين».

* * *

قالوا عنه . رحمه الله .

* «... عجبت من هذا الرجل؛ زرته في مرضه فوجدت عنده الكتب يقرأ ويُحرر...» .

الشيخ محمد بن إبراهيم

* * *

* «... هو الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المدقق المجتهد المتفنن...» .

الشيخ عبدالله بن جبرين

* * *

«الشيخ عبدالرحمن - رحمه الله - له باع طويل في فنون العلوم الشرعية في التوحيد وعلوم القرآن والحديث والفقه والفرائض والنحو، وله في هذه الفنون مؤلفات يعول عليها العلماء وطلاب العلم.» .

الشيخ عبدالرحمن البراك

* * *

«أعلم من في نجد (ابن قاسم) و(ابن سعدي)»

الشيخ حماد الأنصاري

* * *

* «... كان من أوعية العلم، جلدًا في سبيل الطلب، فقيهاً، نسابة مؤرخاً...» .

الشيخ بكر أبو زيد

* «... وكان - رحمه الله - من أرق من عرفت من العلماء نفساً،
والطفهم خلقاً، وأسخاهم يداً...».

الشيخ حمد الجاسر

* * *

* «... وكانت مجالسه مجالس علم وبحث، شيقة وممتعة للجلس،
وله نكت حسان، وعلى جانب كبير من الأخلاق العالية، وعنده غيره، وله
مكانة مرموقة وكلمة نافذة».

الشيخ محمد بن عثمان القاضي

* * *

* «... رأيت الشيخ عبدالرحمن بن قاسم فقيهاً في «حاشيته على
الروض»، ومحدثاً في كتابه «إحكام الأحكام»، وفرضياً في شرحه على
«الرحبية»، وأصولياً في «حاشيته على ثلاثة الأصول»، ونحوياً في «شرحه
للأجرومية»، وكان - رحمه الله - عالماً تقياً ورعاً زاهداً...».

الشيخ محمد بن إسماعيل المدني

* * *

* «... فقيه حنبلي، من أعيانهم في نجد...».

خير الدين الزركلي

* * *

* «... ما تمنيت رؤية أحد من العلماء مثل ما تمنيت رؤية جدك - رحمه
الله...».

الشيخ عبدالعزيز بن محمد السدحان

* * *

* « . . . لقد حفظ الشيخ عبدالرحمن للباحثين من المصادر والوثائق ما لا غنى لهم عنه في بابه، ولنا أن نتصور صعوبة أن يتصدى لها غيره؛ فهي فوق طاقة الفرد وإلا لضاع كثير منها بحيث لا تستطيع مراكز البحث الحديثة تداركه . . . » .

الدكتور على جواد

* * *

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد أعان الله ومنَّ عليَّ بالكتابة عن الجد؛ الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله - ولنفاذ الطبعة الأولى وحصولي على كثير من الاضافات. يسر الله الطبعة الثانية بالاضافات والإشارات التي يلحظها القارئ في مواضعها.

فنحن أمام شخصية فذة جمع الله لها من المواهب ما عز نظيره في غيره، فمن بحور العلم الشرعي، إلى سبر غور الأنساب ومعرفة القبائل، إلى ورع وخشية متناهية، مع ما جبل عليه من كرم، ثم هو في الجمع والتأليف تاج على رأس المشاريع العلمية الضخمة التي لا يقوم بها الأفراد بمفردهم، ولذا ظهرت في شخصيته المثابرة والصبر والمحافظة على الوقت.

وقد قال الإمام السخاوي - رحمه الله -: «إنَّ أحسن ما يجبُ أن يعتني به المؤرخ، بعد الكتاب والسنة، معرفة أخبار أهل العلم الذين يجب أن نتبع أثارهم، وندون مناقبهم وأخبارهم؛ ليكونوا وكأنهم ماثلون بين عينيك مع الرجال، ومعروفون بما هم متصفون، فيتلو سورهم من لم يُعاین صورهم، ويشاهد محاسنهم من لم يعطه السن أن يعاینهم، فيعرف بذلك مراتبهم ومناصبهم».

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا

وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها
وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
اسأل الله - عز وجل - أن يوفقني للصواب، وأن يجعل هذا الجهد من
البر بالآباء والعلماء.

د. عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن العلماء ورثة الأنبياء، مصايح الدجى وأعلام الهدى، حفظ الله بهم
الدين، وأثار السبيل، تضرب لهم أكباد الإبل، وتطوى لأجلهم الأرض
وتثنى لعلمهم الركب.

قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾
[المجادلة: ١١] قال ابن حجر: قيل في تفسيرها: «يرفع الله المؤمن العالم على
غير العالم؛ ورفعة الدرجات تدل على الفضل، ورفعتها تشمل المعنوية
في الدنيا لعلو المنزلة وحسن الصيت، وفي الآخرة برفع المنزلة في الجنة».
في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «العلماء ورثة الأنبياء» [رواه أحمد].

قال سفيان بن عيينة - رحمه الله - : «أرفع الناس عند الله منزلةً من كان
بين الله وبين عباده، وهم الأنبياء والعلماء».

قال الإمام الزهري: «لا أعلم بعد النبوة أفضل من العلم».

وقال - رحمه الله - : «ما عُبد الله بشيء أفضل من العلم».

وكان الإمام أحمد يرى المحابر بأيدي طلبة العلم فيقول: «هذه سُرج

الإسلام».

قال الإمام الآجري عن العلماء: «فلما أراد الله - تعالى - بهم خيراً

فقههم في الدين، وعلمهم الكتاب والحكمة، وصاروا سراجاً للعباد ومناراً

للبلاد».

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - في كتابه: الدعوة وأخلاق الدعوة: «والعلماء الذين أظهروا العلم هم خيرة الناس، وأفضلهم على وجه الأرض، وعلى رأسهم أئمة الرسل - عليهم السلام - والأنبياء، فهم القدوة، وهم الأساس في الدعوة والعلم والفضل، ويليهم أهل العلم على طبقات، فكل من كان أعلم بالله وبأسمائه وصفاته، وأكمل في العلم والدعوة كان أقرب الناس إلى الرسل ومن درجاتهم ومنازلهم في الجنة».

وبمنه وكرمه يسّر - عز وجل - لي المشاركة في الكتابة عن العلماء، فأخرجت كتاباً خاصاً بترجمة فضيلة الوالد - رحمه الله - بعنوان: (العالم العابد الشيخ محمد بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته) . . . (١).

ولقي - والله الحمد - قبولاً واسعاً وثناءً عاطراً، مع الطلب بأن أتم ما بدأت وأن أترجم لفضيلة الجد - رحمه الله - ؛ حداني إلى ذلك مرور زمن زاد على الأربعين عاماً لم تكتب عنه سيرة وافية، أو ترجمة مستقلة، وموت غالب أقرانه ومن عاصره، مع الرغبة في الأجر والثوبة في إحياء ذكره والتنويه عن سجاياه ومناقبه.

ناهيك عن حث العلماء وطلبة العلم - لأبنائه وأحفاده - بإخراج ترجمة عنه - رحمه الله - وتشوق كثير من شباب الاستقامة وسؤالهم عنه كثيراً مما يحرج المرء في عدم جمع ذلك في كتاب.

وقد طالب الشيخ عبدالعزيز السدحان بذلك مراراً مشافهة ومكاتبه، ومن ذلك ما كتبه في مجلة الدعوة العدد ١٤٤٦ عن الجد - رحمه الله - فقال: «. . . أن تدون سيرة الشيخ عبدالرحمن - رحمه الله تعالى - وما قام

(١) طبع في عام ١٤٢٣هـ من إصدارات دار القاسم، ويقع في مجلد عدد صفحاته ٤١٤ صفحة.

به من الجهد الدؤوب والعمل المتواصل حضراً وسفراً، وما نتج من ذلك من الجامعات والكتب والرسائل بالإضافة إلى بعض جوانب حياة الشيخ الأخرى الخاصة والعامّة؛ ذلك لأن تراجم مثل هؤلاء المتأخرين له من الأثر الشيء الكثير في نفوس طلبة العلم، ولقد حدثت غير واحد من أبناء وأحفاد الشيخ - رحمه الله تعالى - غير مرة - قديماً وحديثاً - في إخراج ترجمة للشيخ عبدالرحمن، تكشف لطلبة العلم المعاصرين والأجيال القادمة شيئاً من نشاطه العملي والعلمي والقلمي، فقد بلغني من بعض أبنائه وأحفاده عجائب من صبره وجلده».

فتشجعت لذلك، وفرّغت وقتي للبحث والسؤال حتى أعان الله ووفق بهذه الترجمة اليسيرة عنه - رحمه الله - .

وأعلم يقيناً أنني لم أتبع كل أحواله ولم أوفه حقه؛ ولعلها مقدمة لمن أراد أن يتم ويتوسع، وهي عقد جملته بما وجدت من نقولات، وأتمته بما سمعته وعرفته من أهل بيته ومعارفه .

وقد جعلتها في أبواب متتالية:

أولاً: نسبه ومولده ونشأته .

ثانياً: رحلته في طلب العلم وذكر مشايخه .

ثالثاً: علومه ومعارفه .

رابعاً: مؤلفاته مع إشارات مختصرة لها .

خامساً: حياته العملية وتلامذته .

سادساً: سجاياه وصفاته .

سابعاً: حياته الأسرية .

ثامناً: قصة مرضه ووفاته .

هذا وأسأل الله الكريم أن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأن يجعل هذا العمل من البرّ به . كما أسأله بمنه وجوده أن يجمعنا والدينا وذرياتنا في جنات النعيم^(١) .

د.عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم

(١) وقد قُدمت بعد طبع هذا الكتاب رسالتي ماجستير: الأولى في الجامعة الإسلامية لعبد الرحمن الطريف وعنوانها (جهود الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وأعماله الدعوية)، والآخرى في جامعة أم القرى لعبد الله الحربي وعنوانها (الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وجهوده في تقرير عقيدة السلف). وقد طبعتا فيما بعد في دار القاسم للنشر.

مدخل:

لما تأملت الفائدة التي ستتحقق - بإذن الله - من قراءة سير العلماء؛ ومع كثرة المحبين الذين يكررون بإلحاح كتابة ترجمة مستقلة للجد - رحمه الله - تصدرت لأمر أكبر من طاقتي، بذلت فيه وسعي، واستنفدت فيه جهدي وحسبي فيه جهد المقل والمشاركة في الأجر.

وقد قال ابن خلكان: «لكن ذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم ونقلت عنهم أو كانوا في زمني ولم أرهم ليطلع على حالهم من يأتي بعدي»^(١).

* وقد أفرد الأئمة مؤلفات ضخمة في كتابة السير والتراجم والمناقب؛ وإن كان - رحمه الله - قد فات الكثير رؤيته ومجالسته، وقصّر الإعلام في الكتابة عن حياته وسيرته، فلعل أن يجتمع للقراء مع علمه الموثق في مؤلفاته؛ سمته وأدبه ونزّر من حياته في هذه الكلمات... وقد نقلت لنا مواقف وعبر من حياة العلماء.

* فقد ذكر الإمام الذهبي - رحمه الله -: «أن مجلس الإمام أحمد - رحمه الله - كان يحضره خمسة آلاف، خمسمائة يكتبون، والباقون يستمدون من سمته وخلقته وأدبه»^(٢).

ولعل هذه المتفرقات التي جمعتها بداية غيث منهمر للكتابة عن العلماء والمُصلحين لنوفيهم بعض حقهم.

وأحسب أن الحمل على كاهلي ثقیل أنوء بحمله، ولا ضير، وقد استعنت بالله.

(١) مقدمة وفيات الأعيان ١ / ٢٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ١١ / ٣١٦.

❖ فقد ترجم القاضي أبو الحسن محمد بن أبي يعلى جده فقال: «وكان جدي أبو عبدالله قد درس على أبي بكر الرازي مذهب أبي حنيفة...»^(١).

❖ وترجم الإمام البخاري لوالده - رحمهما الله - فقال: «إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو الحسن، رأى حماد بن زيد وصافح ابن المبارك بكلتا يديه وسمع مالكا...»^(٢).

❖ ونقل ابن الجوزي في كتابه مناقب الإمام أحمد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل كثيراً من حياته وسيرته - رحمه الله - مثل قوله: «كان أبي يُصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته، فكان يُصلي في كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة، وقد كان قَرَبَ من الثمانين، وكان يقرأ في كل يوم سُبْعاً، يختم في كل سبعة أيام، وكانت له ختمة في كل سبع ليال سوى صلاة النهار، وكان ساعة يصلي العشاء الآخرة، ينام نومة خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو»^(٣).

❖ وقال أيضاً: «مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر يوماً وما ذاق شيئاً إلا مقدار ربع سويق في كل ليلة كان يشرب شربة ماء وفي كل ثلاث ليال يَسْتَفُّ حَفَنَةً من السويق، فرجع إلى البيت ولم ترجع إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر، ورأيت موقيه قد دخلا في حدقته»^(٤).

❖ وقال عبدالله بن أحمد: «سمعت أبي يقول: قدمت صنعاء أنا ويحيى ابن معين، فمضيت إلى عبدالرزاق في قريته، وتخلف يحيى، فلما ذهبت

(١) طبقات الحنابلة ٢/١٩٤.

(٢) التاريخ الكبير ١/٣٤٢.

(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٣٥٧.

(٤) تهذيب الكمال ١/٤٥٩.

أدق الباب، قال لي يقال تجاه داره: مه! لا تدق، فإن الشيخ يُهاب، فجلست حتى إذا كان قبل المغرب خرج، فوثبت إليه، وفي يدي أحاديث انتقيتها، فسلمت وقلت: حدثني بهذه، يرحمك الله، فإني رجل غريب. قال: ومن أنت؟ وزبرني، قلت: أنا أحمد بن حنبل، فتقاصر وضمني إليه، وقال: بالله أنت أبو عبدالله؟ ثم أخذ الأحاديث، وجعل يقرأها حتى أظلم»^(١).

* أما محمد بن محمد بدر الدين العامري الشافعي فقد ترجم لوالده في كتابه: (بلغة الواجد في ترجمة الشيخ الوالد).

* وقد ترجم للقاضي عياض ابنه محمد فقال عن نشأة والده: «نشأ أبي على عفة وصيانة، مرضي الحال، محمود الأقوال والأفعال، موصوفاً بالنبل والفهم والحذق، طالباً للعلم، حريصاً عليه، مجتهداً في طلبه»^(٢).

* وترجم القاضي أبو الحسن محمد بن أبي يعلى لوالده حيث قال: «الطبقة الخامسة تتضمن طرفاً من أخبار الوالد السعيد، ومولده ووفاته»^(٣).

* بل وكانوا يروون خواص أمورهم ودقائق حياتهم كما في ترجمة الإمام أحمد: قال صالح: قال أبي: «ثقت أمني أذني فكانت تصير فيهما لؤلؤتين، فلما ترعرعت، نزعتهما فكانتا عندها، ثم دفعتهما إليّ، فبعتهما بنحو ثلاثين درهماً»^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء ١١/١٩٢.

(٢) التعريف بالقاضي عياض ص ٦، وأزهار الرياض ٣/٧.

(٣) طبقات الحنابلة ٢/١٩٣.

(٤) سير أعلام النبلاء ١١/١٧٩.

* وقد أفرد العلماء تصانيف متعددة ككتب التراجم، فمنهم من أفرد ترجمة مستقلة عن إمام من الأئمة مثل الإمام الموفق بن أحمد المكي حيث أفرد ترجمة مستقلة في مناقب الإمام أبي حنيفة وأسماء «مناقب أبي حنيفة».

* وكذلك الإمام القاضي عيسى الزواوي أفرد مصنفًا مستقلًا في ترجمة الإمام مالك - رحمهما الله تعالى - .

وصنف الإمام ابن أبي حاتم الرازي كتاباً في الشافعي وسماه «آداب الشافعي ومناقبه».

* والإمام ابن الجوزي أفرد مصنفًا مستقلًا في مناقب الإمام أحمد - رحمهما الله - .

ونحا بعض أهل العلم منحى آخر، فأفردوا كتباً مستقلة في ترجمة طبقة معينة يشتركون في عصر أو قطر أو علم أو مذهب، فهناك من أفرد بعض أتباع المذاهب بمصنف مستقل مثل (الفوائد في تراجم الحنفية) لتقي الدين بن عبدالقادر الدارمي، و (الجواهر المضية في طبقات الحنفية) للقرشي. و(ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك) للقاضي عياض.

و(طبقات الشافعية الكبرى) للسبكي، و (طبقات الشافعية) لابن هداية الحسيني، (طبقات الحنابلة) للقاضي ابن أبي يعلى، و (الذيل على طبقات الحنابلة) لابن رجب، وذيل ابن عبدالهادي على طبقات ابن رجب.

* ومن أمثلة تصنيف التراجم على حسب العلم ونوع الفن والتخصص:

طبقات المفسرين: وقد صنف فيها الداودي، والسيوطي.

وطبقات المحدثين: مثل (طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها) لأبي الشيخ الأنصاري .

وطبقات الحفاظ: وقد صنف فيها الإمام الذهبي كتاباً سماه (تذكرة الحفاظ) .

وطبقات القراء: وقد صنف فيها الإمام الذهبي أيضاً كتاباً سماه (معرفة القراء الكبار)

وطبقات النحاة: وقد صنف فيها السيوطي كتاب (بغية الوعاة) .

وطبقات الأطباء: وصنف فيها ابن أبي أصيبعة، وهلم جراً .

ومنهم من أفرد علماء قطر معين ومن ذلك (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي، و(تاريخ دمشق) للحافظ ابن عساكر، و(تاريخ أو أخبار أصفهان) للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، و(تاريخ حلب) لابن العديم واسمه (بغية الطلب في تاريخ حلب)، و(تاريخ إربل) لابن المستوفي .

* ومن أمثلة تصنيف التراجم على حسب العصر:

(تاريخ الإسلام) للذهبي، و(الدرر الكامنة) لابن حجر، و(البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) للشوكاني، إلى غير ذلك من أنواع التراجم^(١) .

* ومن العلماء من ترجم لنفسه، فمن المتقدمين:

أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ضمن قدراً من نسبه في كتابه: (لغة الكبد)، والعماد الأصفهاني ترجم لنفسه في كتابه: (البرق الشامي)، وأبوشامة المقدسي ألف (كتاب الروضتين في أخبار الدولتين) وجعل له ذيلاً ترجم لنفسه فيه . والذهبي ترجم لنفسه في معجم شيوخه، وابن خلدون

(١) انظر كتاب الإمام ابن باز للشيخ عبدالعزيز السدحان - وفقه الله - .

ترجم لنفسه في (تاريخ العبر)، ومحمد بن محمد الجزري ترجم لنفسه في كتابه: (غاية النهاية في طبقات القراء) وابن حجر العسقلاني ترجم لنفسه في: (الدرر الكامنة) (ورفع الإصر) وغيرهما. وجلال الدين السيوطي ترجم لنفسه في كتابه (حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة).

* ومن المتأخرين: الشوكاني ترجم لنفسه في (البدر الطالع)، ومحمد بن عبدالله الألويسي ألف رسالة في ترجمته وسيرته، والطهطاوي، واللكنوي، ومحمد رشيد رضا، والبيطار، والشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ عبدالله بن جبرين، وغيرهم .

* ورحم الله الإمام النووي وهو يقول: «شيوخ الإنسان في العلم آباء في الدين وصلة بينه وبين رب العالمين فيقبح به جهلهم، وكيف لا يقبح جهل الأنساب وهم الوصلة بينه وبين ربه الكريم الوهاب؟».

وفي قراءة سير العلماء وتراجمهم فوائد عدة منها:

١ - بعث الهمم وتقوية العزائم في نفوس العلماء والمربين والشباب، بل والآباء والأمهات.

٢ - الترحم عليهم ومعرفة جهودهم وعلمهم.

٣ - مراعاة نعمة الله - عز وجل - في تسخير من يشاء من عباده لخدمة هذا الدين ونصر الكتاب والسنة في كل مكان وزمان، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

٤ - الوفاء لأعلام الهدى ومصايح الدجى في زمن الإعلام الفاسد الذي برز السفلة وحثالة القوم من المغنيين والراقصين وغيرهم.

٥ - حفظ النماذج المضيئة من حياة العلماء. فها هي سير (أعلام النبلاء) بيننا و(صفة الصفوة) تحكي حياة أولئك الأفاضل، قال أبو بكر بن

عياش: «... أهل السنة يبقون ويبقى ذكركم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكركم...».

٦ - الإقتداء بهم واقتفاء أثرهم في طلب العلم ونشره، وحسن المعشر وحلو الشمائل وطيب الخصال.

٧ - غزارة مؤلفاتهم - رحمهم الله - وكثرتها وأهميتها؛ مدعاة إلى الكتابة عنهم؛ فهم أعلام الإسلام والمسلمين ومن يشار إليهم بالبنان في ذلك.

٨ - محبة الرسول ﷺ ومعرفة شمائله، فهؤلاء ورثته أتوا بعد قرون طويلة وأحبينا ما فيهم من الخصال الحميدة والسجايا الجميلة؛ فكيف بمن بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً؟!.

٩ - بعد أن يسر الله وأخرجت كتاباً في ترجمة الوالد - رحمه الله - بعنوان: (العالم العابد)؛ فرح به العلماء وطلبة العلم وأثنوا على هذا النهج وهو ما شجعني على هذه الترجمة للجد - رحمه الله -.

١٠ - ما كان خاصاً بي من برِ والدي وجدي بعد موتهما والترحم عليهما.

وهذا وأسأل الله أن يجعل هذا العمل من البرّ بهما بعد موتهما، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم.

نسبه وولادته ونشأته

هو أبو عبدالله «الشيخ الإمام العالم العلامة العامل المحقق المدقق المجتهد المتفنن»^(١) : «عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن قاسم من آل عاصم من قحطان» (القبيلة المشهورة في نجد).

ومنشأ آل قاسم بلدة القصب من بلاد الوشم، ومنها تفرقوا إلى: رغبة والبير وثادق والروضة بالمحمل والحريق بالوشم.

وتوجد شجرة لآل قاسم وضع أصلها - رحمه الله - عام ١٣٤٦هـ.

ووالده محمد توفي عام ١٣٤٢هـ، وكان إذا سمع الأذان يقول: «الله من يوم يأتي مانسمع فيه الأذان» (يعني الموت).

وجده «عبدالله بن قاسم» فارس شجاع عُرف بذلك، قتل ظلماً و غدرًا خارج بلدته حيث كان يرافق بسلاحه من يذهب من بلدته إلى القرى المجاورة.

له ملك زراعي من أفضل مزارع البلد. وقد ذكر الجد الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في رسالة بعث بها في تاريخ ٣/ ١١/ ١٣٧٥هـ إلى عبد الله بن حمد

بن منيع نزيل مدينة الزلفي ما نصه: وكنت في الماضي اتفقت بالشيخ العنقري وفيصل بن حشر في الرياض وأخبرنا أنه يعرف هو وغيره أجدادنا وأجداده

جداً جداً إلى عاصم نجمع بأهل الهياثم في اثني عشر جداً...»^(٢).

ووالدته هي (هيا بنت عباد)^(٣) بن حمد بن علي بن محمد بن حمد

(١) مقدمة الشيخ عبدالله بن جبرين على حاشية الروض ٣/١.

(٢) انظر ص ١٧٢.

(٣) وهي عمّة الشيخ: محمد بن عبدالرحمن بن عباد، ت ١٣٨٠هـ له كتاب (دواء القلوب المقرب إلى علام الغيوب).

العباد^(١)) ووالدتها عمته (سلمى بنت عبدالرحمن بن محمد بن قاسم) وكانت ذات يسار وأملاك ورثتها في بلدان (البيير وحرملاء والصفرة) وكانت تدفعه إلى طلب العلم، وترسل له ما يحتاج (ووصيتها التي كتبت في عام ١٣١٧هـ تُنبئ عن ذلك).

ويُذكر أنّ محمد بن عبدالله بن زومان - أمير بلدة البيير في حينه، وهو من أخواننا، كان حريصاً على طلب الجد عبدالرحمن للعلم، حيث قال لأمه: «أقرئي ولدك القرآن...». ولما حفظ القرآن، قال لها: «ادفعيه لطلب العلم...». وللجد مزرعة في البيير عامرة بالنخيل جزء منها ورثها من آبائه، والباقي غرسه هو وأولاده، تزيد عن ٧٥٠ نخلة.

✽ وله أخوان هما:

✽ العم الشيخ (عبدالعزیز بن محمد)، ولد عام ١٣٣٧هـ وهو أخ للجد من أبيه، فوالدته ابنة (محمد بن عبدالله بن راشد) درس في معهد إمام الدعوة بالرياض، وتخرج في كلية الشريعة بالرياض عام ١٣٨٣هـ وعمل بعد تخرجه مدرساً للعلوم الشرعية في المرحلة الثانوية حتى تقاعد عام ١٤٠٢هـ. توفي - رحمه الله - ليلة الأثنين ٢٩ / ١٠ / ١٤٢٧هـ أثر اجراء عملية جراحية له.

✽ (عبدالله بن محمد) وهو أخ للجد من أبيه، ووالدته من عائلة الحماد كان عابداً صالحاً توفي في شبابه، قال عند موته: «الدنيا لا تساوي بته^(٢)، ولو أعلم أن هذا عمري لجعلته سجدة».

(١) الشيخ (محمد بن حمد بن عباد) ت ١١٧٥هـ عاصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب وبينهما مراسلات، وقد تولى عام ١١٥٤ قضاء ثرمداً حتى وفاته وهو صاحب كتاب (تاريخ ابن عباد).

(٢) البتة: رجيع الغنم.

* وله - رحمه الله - أخت لأب هي (منيرة)، والدة فضيلة الشيخ إبراهيم بن محمد السلیمان (١٣٣٣ - ١٤٠٢هـ).
 * وله أخت من أب؛ شقيقة للعم الشيخ (عبدالعزیز بن محمد) هي «سارة بنت محمد» تزوجها ناصر الزومان، ولما مات عنها تزوجها عبد الرحمن بن يحيى بن سعد الزومان، ولم تنجب منه. توفيت - رحمها الله - في شهر جمادى عام ١٤٢٢هـ وكانت عابدة قارئة للقرآن، صاحبة قيام طويل تقوم أول الليل وآخره، ولما أدركها مرض الموت كانت ثابتة ثباتاً عجيباً ملفتاً للنظر، وكانت تتمثل حديث النبي ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب لقاءه».

* وفي هذا البيت الذي عرف أهله بالدين والصلاح والاستقامة ولد الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم - رحمه الله - عام ١٣١٢هـ^(١) في بلدة (البير) التي تقع على بعد ١٢٠ كلم، شمال الرياض مجاورة لبلدتي ثادق وحرملاء، فنشأ بها، وأخذ مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن مجوداً وهو في سن صغيرة لم يتجاوز التاسعة من عمره.

(١) وقيل ولد عام ١٣١٩هـ، والأظهر أنه ولد في التاريخ المذكور أعلاه، وهو ما ذكره أخوه العم عبدالعزیز بن محمد، وما أقره الوالد - رحمهما الله - وكذلك العم الشيخ سعد، وكذلك الشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله - عند ترجمته للجد في (حاشية الروض)، وهو ما استقر عليه الأمر فجعل على أغلفة كتبه التي طبعت.

شيوته

بعد أن تلقى العلوم الأولية من أهل بلده وما جاورها وحفظ كتاب الله - عز وجل - عن ظهر غيب في سن مبكرة؛ حيث ذكر - رحمه الله - أنه حفظ القرآن وعمره تسع سنوات. تافت نفسه إلى التطلع من العلم الشرعي كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «وأكمل أنواع طلب العلم أن تكون همة الطالب مصروفة في تلقي العلم الموروث عن النبي ﷺ وفهم مقاصد الرسول في أمره ونهيه وسائر كلامه واتباع ذلك وتقديمه على غيره».

* سمت همته إلى طلب العلم خارج بلده، فرحل - رحمه الله - إلى موطن العلماء في عصره حيث سافر إلى الرياض قبله العلماء في حينه، وتلقى العلم على أيدي جملة من العلماء فيها، ومن أشهرهم العلامة الشيخ (عبدالله بن عبداللطيف) وتلقى عنه علوم التوحيد والعقائد والتفسير والحديث والفقه وغيرها، ولازم الشيخ (عبدالله العنقري) فكان من أخص تلاميذه، كما أخذ عن الفقيه (محمد بن محمود) الفقه والفرائض، ودرس كذلك على الشيخ (سعد بن عتيق) والشيخ (سليمان بن سحمان) التوحيد والحديث، كما درس على الشيخ (حمد بن فارس) علوم اللغة وغيرها ودرس أيضاً على الشيخ (عبدالله بن راشد) والشيخ (محمد بن مانع).

* قال الشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله -: «اشتهر هذا الشيخ في وسط القرن الرابع عشر الهجري، حيث رزقه الله - تعالى - الفهم والعلم الصحيح، والصبر وقوة الجلد على التعب في جمع العلم، فأدرك

الكثيرين من مشايخ أئمة الدعوة، منهم الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، والشيخ محمد بن عبداللطيف، والشيخ حسن بن حسين، ونحوهم من سلالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأدرك بعض تلاميذهم الذين اشتهروا بالعلم والفضل، منهم الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس، والشيخ سليمان بن سحمان، والشيخ محمد بن محمود، والشيخ عبدالله بن راشد، ومن في زمانهم، وقد نهل من العلم وتروى من معينهم، حتى اشتهر بينهم بالتفوق والتقدم على زملائه، ونبغ في شتى العلوم كالفقه والتوحيد والعقيدة والنحو وغيرها^(١).

قال الشيخ عبدالله البسام - رحمه الله -: «... فأجاد هذه العلوم إجابة تامة»^(٢).

وقال الشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله -: «... فواصل دراسته وجد واجتهد في التعليم بعد أن ذاق حلاوة العلم، وأدرك من نفسه إقبالاً كلياً على القراءة والحفظ والاستفادة حتى فاق أقرانه...»^(٣).

* وكان يقول عن الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمهما الله -: «شيخي» وقد سألت فضيلة الوالد هل قرأ الجد على الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - كتاباً معيناً؟ فقال: «هو من أقرانه ولم يقرأ عليه، إنما كان يحضر أحياناً دروسه لتلاميذه ومجالس علمه، وقرأ عليه ما جمعه من رسائل علماء نجد وغيرها» وكان الجد يحبه ويجلّه ويسميه «شيخي».

(١) من رسالة كتبها في ٤/٥/١٤٢٦هـ بعنوان (ما عرفته عن شيخنا عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى -).

(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون ٣/٢٠٣.

(٣) حاشية الروض ٣/١.

وقال المؤرخ عبد الرحمن الرويشد: وكان الشيخ محمد بن إبراهيم يحب الشيخ عبد الرحمن محبة الأب لابنه، ويستفيد منه، وكان الشيخ عبد الرحمن يحضر بعض دروس الشيخ محمد ولا يفتح عنده كتاب، بل يجلس مع عامة الطلاب.

* قال الشيخ محمد بن عثمان القاضي: «وكان مشايخه معجبين بفرد ذكائه ونبله، وكان كثير المطالعة في كتب الفروع والأصول والعربية، لا يسأم منها، وأكب على كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم، فكانت كتبهما صبوحة وغبوقه، وأدرك بسببهما إدراكاً تاماً، وكان قوي الحفظ سريع الفهم ذا موهبة وجواب حاضر على البديهة، نبغ في فنون عديدة حتى صار مثار الإعجاب بين جلسائه»^(١).

* قال الشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله -: «... ولم يزل مكباً على الدراسة والحفظ والاستفادة حتى حصل على جانب كبير في أكثر العلوم وتضلّع في علم التوحيد والفقّه والحديث ونحوها من العلوم الدينية...»^(٢).

واستمرت مطالعاته ومحبه للكتب حتى عندما كبر ومرض وساءت صحته.

* قال الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله -: «عجبت من هذا الرجل زرته في مرضه، فوجدت عنده الكتب يقرأ ويحرر»^(٣).

وكأنني به - رحمه الله - يقتدي في ذلك بأئمة السلف، قال صالح بن أحمد ابن حنبل: «رأى رجل مع أبي محبرة، فقال له: يا أبا عبدالله، أنت

(١) روضة الناظرين ١/٣٣٤.

(٢) حاشية الروض ١/٣.

(٣) تاريخ من لا ينسأه التاريخ للشيخ إسماعيل بن عتيق ص ٦١.

قد بلغت هذا المبلغ، وأنت إمام المسلمين! يعني: ومعك المحبرة تحملها؟
فقال: «مع المحبرة إلى المقبرة».

وقال عبدالله بن محمد البغوي: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل
يقول: «أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر»^(١).

وقال سهل بن عبدالله: «اجتهدوا أن لا تلقوا الله إلا ومعكم
المحابر»^(٢).

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٣١ .

(٢) شذرات الذهب ١٨٢/٢ .

مؤلفاته

تنوعت معارفه وعلومه ومؤلفاته، وكتب في فنون العلوم الشرعية والعربية وغيرها حتى ذاع صيتها، وانتشر أثرها، وحُمد عملها، ومن أشهر مؤلفاته:

- ١ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (٣٧) مجلداً.
- ٢ - الدرر السنية في الأجوبة النجدية، (١٦) مجلداً.
- ٣ - حاشية الروض المربع، (٧) مجلدات.
- ٤ - متن أصول الأحكام، (مجلد).
- ٥ - شرح أصول الأحكام، (٤) مجلدات.
- ٦ - حاشية كتاب التوحيد، (مجلد).
- ٧ - حاشية ثلاثة الأصول، (مجلد).
- ٨ - حاشية الدررة المضية، (مجلد).
- ٩ - السيف المسلول على عابد الرسول، (مجلد).
- ١٠ - مقدمة في أصول التفسير، (مجلد).
- ١١ - حاشية مقدمة التفسير، (مجلد).
- ١٢ - حاشية مقدمة الرحبية، (مجلد).
- ١٣ - حاشية الآجرومية، (مجلد).
- ١٤ - وظائف رمضان، (مجلد).
- ١٥ - تحريم حلق اللحية، كتيب لطيف.
- ١٦ - ملخص الفواكه العديدة في المسائل المفيدة، (مجلدين).
- ١٧ - كتاب التاريخ، (مجلدين).

وهناك كتب أخرجهما - رحمه الله - سوف أذكر بعضها مختصرة في مظانها عند الحديث بالتفصيل عن مؤلفاته .

وصدق علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عندما قال: «العلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأثارهم في القلوب موجودة»^(١) .

* وتنقسم المؤلفات التي أخرجهما إلى ثلاثة أقسام من حيث زمن الطباعة:

فالأول من المؤلفات: الكتب التي طبعت في حياته كاملة مثل: (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) و(حاشية ثلاثة الأصول) وغيرهما .

والقسم الثاني: لم يطبع في حياته وطبع كاملاً بعد وفاته مثل: (حاشية الروض المربع) و(حاشية كتاب التوحيد) وغيرهما .

والقسم الثالث: مؤلفات طبعت في حياته، ثم أضاف إليها إضافات أخرى وطبعت هذه الإضافات في المطبوع بعد وفاته مثل (الدرر السنية في الأجوبة النجدية)، الطبعة الأخيرة (١٦) مجلداً . وكتاب (الإحكام شرح أصول الأحكام) حيث طبعت الأجزاء الثلاثة الأولى في حياته والمجلد الرابع بعد وفاته .

فرحمه الله وأجزل مثوبته، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأوفره .

(١) جامع بيان العلم وفضله ٦٨/١ .

علومه ومعارفه

تنوعت معارفه وعلومه - رحمه الله - وله في كل فن جهد مشكور من المؤلفات، وماذاك إلا من توفيق الله - عز وجل - ثم بتبحره في العلوم تبحراً فاق أقرانه وظهرت آثاره.

قال الشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله - عن صفاته التي أعانته على ذلك أنه كان: «... حسن الخط سريع الكتابة. فنسخ بيده شيئاً كثيراً، وورقه الله الصبر والقوة بحيث لا يعتريه ملل ولا سآمة، فأكب على المطالعة والبحث والاستفادة والتنقيب عن أفراد المسائل وأماكن الأدلة حتى نال ما تمناه...»^(١).

وهو كما قال الشيخ محمد بن إسماعيل المدني: رأيت الشيخ عبدالرحمن بن قاسم فقيهاً في (حاشيته على الروض)، ومحدثاً في كتابه (أحكام الأحكام) وفرضياً في شرحه على (الرحبية)، وأصولياً في (حاشيته على ثلاثة الأصول) ونحوياً في شرحه (للأجرومية) ثم قال: «وكان - رحمه الله - عالماً تقياً ورعاً زاهداً».

✽ وقال الشيخ عبدالله بن بسام - رحمه الله -: «... وكان له ولع بالتاريخ والأنساب والجغرافيا واشتغل بها مدة وجمع الشيء الكثير في ذلك...»^(٢).

(١) حاشية الروض ٣/١.

(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون ٢٠٣/٣.

* . . . وكان إلى جانب تضلعه في العلوم الدينية والعقائدية والتاريخية، كان له أيضاً إلمام كبير بالنواحي السياسية والاجتماعية^(١).

* قال الشيخ عبدالرحمن البراك - حفظه الله -: «الشيخ عبدالرحمن - رحمه الله - له باع طويل في فنون العلوم الشرعية في التوحيد وعلوم القرآن والحديث والفقه والفرائض والنحو، وله في هذه الفنون مؤلفات يعول عليها العلماء وطلاب العلم»^(٢).

* ومن تأمل جمال أسلوبه وسلاسته وبعده عن التشدق والتكلف رأى أن الله جمع له مع علمه وسعة اطلاعه صفاء العبارة ودقيق اختيارها، يقول - رحمه الله -: «إثبات المسألة بدليلها تحقيق، وبدليل آخر تدقيق، والتعبير عنها بفائق العبارة ترفيق، وبمراعاة علم المعاني والبديع في تركيبها تنميق، والسلامة فيها من اعتراض الشرع توفيق، ونسأل الله بأسمائه الحسنى الهداية والتوفيق، لما اختلف فيه من الحق إلى أقوم طريق»^(٣).

* وقد ذكر أحد طلبة العلم أن الشيخ حماد الأنصاري - رحمه الله - علامة المدينة قال: «أعلم من في نجد (ابن قاسم) و(ابن سعدي)».

* قال أبو المعالي عن الإمام البيهقي: «ما من شافعي إلا وللشافعي عليه منة إلا أبا بكر البيهقي، فإن له المنّة على الشافعي، لتصانيفه في نصرته مذهبه»^(٤).

وأحسب أن كل حنبلي في عنقه دين للإمام أحمد وشيخ الإسلام ابن تيمية إلا الجد والوالد - رحم الله الجميع - فقد أديا بعض هذا الدين بحفظ

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ٢٠٣/٣

(٢) من رسالة كتبها - حفظه الله - في ٢٩/٥/١٤٢٦هـ .

(٣) حاشية الروض المربع ٩/١ .

(٤) تذكرة الحفاظ ٣/١١٣٣ .

علوم ومعارف هذين الإمامين. بل ولأئمة الدعوة السلفية في نجد بنشر مؤلفاتهم.

* وقد نفع الله بعلمه وبارك في أوقاته، فصنف عدة كتب في مختلف الفنون، قال الشيخ عبدالله بن بسام: «... وقد طبع أغلب هذه المؤلفات والمختصرات وانتفع بها طلاب العلم، وتداولوها، ورأوا فيها سهولة وتبسيطاً للعلوم عن الكتب المطولة»^(١).

* قال الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق - حفظه الله -: «أما الشيخ عبدالرحمن فقد تفرغ للجمع والتأليف مما أغنى المكتبات العلمية بالكتب والمؤلفات، أذكر أننا لا نقرأ من الكتب والشروح غير ما كتبه الشيخ عبدالرحمن بن قاسم للأجرومية والرحبية وثلاثة الأصول، وكانت هذه الكتب رائجة رواج كتب أئمة الدعوة وبالأخص في الرياض وتلامذة هذه المدرسة»^(٢).

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ٢٠٤/٣ .

(٢) من رسالة كتبها فضيلته مشكوراً في ٢٤/١١/١٤٢٥هـ .

مؤلفاته، و طرف مما ذكر حولها

مَجْمُوع

فتاوى

شيخ الإسلام أحمد محمد بن تيمية
(قدس الله روحه)

تجمع وترتيب الفقير إلى الله
عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي التجدي البجلي، رحمه الله،
وساعدته ابنته محمّدة وفقه الله.

إن هذا المجموع المبارك: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» لابن قاسم هو غرة في جبين الدهر، زينة لأهل الإسلام، لسان صدق للعلماء، عمدة للباحثين، نفع الله به أروما بعد آخرين، وقد انتشر في العالمين انتشار العافية، وكتب له من القبول والانتشار ما يعز نظيرة في جهود المتأخرين فالحمد لله رب العالمين». الشيخ / بكر أبو زيد

١. كتاب:

«مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ويقع في (٣٧) مجلداً.

ذكر فضيلة الجد - أجزل الله له الأجر والثوبة - أنه عثر على بعض مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية أثناء جمعه لرسائل علماء نجد، فواصل البحث في المكتبات القريبة والبعيدة بمساعدة فضيلة الوالد (محمد) - رحمهما الله - وقد تكبدا في سبيل جمعها من الشدة والمشقة ما يرجى لهما جزيل البر والأجر عند الله، وقد رتبها وقسمها فنوناً وأبواباً، وأضاف إليها المطبوع من الرسائل الصغيرة والفتاوى، فبلغت خمسة وثلاثين مجلداً احتوت على علم جم لا يقدر قدره، ثم عمل عليها الوالد - رحمه الله - فهرساً مفصلاً كان كالتقريب لها ويقع في مجلدين ضخمين.

* قال الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله -: «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - هي أعظم عملٍ تفاخر به بلادنا»^(١).

وقد حوى «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» العديد من كتب العقيدة والرسائل والمسائل العقدية، وأجزاء العقيدة والتوحيد، والفقه، والأصول، والحديث، والتفسير، وغيرها من العلوم الأخرى في (٣٧) مجلداً وهي:

- المجلد الأول: توحيد الألوهية، وعدد صفحاته (٤٠٥) صفحات.
- المجلد الثاني: توحيد الربوبية، وعدد صفحاته (٥٢٤) صفحة.
- المجلد الثالث: مجمل اعتقاد السلف، وعدد صفحاته (٤٧١) صفحة.
- المجلد الرابع: مفصل الاعتقاد، وعدد صفحاته (٥٧٩) صفحة.
- المجلد الخامس: توحيد الأسماء والصفات، وعدد صفحاته (٦٠٧) صفحات.

(١) كتاب ميراث الصمت والملكوت لعبد الله الهدلق ص ٤٧.

- المجلد السادس: توحيد الأسماء والصفات، وعدد صفحاته (٦٢٧) صفحة.
- المجلد السابع: الإيمان، وعدد صفحاته (٧٠٨) صفحة.
- المجلد الثامن: القدر، وعدد صفحاته (٥٧٢) صفحة.
- المجلد التاسع: المنطق، وعدد صفحاته (٣٣٦) صفحة.
- المجلد العاشر: علم السلوك، وعدد صفحاته (٧٩٣) صفحة.
- المجلد الحادي عشر: التصوف، وعدد صفحاته (٧٢٨) صفحة.
- المجلد الثاني عشر: القرآن كلام الله، وعدد صفحاته (٦٢١) صفحة.
- المجلد الثالث عشر: مقدمة التفسير، وعدد صفحاته (٤٤٥) صفحة.
- المجلد الرابع عشر: التفسير، من سورة الفاتحة إلى سورة الأعراف، وعدد صفحاته (٥٢١) صفحة.
- المجلد الخامس عشر: التفسير، من سورة الأعراف إلى سورة الزمر، وعدد صفحاته (٤٧٠) صفحة.
- المجلد السادس عشر: التفسير، من سورة الزمر إلى سورة الإخلاص، وعدد صفحاته (٦٢٠) صفحة.
- المجلد السابع عشر: التفسير، من سورة الإخلاص والمعوذتين، وعدد صفحاته (٥٤٩) صفحة.
- المجلد الثامن عشر: الحديث، وعدد صفحاته (٤٠٦) صفحة.
- المجلد التاسع عشر: أصول الفقه، الاتباع، وعدد صفحاته (٣٢٨) صفحة.
- المجلد العشرون: أصول الفقه، التمهيد، وعدد صفحاته (٦١٤) صفحة.

- المجلد الواحد والعشرون: الفقه، الطهارة، وعدد صفحاته (٦٧٠) صفحة.
- المجلد الثاني والعشرون: الفقه، الصلاة، وعدد صفحاته (٦٥٦) صفحة.
- المجلد الثالث والعشرون: الفقه، من سجود السهو إلى صلاة أهل الأعدار، وعدد صفحاته (٤٣٥) صفحة.
- المجلد الرابع والعشرون: الفقه، من صلاة أهل الأعدار إلى الزكاة، وعدد صفحاته (٤٠٠) صفحة.
- المجلد الخامس والعشرون: الفقه، الزكاة والصوم، وعدد صفحاته (٣٥٠) صفحة.
- المجلد السادس والعشرون: الفقه، الحج، وعدد صفحاته (٣٢٥) صفحة.
- المجلد السابع والعشرون: الفقه، الزيارة، وعدد صفحاته (٥٢٧) صفحة.
- المجلد الثامن والعشرون: الفقه، الجهاد وعدد صفحاته (٦٩٥) صفحة.
- المجلد التاسع والعشرون: الفقه، البيع، وعدد صفحاته (٥٩٠) صفحة.
- المجلد الثلاثون: الصلح إلى الوقف، وعدد صفحاته (٤٦٢) صفحة.
- المجلد الواحد والثلاثون: الوقف إلى النكاح، وعدد صفحاته (٤١٦) صفحة.
- المجلد الثاني والثلاثون: النكاح، وعدد صفحاته (٣٩٣) صفحة.

- المجلد الثالث والثلاثون: الطلاق، وعدد صفحاته (٢٦٣) صفحة .
- المجلد الرابع والثلاثون: الظهار إلى قتال أهل البغي، وعدد صفحاته (٢٧١) صفحة .
- المجلد الخامس والثلاثون: قتال أهل البغي إلى الإقرار، وعدد صفحاته (٤٨٧) صفحة .
- المجلد السادس والثلاثون: الفهارس العامة والتقريب، وعدد صفحاته (٤٦٨) صفحة .
- المجلد السابع والثلاثون: الفهارس العامة مع التقريب، وعدد صفحاته (٥١٢) صفحة .
- * وهذا المجموع العظيم الذي بلغ (٣٧) مجلداً في (١٨ ٨٣٥) صفحة، أقرب من يتحدث عنه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بقوله: «وعند المسلمين من العلوم الإلهية الموروثة عن خاتم المرسلين ما قد ملأ العالم نوراً وهدى»^(١).
- * وقد أمضى الجد والوالد - رحمهما الله - أكثر من أربعين عاماً في جمعه وترتيبه وطبعه، وقد لاقوا في سبيل ذلك من العناء والمشقة ما أحسب أن يكون رفعة لهما وذخرا.
- فقد عانيا أولاً: من كثرة السفر، والبحث عن المخطوطات، وترك الأهل والأبناء ومفارقة الأوطان مع قلة الزاد، ثم ثانياً: في قراءة وفك خط شيخ الإسلام حيث إنه - قدس الله روحه - كان سريع الكتابة، وكان خطه في غاية التعليق والإغلاق وبعضه بدون نقط ولا تكاد تظهر حروفه، وقد أشكلت على تلميذه ابن الوردي فيدعو تلميذه أبا عبدالله بن رشيق المغربي لعله.

وكان إغلاق خط شيخ الإسلام مدعاة إلى إهمال كتبه وعجز الكثيرين عن قراءتها وفك رموزها، يقول ابن عبد الهادي: «كان كثيراً ما يقول: كتبت في كذا وكذا، أو يسأل عن الشيء فيقول: قد كتبت في هذا، فلا يدري أين هو؟ فيلتفت إلى أصحابه ويقول: رُدُّوا خطي وأظهروه لينقل، فمن حرصهم عليه لا يردونه، ومن عجزهم لا ينقلونه، فيذهب ولا يعرف اسمه». ثم عانوا ثالثاً: من طبعه ومراجعتة وتصحيحه سنوات طويلة.

* وكان لدى فضيلة الوالد - رحمه الله - مجموعة من المخطوطات بخط شيخ الإسلام - رحمه الله - منها قاعدة «في الاستحسان» ولم يستطع إدخالها في مجموع الفتاوى لاستغلاق خطها.

وبعد حين حلها شيئاً فشيئاً حتى طبعها ضمن **المستدرك على مجموع الفتاوى**.

* قال الوالد - رحمه الله - في بدايات الجمع: «عندما جمعنا بعض الفتاوى أخبر الأمير مساعد بن عبدالرحمن الملك فيصل، فاستعد لطبعها، فما كان من الملك سعود إلا أن أرسل للوالد يطلبه في الناصرية وكانت - مقرر حكمه - فقال - رحمه الله -: عندكم محمد.

قال الوالد: فذهبت إلى الناصرية وقابلت يوسف ياسين - وزيراً لدى الملك سعود - واتفقنا على طريقة التمويل والطبع، قال الوالد: لما استقر الأمر أن تطبع في مطابع الرياض ذهبت للمطابع، وقابلت الشيخ حمد الجاسر ورفضت توقيع العقد معهم إلا بعد أن يتم توفير (حروف) جديدة للفتاوى. (وكانت طريقة الصف تتم بتجميع الحروف مع بعضها ورصها). فرفض الشيخ حمد الجاسر، وقال: هذه تكفي. قال الوالد: فرفضت، وانتهى الأمر إلى حل ذكرته له، وهو أن أذهب لألمانيا لاستجلاب حروف خاصة بالفتاوى فوافق، وذهبت واشترت الحروف وما انتهت الفتاوى إلا والحروف قد تأكلت.

وطبعنا ثلاثين مجلداً، منها عشرون مجلداً في سنة واحدة في الرياض، ثم لما حصل بين وزير المالية والمطابع إشكال. قال الأمير مساعد بن عبدالرحمن: تطبع في مكة.

قال الوالد - رحمه الله - : هذا محمد. فذهبت إلى مكة وأتممت خمسة المجلدات هناك من المجلد الثلاثين إلى المجلد الخامس والثلاثين». * ومع هذا الجهد والعنت والمشقة فإن الجد والوالد - رحمهما الله - لم يأخذاً مقابلاً مادياً البتة.

قال الوالد - رحمه الله - : «ولم نكن نأخذ أي مبالغ، بل كنت أعمل عملي مدرساً في المعهد العلمي بالرياض صباحاً، ثم في المساء في الفتاوى دون أن أفرغ لها، وما كان يأتينا من أموال تذهب للصف والنسخ والتصوير والمقابلة وما شابهها. حتى إن الشيخ محمد بن إبراهيم يعطينا المبالغ التي تقصر عن حجم العمل».

وقد قال الوالد - رحمه الله - في رحلته للجمع: «فرحت فرحاً عظيماً عندما وجدت مخطوطات الفتاوى ولم أفرح في حياتي مثل ذلك الفرح».

* وقد ذكر الشيخ يوسف المطلق أنه عمل ومعه بعض طلبة العلم على نسخ الفتاوى، وكانت كتابة الصفحة بمبلغ معلوم لمن استمر، كما عمل معهم الشيخ عبدالله بن جبرين، والشيخ غييب الغيب، والشيخ حماد الأنصاري وغيرهم في النسخ والمقابلة والتصحيح».

* وقد ذكر الوالد - رحمه الله - «أن بعض المشايخ طلبوا من الجد تخريج أحاديث هذا المجموع فرفض، وكان بينهم وجهات نظر، ولما جلسوا عند الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - ذكروا ذلك؛ وأجاب الجد بأنه لا مانع إذا كان هناك منكم من هو أعلم من شيخ الإسلام بالحديث. ثم ذكر

أمراً آخر هو الخوف أن يدخل عليه من لا يحسن الحديث فيضعف ويحسّن فيضيع الكتاب، والثالثة: أن غالب الأحاديث التي يوردها شيخ الإسلام في الصحيحين بل ويتبع أحياناً الرواة. فسكت الجميع».

وصدق - رحمه الله - فقد قام أحد الأعداء خارج هذه البلاد وخرّج بعض الأحاديث ثم حكم على شيخ الإسلام بأنه يناصب العداة لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بل ويكفر هذا وذاك.

* وسألت الوالد أن يعاد صفها مرة أخرى وتصغر الحروف لتقل المجلدات فقال - رحمه الله - «غالب من يقرأ هذا المجموع هم العلماء وطلبة العلم فلنتركه مريحاً للعين ثم من يضمن أن لا يدخله تصحيف وتحريف». ولقد تأكّد هذا في طبعة خرجت للناس وفيها ما ذكر من الأخطاء.

* قال الشيخ عبدالله بن جبرين في رسالته (هذا ما عرفته عن شيخنا عبدالرحمن بن محمد بن قاسم): «وفي أثناء عمله في تتبع رسائل أئمة الدعوة عثر على رسائل كثيرة لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -، متفرقة في مواضيع مختلفة، منها ما هو بخط يد الشيخ، ومنها ما قد نسخ، ومنها ما هو مطبوع، فاستشار شيخه محمد بن إبراهيم - رحمهما الله تعالى - في جمعها وترتيبها وطبعها فشجعه الشيخ على ذلك، وفي أثناء بحثه وسهره وتعبه في الجمع والترتيب والتبويب، أصيب من آثار ذلك بإذن الله بألم في رأسه تضرر منه، واحتبس عن مواصلة العمل، فأشير عليه أن يبادر إلى العلاج فسافر إلى باريس عاصمة فرنسا، وصحبه ابنه محمد، وذلك في آخر عام ١٣٧٥هـ وعولج هناك ونجحت العملية معه، ورجع سالماً بحمد الله، وهناك عثر على بعض المخطوطات القديمة لشيخ الإسلام ابن تيمية، فصورها كلها وضمها إلى تلك الموسوعة الكبيرة،

وهي مجموعة رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - ، وقد أدخل في هذه المجموعة كتباً ورسائل عدة، منها ما سبق طبعه في مصر وغيرها، ومنها مخطوطات كثيرة لم يسبق أن طبعت، وقد لقي في ترتيبها ونسخها عرق القربة، حيث كتب بخط يده الكثير من الرسائل المتفرقة في مجموعة الرسائل الكبرى، والفتاوى المصرية وغيرها، وقد وفقني الله للاشتراك مع أبناء الشيخ في نسخ بعض المخطوطات القديمة والأفلام المصورة، رغم صعوبة النسخ، ثم يتولى الشيخ محمد بن عبدالرحمن - رحمه الله - تصحيحها، ووضعها في المكان الذي حدده أبوه من الأجزاء، وتولى تصحيح الطبع ومتابعته أبناء الشيخ، ومعهم بعض الطلاب الذين اختاروهم من أهل الفهم وإدراك المعاني، حتى كملت هذه الموسوعة الكبيرة التي بذل هذا الشيخ فيها جهداً جهيداً.

* هذا وأسأل الله - عز وجل - أن يجزيهم خير الجزاء على جهودهم طوال سنوات في جمع وإخراج هذا المجموع، فهم في رحلة طويلة وشاقة في طلب العلم ونشره وهذا ديدن العلماء وطريقتهم.

فها هو أحد العلماء: منصور بن عمار يصف حال الرحلة في طلب العلم وأهلها فيقول عنهم: «هم يرحلون من بلد إلى بلد، خائضين في العلم كل واد، فلو رأيتهم في ليلهم وقد انصبوا للنسخ ما سمعوا، وتصحيح ما جمعوا، هاجرين الفرش الوطيء والمضجع الشهبي، غشبيهم النعاس فأنامهم، وتساقطت من أكفهم أقلامهم، فانتبهوا مذعورين، ودلكوا بأيديهم عيونهم، ثم عادوا إلى الكتابة حرصاً عليها، لعلمت أنهم حراس الإسلام وخزان الملك العلام، فإذا قضوا من بعض ما راموا أوطارهم انصرفوا قاصدين ديارهم، فلزموا المساجد...».

مجموع فتاوى شيخ الإسلام:

تألف هذه المجموعة القيمة - أو هذا المجموع - من «فتاوى» - وهي الأكثر - ومن «كتب» و «رسائل» و «نقول» بلغ عدد مجلداتها «أربعة وثلاثين مجلداً» «قسم» منها مطبوع: عدد صفحاته (٧٠٠٠) تقريباً و «قسم» لم يسبق له أن طبع؛ بل كان مخبوءاً في زوايا المكتبات العامة، أو الخاصة فالمخطوطات - التي لم يسبق لها طبع - أكثر من الثلث في هذا المجموع.

وإن كان في هذا المجموع المبارك أجزاء قد طبعت فيما سبق إلا أنها أدخلت في الفتاوى وكان لها تصحيح ومقابلة، وقد قال الشيخ بكر أبو زيد عن مجموع فتاوى شيخ الإسلام: «وكان جهد الشيخين [أي الجد والوالد] فيما سبق طبعه لا يقل عن جهدهما فيما لم يسبق طبعه، لأنهما استحصلا على الأصول الخطية لها فقابلاها مع المطبوع، فأصلحا ما وقع عن غلط وتصحيف وسقط وفوت، وهكذا الكمال عزيز»^(١).

الرحلة في جمع الفتاوى:

قال الوالد - رحمه الله - متحدثاً عن الشروع في الجمع - من نجد -:
«بدأ فضيلة الوالد - بارك الله في أوقاته، ونفع الإسلام والمسلمين بمجاميعه ومؤلفاته - في جمعها في الوقت الذي ندرت فيه «حركة الجمع، والتأليف في نجد» أي: بعد سنة (١٣٤٠هـ) أثناء تفتيشه عن «فتاوى علماء نجد» فوجد عند الشيخ «محمد بن عبداللطيف» - رحمه الله - نحو ثلاثة مجلدات - وهو أكثر من وجد عنده الفتاوى؛ وكان - رحمه الله تعالى - معنياً بمؤلفات شيخ الإسلام وأئمة الدعوة، ومكتبته موجودة الآن - وبحث

(١) المدخل إلى آثار شيخ الإسلام ٩٣/١.

الوالد، وفتش في «المخطوطات» الموجودة عند المشائخ وطلاب العلم؛ كما سافر وراسل من قدر له الاتصال به في نجد، وكانت نجد ولا زالت - بحمد الله - أسعد الأقاليم بالانتفاع بمؤلفات شيخ الإسلام، وتداولها، وتدريسها.

في الحجاز:

ولما باشر تصحيح «فتاوى أئمة الدعوة النجديين» - في مكة المكرمة - فتش في المخطوطات الموجودة «بمكتبة الحرم المكي» فاستخرج منها عدداً من المسائل؛ كما تحصل على مسائل من بعض العلماء الأفاضل.

الشروع في الترتيب:

بعد أن جمع ما تيسر له من المخطوطات أشار عليه حضرة صاحب السماحة المفتي الأكبر للمملكة السعودية «الشيخ محمد بن إبراهيم» بأن يضم الموجود من المخطوطات إلى المطبوعات، ويرتب الجميع على حسب الفنون، وعلى ترتيب أبواب الكتب المتداولة بين العلماء والطلاب؛ لتسهيل المراجعة ولا سيما على من قل إلمامهم بمؤلفات هذا الإمام.

سارع إلى قبول هذا الإرشاد، وشرع في الترتيب وجعل «قسماً في الفقه» مرتباً على ترتيب «كتب المتأخرين» من فقهاء المذهب الحنبلي كزاد المستقنع وشرحه «وقسماً في أصول الدين» يشمل العقائد وما يتصل بها و«قسماً في تفسير القرآن» و«قسماً في المنطق» و«قسماً في الحديث» وما وجد من المسائل مشتملاً على بحثين في فنين فأكثر، أو في باين من فن واحد - ينفصل أحدهما عن الآخر بدون إخلال بالمعنى - فصل أحدهما عن الثاني ونسخه في صحائف أو صحيفة مستقلة، وألحقه بموضعه المناسب له، فنسخ بيده مسائل كثيرة، واستنسخ بعضاً؛ فأصبح مجموع المخطوطات

والمطبوعات بعد الترتيب نحواً من عشرين مجلداً؛ ثم كلما طبع شيئاً من الفتاوى ألحقه بها، واستفاد من هذا الجمع أن اطلع على ترجيحات «شيخ الإسلام» واستدلّاه، وحكايته الاجماع والخلاف وغير ذلك؛ فأضاف الوالد ذلك إلى مؤلفاته، فاكتمت ميزة، وصبغة تحقيق: بسبب عمله المبارك في هذا المجموع.

وسمع فضيلته - من بعض رواد المكتبات - بوجود مسائل لشيخ الإسلام في «دار الكتب المصرية» فلذلك أجلّ طبعها؛ فتجمدت - ما شاء الله لها أن تتجمد - ثم عزم على السفر إلى مصر سنة (١٣٦٥هـ) فلم يتيسر له.

الرحلة الأولى لجمع الفتاوى:

في سنة (١٣٧٢هـ) سافر الوالد إلى «بيروت» للعلاج؛ ولما استكمل الفحوص الطبية، وأجرى بعض العمليات - التي لم تنجح - توجه إلى «مكتبة بيروت العمومية» - وكان حازماً - فقد استصحب ما جمعه سابقاً من الفتاوى، وفهرساً خاصاً بها - وكنت معه في سفره، ففتشنا فيها فلم نجد مسائل لشيخ الإسلام، ويذكر أن ما كان فيها من «المخطوطات» قد نقل لإحدى الدول منذ زمن طويل؛ ثم فتش في «مكتبة الجامعة الأمريكية» فلم يجد فيها شيئاً.

قصة جمع الفتاوى والكتب من الشام:

كان حضرة الوالد مستصحباً ورقة تحمل أرقاماً لثلاث مسائل في «المكتبة الظاهرية» ذكرها له بعض من زار المكتبة من العلماء الفضلاء فأمرني بالسفر إلى «دمشق» لنسخها - مع ما كان يقاسي من شدة المرض ومواصلة العلاج - وصلت إلى دمشق، وشرعت في النسخ، وفي وقت اشتغالي بالنقل من كتاب «الكواكب الدراري» كنت أتصفح المجلد فأجد فيه مسائل، ونقولاً عن «شيخ الإسلام» أستغربها، وأستعذبها؛ ولا أعلم وجودها فيما جمع؛ فأخذت أتابع المطالعة والتصفح لجميع الموجود فيها من «الكواكب الدراري» - وهو بضع وأربعون مجلداً - فإذا أنا أفاجأ بالمسائل الكثيرة النفيسة معاً، ففرحت فرحاً عظيماً بالتوفيق للعثور على هذه الكنوز العلمية، وشجعني ذلك على الاستمرار في التصفح والتفتيش؛ وربما شككت في فقد بعض المسائل فأراجع فهرس المسائل التي جمع الوالد، وأضيف ما تجدد إلى ما يشاكله من الفتاوى في الفهرس، واحتفظ بأرقام ما كان موجوداً؛ رجاء أن تيسر - يوماً ما - مقابلة الموجود على هذه المخطوطات القديمة.

ثم تصفحت «المجاميع»، وهي تزيد على (١٥٠) مجموعة. وقد اشتملت على مسائل ونبدٍ لا توجد في غيرها، وهي بخطوط قديمة؛ وفيها من خط شيخ الإسلام بيده ما يزيد على (١٥٠) صحيفة.

ومن تلك المجاميع «مجموعة مسودة»^(١) كلها بخطه، لا يوجد شيء منها في المكتبات، ولا غيرها. عدد صفحاتها: (٦٦٤). تشتمل أقل

(١) في المجلد الأول منها (الخطبة) و (اهدنا الصراط المستقيم) (فصل في ألا يسأل العبد إلا الله) (سمى الله الهتهم) (الشفاعة المنفية) (قد ذكرت فيما تقدم) «وفي المجلد الثاني منها - وهو كتاب توحيد الربوبية والرد على أهل وحدة الوجود - من صفحة (١) إلى (١٠٤)».

صفحة منها على (٢٠) سطرًا، ومتوسطها على (٢٧)، وفيها ما يشتمل على (٧٥). في كل سطر من خمس عشرة كلمة - غالباً - إلى عشرين. وكثير من صفحاتها محشي عليه بخط المؤلف أيضاً من بعض الجوانب، أو الجوانب الأربعة. يتألف منها لو طبعت مفردة «أربعة مجلدات أو خمسة» فيها بياضات، بعضها مخل بالمعنى، وبعضها غير مخل. وقد جنى عليها المجلد بقصه ما زاد من الأوراق عن معظم صفحات الكتاب، فأسقط بذلك كثيراً من الحواشي، وأواخر الأسطر، وأعلى الصفحات، وأسفلها. وقد حرص الناسخ على أن يذكرها كما هي.

تمتاز هذه «المجموعة» بغزارة المعاني، وندور بعض الأبحاث عما في مؤلفاته الأخر؛ وتشتمل على كثير من فنون العلم، وهي أحسن خطه - رحمه الله - .

وفي بعض «المجاميع الأخر» صفحات من خطه، بعضها متصل وبعضها دشت (*) .

وبعد إكمال المجاميع تصفحت كل كتاب لم يذكر مؤلفه، أوله حاشية؛ فوجدت في ذلك عدداً غير قليل من المسائل، ثم فتشت «الدشوت» التي في المكتبة فتحصلت على مسائل ونواقص في بعض المسائل. كانت مدة التصفح والتفتيش ستة أشهر لما يقارب (٩٠٠) مجلد من (١٢٠٠٠) مجلد مخطوط. مجموع ما فيها إجمالاً (٥٨٠) صفحة من خط شيخ الإسلام بيده - كما تقدم - وأكثر من (٣٥٣) ما بين فتوى ونبذة ونقل - وكل هذا لم يطبع فيما قد طبع سابقاً من فتاويه ومؤلفاته - وآلاف الصفحات التي يستعان بها في التصحيح.

(*) المقصود بها: أوراق متناثرة متفرقة ممزقة.

ما نقل من المكتبات الأهلية بدمشق:

لم أزل أتابع البحث والسؤال عن المكتبات الخاصة والتفتيش فيها فوجدت عند «الشيخ حسن الشطي» كتابين في الوقف - ضمن مجاميع لشيخ الإسلام وغيره - وعند «محمد حمدي السفرجلاني» مسائل في التراويح والإمامة وغيرهما - وهي قديمة الخط جداً - وعند «أحمد عبيد وإخوانه» مسائل . تم تصويرها؛ وهناك مكتبات أُخرى؛ لكن لا يوجد فيها ما له صلة بغرضنا .

في حلب وحماة:

في مكتبة الأوقاف بحلب مسائل صورتها، وكثير من مخطوطاتها لم يكن مفهرساً في حين زيارتي لها . وليس في حماة شيء من ذلك .

في بغداد:

بعد أن تأكدت من الحصول على ما في الشام - وطن شيخ الإسلام ومؤلفاته - أحببت السفر إلى العراق لجمع الفتاوى من هذا القطر . فتحصلت بعد التفتيش على مسائل في «مكتبة الأوقاف» في بغداد اجتمع منها وفيها «الرسالة التدمرية» كاملة بخط نعمان الألوسي، وقد ألحقنا ما فيها من الزيادات بالمطبوعة، وفي مكتبة «الألوسيين» كتب، ورسائل «الشيخ الإسلام» من جملتها «المجلد الرابع من الدرر المضية» وهو مختصر الفتاوى المصرية، عدد صفحاته (٤٠١) ولا يوجد هذا المخطوط في الأقطار التي فتننا فيها - مع أن ناسخه نجدى - ويشتمل على (٤٧٣) مسألة في «الفقه» من كتاب الحج إلى الإقرار، وفتشت في «مكتبة المتحف العراقي» أياماً، وعند جماعات من فضلاء بغداد .

وكنت قد أزمعت السفر إلى البصرة، ثم الكويت، ثم تركيا، لكن صحة الوالد كانت متأخرة جداً، وقد أقام ثمانية أشهر في بيروت، فاضطرت

إلى الرجوع إليه ثم رجعنا إلى الوطن .

الرحلة الثانية إلى القاهرة وباريس:

كان مما ادخره الله لشيخ الإسلام من إبراز مكنون علمه في خزائن الكتب الخارجية، ومما خصص الله به والدنا من إكمال جمع الفتاوى على يديه، ومن ثواب الصبر: أن جعل بقاء المرض سبباً للسفر المفيد؛ فسافر إلى باريس عن طريق القاهرة، وصلنا القاهرة وقمنا بزيارة «دار الكتب المصرية» ثم تصفحنا ما فيها من المجاميع، وما فيها من «الكواكب الدراري» فتحصل من الجميع مجلد متوسط لم يكن موجوداً عندنا.

في باريس:

بعد أن أجريت له عملية وتمائل للشفاء - بحمد الله - عمدنا - كعادتنا - إلى «مكتبة باريس الوطنية» فتتبعنا ما فيها من الفهارس - المطبوعة باللغة العربية - للمخطوطات الموجودة في «باريس» و «لندن» و «برلين» و «فيينا» وبعض فهارس مخطوطات «تركيا» وغيرها. تتضمن تلك الفهارس (١٣) مسألة فصورت في تلك الرحلة وهي مما لم نعتز عليه في الأقطار العربية.

وفي عودتنا من باريس إلى القاهرة، فدمشق أكملنا مطالعة فهرس «دار الكتب المصرية» وشرع الناسخ في نسخ المسائل، وصوّرت ما في «الظاهرية» - مما خطه شيخ الإسلام بيده - إلا أن بعض الصور غامضة، والكتاب قديم؛ لا يستطيع قراءته في زمان المؤلف إلا أخص تلاميذه، ولم يكن عندنا وقت للنسخ ولا للمقابلة إلا لبعض مسائل.

الرحلة الثالثة:

وفي سنة (١٣٨٠هـ) أمر «جلالة الملك المعظم» - رحمه الله وأثابه - بطبع هذه الفتاوى، وأمر أيضاً أن يدفع من المبالغ ما تحتاج إليه هذه المجموعة لتجهيزها للطبع، وما يحتاج إليه التصحيح. فابتعثت إلى «بغداد» لشراء «المجلد الرابع من الدرر المضية» واستنساخ المسائل الموجودة في «مكتبة الأوقاف» وإلى «دمشق» للاتفاق مع نساخ مختصين - في نسخ المخطوطات القديمة - ليقوموا بنسخ المصورت من خطه - رحمة الله عليه - وتصوير جميع المخطوطات الموجودة في «المكتبة الظاهرية» لمقابلة المطبوعات، والمخطوطات عليها، وتصوير ما لم ينسخ سابقاً، فصور ذلك كله، وبلغ عدد «الأفلام» التي صورت فيها المخطوطات أكثر من (عشرة) أفلام. كل فيلم يتسع لألف ومائتي صفحة، كما وفقنا لتصوير كتابي الوقف الموجودين عند «الشطي»؛ ولم تنسخ مصورات خط شيخ الإسلام في الشام، فقامت بمساعدة الناسخ على ما استصعب عليه؛ وأرجو ألا يتعذر علينا شيء من خطه.

طريقتنا في التصحيح والفهرس:

كانت الأصول المخطوطة في الظاهرية هي معظم الأصول التي حصلنا عليها للمقابلة، وأقدمها، وأصحها، ويوجد ضمن ما جمعه الوالد من نجد والحجاز «نسخ خطية»، و«مطبوعات» قد طبعت على نسخ متعددة. فحصلت المقابلة على الأصول المذكورة، وهذه الأصول - من حيث الجملة - تبين كثيراً من التصحيح الواقع في بعض المطبوعات، وبعض المخطوطات، الناشئ عن كثرة الاستنساخ أو جهالة بعض النساخ لبعض المعاني، أو لبعض الخطوط القديمة. كما تبين سقطاً قليلاً في مواضع، وكثيراً في مواضع أخر ما بين كلمات، أو أحرف، أو أسطر، وأحياناً صفحات، كما

قد تبين زيادات من المؤلف على ما قد كتبه سابقاً.

وكنت أقوم بالتصحيح على هذه الأصول، ويتولى الوالد الإشراف عليه؛ كما أن بعض المسائل قد قابله الوالد فيما سبق^(١).

بمثل هذا الجهد وبهذه المثابرة والصبر والمصابرة قام العلماء بجهودهم في حفظ هذا الدين، وقد أثنى ابن تيمية - رحمه الله - على هؤلاء الأئمة وارتحالهم وفضلهم وأحسب أن الجد - رحمه الله - أحدهم، يقول شيخ الإسلام: «ولما كان القرآن متميزاً بنفسه - لما خصه الله به من الاعجاز الذي باين به كلام الناس كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨] وكان منقولاً بالتواتر - لم يطمع أحد في تغيير شيء من ألفاظه وحروفه؛ ولكن طمع الشيطان أن يدخل التحريف والتبديل في معانيه بالتغيير والتأويل، وطمع أن يدخل في الأحاديث من النقص والازدياد وما يضل به بعض العباد.

فأقام الله - تعالى - الجهابذة النقاد، أهل الهدى والسداد، فدحروا حزب الشيطان، وفرقوا بين الحق والبهتان، وانتدبوا لحفظ السنة ومعاني القرآن من الزيادة في ذلك والنقصان.

وقام كل من علماء الدين بما أنعم به عليه وعلى المسلمين - مقام أهل الفقه الذين فقهوا معاني القرآن والحديث - بدفع ما وقع في ذلك من الخطأ في القديم والحديث، وكان من ذلك الظاهر الجلي الذي لا يسوغ عنه العدول؛ ومنه الخفي الذي يسوغ فيه الاجتهاد للعلماء العدول.

وقام علماء النقل والنقاد بعلم الرواية والإسناد، فسافروا في ذلك إلى البلاد، وهجروا فيه لذيق الرقاد، وفارقوا الأموال والأولاد، وأنفقوا فيه الطارف والتلاد، وصبروا فيه على النوائب، وقنعوا من الدنيا بزاد الراكب، ولهم في ذلك من الحكايات المشهورة، والقصاص الماثورة، ما هو عند أهله معلوم، ولمن طلب معرفته معروف مرسوم، بتوسد أحدهم التراب وتركهم لذيق الطعام والشراب وترك معاشره الأهل والأصحاب والتصبر على مرارة الاغتراب، ومقاساة الأهوال الصعاب، أمر حبه الله إليهم وحلاه ليحفظ بذلك دين الله، كما جعل البيت مثابة للناس وأمنا يقصدونه من كل فج عميق، ويتحملون فيه أموراً مؤلمة تحصل في الطريق، وكما حَبَّبَ إلى أهل القتال الجهاد بالنفس والمال؛ حكمة من الله يحفظ بها الدين ليهدي المهتدين، ويظهر به الهدى ودين الحق، الذي بعث به رسوله ولو كره المشركون»^(١).

* ويتأمل القاريء الكريم قول ابن عبد الهادي (ت ٧٤٤هـ) في شأن حفظ كتب شيخ الإسلام ولو بعد قرون: «ولقد رأيت من خرق العادة في حفظ كتبه وجمعها وإصلاح ما فسد منها، ورد ما ذهب منها ما لو ذكرته لكان عجباً، يعلم به كل مصنف أن الله عناية به وبكلامه، لأنه يذب عن سنة نبيه ﷺ تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»^(٢).

(١) مجموع الفتاوى ١/٧.

(٢) العقود الدرية ص ٤٨.

ثنا العلماء على مجموع الفتاوى:

يكفي هذا المجموع فخراً وشرفاً أنه صدر عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -، ذلك العالم الذي ملأ الدنيا علماً ونوراً، ونفع الله به في حياته وبعد مماته، ولا يزال هذا الخير جارياً لأهل السنة والجماعة يرتوون من نبعه الصافي وعلمه الجم.

وحسبك أن الأئمة من بعده تلاميذ له كابن القيم وغيره، وأن طريقه سار عليه أئمة الدعوة السلفية في نجد وغيرها. فإذا ذكر هذا الإمام كان علماً ورأساً لأهل السنة والجماعة - قدس الله روحه -.

* قال سماحة الشيخ عبدالله بن حميد - رحمه الله - رئيس مجلس القضاء الأعلى - سابقاً - في مقدمة طبعة مجموع الفتاوى التي طبعت بأمر خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله - تحت إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين (. . .) وبين أيدينا الآن هذه الموسوعة الضخمة من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية يعاد نشرها على نفقة جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية بعد أن تكاثرت الطلب على هذه الفتاوى من علماء المسلمين في كل مكان. لما لمؤلفها - رحمه الله - من مكانة في نفوس الخاصة والعامة وما وفق له من فهم لكتاب الله - سبحانه وتعالى - واستنباط لدقائقه ومعرفة لناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومجمله ومبينه ومعرفة بسنة المصطفى ﷺ وإدراك لعلوم الحديث حتى قيل: إن كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فهو ليس بحديث. ولما اشتملت عليه هذه الفتاوى من علوم جمّة وفوائد نادرة كالرد على الملاحدة من القدرية والجهمية والفلاسفة وغيرهم وبيان عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم من أئمة المسلمين، ولما اشتملت عليه من ذكر

شيء من أصول الفقه وكثير من الأحكام الشرعية المحررة والمقتبسة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من العبادات والمعاملات وأحكام النكاح والطلاق).
 * وقد وُجِّه سؤال للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء هذا نصه:
 س: لقد شرعت قبل سنوات في قراءة فتاوى شيخ الإسلام، ووصلت للمجلد (١٥)، وحاشا لمثلي أن ينتقد ذلك الجهد الحبر، لكن وجدت فيها كثرة إسهاب وتكرار، فهل أتركها؟ وبماذا توجهون؟

ج: ننصحك بإكمال قراءة مجموع فتاوى الإمام ابن تيمية - رحمه الله -، والصبر والاحتساب في ذلك، فهو كتاب عظيم القدر، جم الفوائد، كثير المسائل والمباحث المفيدة في حياة الإنسان وآخرته، إذ هو موسوعة علمية شاملة لجميع العلوم، سواء في مجال العقيدة والتوحيد، أو الفقه وأصول الفقه، أو الحديث، والتفسير، وعلم الفلك، والمنطق والمناظرة، والملل والمذاهب، والطب، واللغة العربية، والجغرافيا، والتاريخ، وعلم النفس وغير ذلك كثير.

فهذا الكتاب عظيم الشأن، جليل القدر، أظهر الله به الحق، وأزال به كثيراً من شبه المبطلين، وبدع المنحرفين عن الصراط المستقيم، فلقد قارع مؤلفه - رحمه الله - أهل الباطل بالحجج النقلية والعقلية، ورد عليهم من صميم مذهبهم، فكان أعلم بمذاهب أهل الباطل من أهل الباطل أنفسهم، حتى أجمعهم الحججة، وأزال الشبهة، ونصر مذهب السلف، فأبان حقيقة هذا الدين وعقائده، وموافقة العقل السليم للنقل الصحيح، كل ذلك مع حسن التصنيف وجودة العبارة، والتقسيم والتبئين، فمن قرأ هذا الكتاب العظيم خرج - إن شاء الله - بعقل سليم من الشبه والضلالات، وفكر نير سليم، ورأي سديد، وعلم غزير ينتفع به وينفع به.

وما يحصل من إسهاب أو تكرار في بعض مسائل هذا الكتاب فليس بعيب، وإنما لمصلحة رآها المؤلف - رحمه الله - ليعطي المسألة حقها من البحث والإحاطة بجميع جوانبها بما لا يدع مجالاً لاعتراض معترض، أو تشكيك مشكك، وليخرج طالب العلم المبتدئ والعالم من ذلك بفائدة كبيرة، وقد يكون التكرار لكثرة السائلين، وقد يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية المسألة في باب، ثم يكررها مفصلة، أو مختصرة في باب آخر، لأن المقام يقتضي ذلك، فقد تكون المسألة علاقتها بالباب غير مباشرة، فيذكرها بإيجاز، ثم يذكرها بعد ذلك في موضعها مفصلة، لأن علاقتها به علاقة أصيلة مباشرة^(١).

* وأثنى عليه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - بقوله: «... ومن أجمع ذلك فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، والدرر السنية في الفتاوى النجدية، جمع العلامة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله -^(٢).

* وكان يُقرأ على سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - (فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) في دروسه التي تقام في الجامع الكبير بالرياض^(٣).

وكان يحيل عليه وينقل عنه في كثير من المسائل ومن ذلك ما ذكره في فتاواه حيث قال: ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - حل الجمع بين امرأة رجل وابنته من غيرها عن الأئمة الأربعة، وأكثر أهل العلم، ذكر ذلك عنه العلامة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله - في المجلد

(١) فتاوى اللجنة ١٢/١٢٥.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز ٧/٧٠.

(٣) الإمام بطريقة دروس الشيخ الإمام ص ٣٨ - ٤٠.

الثاني والثلاثين من مجموع الفتاوى (ص ٧١)، ونقل الحافظ ابن حجر في «الفتح» مثل ما فعل عبد الله بن جعفر عن صحابي يدعى جبلة تولى إمرة مصر، ونقل مثل ذلك نسباً عن عبد الله بن صفوان بن أمية^(١).

* وحث على قراءة «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -، في كتاب المتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان^(٢).

* ومن لطائف هذا المجموع وغيره ما ذكره الشيخ بكر أبو زيد - حفظه الله -: «أن ابن مُرِّي المتوفى بعد سنة ٧٢٨هـ يكتب رسالة لتلاميذ شيخ الإسلام وقد ضمنها الوصية بكتب شيخ الإسلام ونشرها ثم قال - رحمه الله -: «ووالله - إن شاء الله - ليقين الله سبحانه لنصر هذا الكلام ونشره، وتدوينه وتفهمه، واستخراج مقاصده، واستحسان غرائبه وعجائبه رجالاً هم إلى الآن في أصلاب آبائهم...»^(٣).

قال الشيخ بكر معلقاً: «وقد برّرت يمين ابن مُرِّي - بحمد الله وحمته - فقام الشيخ عبدالرحمن بن قاسم المتوفى سنة ١٣٩٢هـ - رحمه الله تعالى - بمساعدة ابنه محمد المتوفى سنة ١٤٢١هـ - رحمه الله تعالى - بعد نحو ستة قرون بهذه المهمة الجليلة في: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»^(٤).

(١) مجموع ابن باز ١٩/٢١ وانظر ١٥٠/٥.

(٢) المتقى ٢١٣/٢.

(٣) المداخل إلى آثار شيخ الإسلام ص ٩٢.

(٤) المداخل إلى آثار شيخ الإسلام ص ٩٢.

* وقد ذكر الوالد - رحمه الله - شيئاً من ذلك في مقدمة الفهارس في المجلد ٣٦ صفحة ج حيث قال: «أحببت أن أقوم بعمل ما ليصل القاريء إلى بغيته في تلك المجلدات التي تتضمن قواعد نفيسة وأبحاثاً هامة، وفوائد قيمة، وأرجو أن أكون بهذا قد حققت شيئاً ما من رغبة المؤلف حيث قال بعد أن ذكر تفسير ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ مفرقاً... «فتأمل هذه المعاني وتلخص وتهذب»^(١).

* وقد كان لإخراج هذا المجموع العظيم النفع الكبير والأثر الواضح، فقللاً أن تجد فتوى لأهل الإسلام إلا وزُينت بكلام لشيخ الإسلام، ولا تجد نقلاً في أبواب العلم إلا ولشيخ الإسلام قصب السبق. والمجموع كما قال الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله -: «هذا كتاب: عظيم القدر، كثير الفائدة»^(٢).

* وقد ذكر الوالد - رحمه الله - في مقدمة المستدرك على الفتاوى ما نصه: «ولا تزال عند العلماء والمفتين والقضاة والمتعلمين من أكبر المراجع وأوثقها».

* وكان الوالد - رحمه الله - يسمي مجموع فتاوى ابن تيمية «الكنز»، وهي بحق كنز عظيم.

* ولله در الباحث العالم الجليل بكر أبو زيد - حفظه الله - عندما قال:

«إن هذا المجموع المبارك «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» لابن قاسم هو غرة في جبين الدهر، زينة لأهل الإسلام، لسان صدق للعلماء،

(١) مجموع الفتاوى ٦٠١/١٦.

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى ٥/١.

عمدة للباحثين، نفع الله به أقواماً بعد آخرين، وقد انتشر في العالمين انتشار العافية، وكتب له من القبول والانتشار ما يعز نظيره في جهود المتأخرين فالحمد لله رب العالمين»^(١).

* وقد وصفه الشيخ عبد الله بن بسام في كتابه علماء نجد بقوله: «العمل الكبير الضخم النافع الذي قام به، ويستحق عليه الثناء العاطر، والدعاء الخالص». ثم قال الشيخ عبدالله بن بسام وهو يذكر عمل الجد في مجموع فتاوى شيخ الإسلام: «عمد إلى رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية وفتاويه ومختصرات كتبه في العقائد والتوحيد والتفسير والحديث والفقه وعلم السير والسلوك وأصول التفسير وأصول الحديث وأصول الفقه، عمد إلى هذا التراث الكبير الكثير المطبوع منه والمخطوط، فحققه وبوّبه ورتبه وفهرسه فهارس مقربة موضحة، حتى صار منه موسوعة إسلامية كبرى تقع في سبعة وثلاثين جزءاً، ثم أمر بطبعها وتوزيعها على العلماء في داخل البلاد وخارجها جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - .

فهذان العملاقان الكبيران من المترجم من الأعمال الكبيرة الجليلة، ولقد أنفق في سبيل تحقيقهما الوقت الطويل والبحث المتواصل والجهد المضني، والذي ليس له جزاء إلا من الله - تعالى - .

* وقال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك - حفظه الله -: «ومن أعظم أعماله العلمية قيامه بجمع أكثر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ورسائله مصنفة مرتبة بحسب الفنون والموضوعات والأبواب، في ديوان بلغ خمسة وثلاثين مجلداً، جمع فيه ما تفرق في المكتبات الإسلامية والعالمية من فتاوى هذا الإمام ورسائله - رحمه الله - مما جعل هذا الديوان العظيم

(١) المداخل إلى آثار شيخ الإسلام ٩٣/١ .

مرجعاً من أهم المراجع في فنون علوم الشريعة، وقد نال الشيخ بهذا العمل الجليل منزلة في قلوب المؤمنين، وذاع صيته، مع ما يرجى له من ربه من الأجر العظيم، ولقد أقر العارفون بشيخ الإسلام ابن تيمية ومنهجه وأسلوبه أن هذا المجموع لا يُرتاب في أنه من تراث ذلك الإمام، ولذا يعتمدون عليه في معرفة اختياراته وترجيحاته وتقريراته، فجزى الله المؤلف والجامع عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء^(١).

* قال الشيخ عبد العزيز العبد اللطيف: وقد حظيت هذه المؤلفات بالانتشار والاحتراف والقبول ما لم يتحقق لغيرها، ولا يزال هذا الإبريز يزداد تألقاً ولمعاناً مع مرور الأيام، واضحى هذه التراث مورداً للباحثين في شتى العلوم الشرعية والتاريخية والتربوية^(٢).

وقال - حفظه الله -: مقدمة جامع فتاوى ابن تيمية: ليت أستاذة الجامعات الشرعية وطلابها يطالعونها، فهي تبعث الهمم، وتعالج آفة الاعتداد الأكاديمي، والتشوق للمال والجاه، وعندما تطالع مجموع فتاوى ابن تيمية. لابن قاسم: توقن أن إخلاص القصد لله يصحبه التواضع والإخبات، ويثمر القبول والانتشار.

همه مباركة: مجموع الفتاوى لابن تيمية استغرق جمعه أكثر من ٤٠ عاماً من بلدان في الشرق والغرب، وكان جامع عبد الرحمن بن قاسم مريضاً في غالب الرحلات.

* قال مؤلف كتاب (صيانة مجموع الفتاوى من السقط والتصحيح)

في مقدمته:

(١) من رسالة كتبها الشيخ في ٢٩/٥/١٤٢٦هـ.

(٢) مجلة البيان العدد ٢٥٦ ص ٩٥.

«فإن من أعظم الكتب التي طبعت في الأزمان المتأخرة: (مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله تعالى -) لجامعه: الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه الشيخ محمد - رحمهما الله تعالى - وجزاهما عن الإسلام وأهله على ما قدماه خير الجزاء. وقد نفع الله بهذا العمل، ورزقه القبول، فلا تكاد تجد مكتبة عامة أو خاصة تخلو من هذا المجموع على ضخامته، بل ولا أبالغ إن قلت: ولا تكاد تجد كتاباً شرعياً ألف بعد طباعة المجموع يخلو من النقل عنه، فهو بحق من مفاخر القرون المتأخرة!

ويزيد من قيمة هذا المجموع بالإضافة إلى كونه لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أمور:

الأول: أن من قام بجمعه وترتيبه من أهل العلم الأكابر، الشيخ عبدالرحمن بن قاسم وابنه - رحمهما الله -، وعملهما كان بإشراف الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله -، كما قال الشيخ ابن قاسم في مقدمته على الفتاوى: «وأشار عليّ شيخنا - يعني الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - لما رتبت فتاوى علماء هذه الدعوة، وكان لدي من فتاوى شيخ الإسلام جملة كثيرة، أن أرتبها، أسهل للمراجعة، ففعلت، وأراجعه فيما أشكل» اهـ.

وحسبك كتاب يقوم على جمعه وتصنيفه هؤلاء!

والثاني: أن الكتاب يعتمد على (تحقيق) النص و (تصحيحه) دون إثقاله بالحواشي، والتي أغرم بها كثير من المعاصرين، والحال كما قاله الشيخ: جامع الفتاوى عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله -: «وأعيذ بالله من قد يتولاه - يعني رسائل شيخ الإسلام - رحمه الله - أن يحشي عليه، فهو ذهب مصفى، حققه من قد علمت نزرأ من مزايا فضله، فهو غني عن زعم

تحقيق بعض العصريين، الذين لم يبلغوا شأوه، وغني عن عنوتهم وغيرها أثناء كلامه، وعن تعليقاتهم؛ فلبعضهم من الاعتراضات والسقطات ما يعرفه الناقد البصير».

والثالث: أن هذا (المجموع المبارك) لم يجمع في شهر، أو شهرين، بل ولا سنة، أو سنتين، بل استغرق جمعه أكثر من أربعين سنة، من بعد عام ١٣٤٠هـ إلى أن طبع كاملاً عام ١٣٨٦هـ، وجمعت مادته من: نجد، والحجاز، والشام، ومصر، والعراق، وفرنسا، وغير هذه البلدان، واحتاج هذا الجمع إلى رحلات، ونفقات، ونساخ، وغير ذلك من الجهود العظيمة التي أنفقها الشيخان.

ولمعرفة بعض الجهد الذي قاما به - رحمهما الله تعالى وأسكنهما فسيح جناته - يكفي أن تعرف أن الشيخ عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله - كان في أغلب رحلات جمع الفتاوى مريضاً، كما في رحلاته: إلى لبنان ومصر وفرنسا، ويكفي أن تعرف أن الشيخ محمد بن قاسم - رحمه الله - مكث في جمع مسائل شيخ الإسلام من «المكتبة الظاهرية» في دمشق فقط مدة ستة أشهر، تصفح خلالها تسعمائة مجلد من اثني عشر ألف مخطوط، ليجمع من هذا كله ثمانمائة وخمسين صفحة بخط شيخ الإسلام - رحمه الله -، وأكثر من ثلاثمائة وثلاث وخمسين مسألة!

والرابع: فهارسه التفصيلية التي وضعها الشيخ محمد - رحمه الله -، فقد نفع الله بها أيما نفع، واختصر على طالب العلم كثيراً من الوقت والجهد.

وقد بارك الله في جهدهما، فانتشر هذا (المجموع) في الآفاق، وصار لا يستغني عنه العالم، ولا طالب العلم، ومن حق هذين الشيخين على كل

طالب علم استفاد من هذا المجموع أن يدعو لهما بالمغفرة والرحمة، فنسأل الله سبحانه أن يتقبل عملهما، وأن يغفر لهما، وأن يجزيهما خير الجزاء».

* ولعل من قرأ سيرتهما في الجمع والتحقيق والطبع يتذكر قول الإمام الحاكم وهو يصف الرّحّالين لطلب العلم فيقول: «آثروا قطع المفاوز على التّنعّم في الدّمن والأوطان، وتنعّموا بالبؤس في الأسفار مع مساكنة أهل العلم والأخبار، جعلوا المساجد بيوتهم، وجعلوا غذاءهم الكتابة، وسمّهم المعارضة، واسترواحهم المذاكرة، وخلوقهم المداد، ونومهم السهاد، وتوسدهم الحصى.

فالشّدائد مع وجود الأسانيد العالية عندهم رخاء ووجود الرّخاء مع فقد ما طلبوه عندهم بؤس! فعقولهم بلذاذة السُّنة غامرة، وقلوبهم بالرضا في الأحوال عامرة، تعلم السنن سرورهم، ومجالسُ العلم حبورهم، وأهل السنة قاطبة إخوانهم، وأهلُ الإلحاد والبدع بأسرها أعداؤهم»^(١).

* قال فضيلة الوالد - رحمه الله - عن هذا المجموع العظيم: «.. فلن يجد البحاثة المطلع (فتاوى) جمعت واستوعبت كل فن من الفنون الإسلامية - العقائدية - والتشريعية - ما جمعته فتاوى العالم الرباني شيخ الإسلام ابن تيمية - طيب الله ثراه - ولن يجد فتاوى يزداد اتجاه أنظار العلماء إليها والبحث عنها والنهل من معينها يوماً بعد يوم ما لهذه الفتاوى، بل أعتقد أنها ستكون عمدة لكل مسلم في أنحاء العالم، وأن كل من لم يحط بها علماً سيفوته من الصواب بقدر ما جهل منها»^(١).

(١) معرفة علوم الحديث ص ٢.

(١) مجموع الفتاوى ٣٦ / ١.

* وصدق ظنه - رحمه الله - فالأمة ترجع إلى علمائها ومن أعلمهم وأوسعهم علماً شيخ الإسلام ابن تيمية، قال الشيخ علي العمران الباحث المعروف: قدم عن شيخ الإسلام ابن تيمية أكثر من ٢٥٠ رسالة جامعية في مختلف البلدان، كل طالب نحو ٤ سنوات، بما حاصله ١٠٠٠ سنة من أعمار الباحثين.

وقد وجدتُ في خارج المملكة ما يزيد عن عشرين رسالة دكتوراه ومثلها رسائل ماجستير، أما في داخل المملكة فيقارب من هذا العدد؛ وكلها قامت على تحقيق بعض أجزاء هذا المجموع العظيم، وبعض الرسائل شملت بعضاً من جزء واحد فقط ومنها^(١):

١ - رسالة الباحث: عبدالرشيد بن محمد أمين قاسم.
عنوان الرسالة: الإجماعات الفقهية عند شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى.

مستوى الرسالة: دكتوراه.

٢ - رسالة الباحث: إبراهيم بن عبدالله بن صالح الدويش.
عنوان الرسالة: تخريج الأحاديث والآثار الواردة في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: المجلد الثاني والعشرين من بداية فصل «أما الأكل واللباس» (ص ٣١٠) حتى نهاية فصل «وعد التسبيح بالأصابع سنة» (ص ٥٣٤).

مستوى الرسالة: دكتوراه.

٣ - رسالة الباحث: عادل بن محمد بن عبدالعزيز السبيعي.

(١) وهذا كان حين الطبعة الأولى لهذا الكتاب.

عنوان الرسالة: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية «تحقيق ودراسة وتخريج الأحاديث والآثار الواردة في المجلد الثاني والعشرين» من أوله حتى آخر فصل «أما قيام الليل»
مستوى الرسالة: دكتوراه.

٤ - رسالة الباحث: حمد بن إبراهيم الشتوي.

عنوان الرسالة: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: «تحقيق ودراسة وتخريج الأحاديث والآثار الواردة في المجلد الرابع والعشرين من صفحة ٣٤٤ إلى ٣٦٣ نهاية باب صلاة الكسوف»
مستوى الرسالة: دكتوراه.

٥ - رسالة الباحثة: شيخة بنت مفرج المفرج.

عنوان الرسالة: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: «تحقيق ودراسة وتخريج الأحاديث والآثار الواردة في المجلد الثالث والعشرين من أوله إلى نهاية المسألة العاشرة من الفصل الرابع من باب صلاة التطوع»
مستوى الرسالة: دكتوراه.

٦ - رسالة الباحث: عبدالله بن محمد بن عبده الحكمي.

عنوان الرسالة: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: تخريج أحاديث وآثار مجلدات ثلاثة: منطق، سلوك، تصوف.
مستوى الرسالة: دكتوراه.

٧ - رسالة الباحثة: فوزية بنت رضا أمين خياط.

عنوان الرسالة: الأهداف التربوية السلوكية من خلال المجلد العاشر من مجموع فتاوى ابن تيمية.
مستوى الرسالة: ماجستير.

- ٨ - رسالة الباحث: مهدي بن محمد الحكمي .
 عنوان الرسالة: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: تخريج الأحاديث والآثار
 الواردة من أول الجزء الخامس عشر إلى نهاية الجزء السادس عشر .
 مستوى الرسالة: دكتوراه .
- ٩ - رسالة الباحث: عبدالله بن ظافر العمري .
 عنوان الرسالة: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: تخريج الأحاديث والآثار
 من أول الجزء الثاني عشر إلى نهاية الجزء الرابع عشر .
 مستوى الرسالة: دكتوراه .
- ١٠ - رسالة الباحث: سليمان بن صالح بن عبدالله الخليوي .
 عنوان الرسالة: من اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاوى الطهارة
 والصلاة: دراسة مقارنة .
 مستوى الرسالة: ماجستير .
- ١١ - رسالة الباحث: سعد بن عبدالعزيز بن سعد الزيد .
 عنوان الرسالة: تخريج الأحاديث والآثار الواردة في مجموع فتاوى شيخ
 الإسلام ابن تيمية من أول المجلد السابع عشر إلى صفحة (٣٩٦) فصل :
 وقد احتج بـ (سورة الإخلاص) .
 مستوى الرسالة: دكتوراه .
- ١٢ - رسالة الباحث: إسماعيل بن حسن محمد علوان .
 عنوان الرسالة: القواعد الخمس الكبرى وما يتعلق بها في مجموع فتاوى
 شيخ الإسلام ابن تيمية: جمع ودراسة .
 مستوى الرسالة: دكتوراه .
- ١٣ - رسالة الباحث: بسام بن عبدالله صالح الغانم .

عنوان الرسالة: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: تخريج الأحاديث والآثار من بداية كتاب الجنائز في المجلد الرابع والعشرين إلى نهاية مسألة الاقتصاد في الأعمال من كتاب الصوم في المجلد الخامس والعشرين: تحقيق ودراسة.

مستوى الرسالة: دكتوراه.

١٤ - رسالة الباحث: محمد بن عبدالرحمن العريفي.

عنوان الرسالة: آراء شيخ الإسلام ابن تيمية في الفرق الصوفية، جمع وعرض ودراسة.

مستوى الرسالة: دكتوراه.

١٥ - رسالة الباحث: عبدالله بن عبدالرحمن الشريف

عنوان الرسالة: تخريج أحاديث وآثار قسيمي العقائد والعبادات من المجلد الأول إلى نهاية المجلد الثامن.

مستوى الرسالة: دكتوراه.

١٦ - رسالة الباحث: عبدالله شاکر الجهني

عنوان الرسالة: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: تحقيق ودراسة الأحاديث والآثار الواردة من المجلد الحادي والعشرين.

مستوى الرسالة: دكتوراه.

١٧ - رسالة الباحث: سمير بن سليمان العمران

عنوان الرسالة: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: تخريج الأحاديث والآثار من المجلدين التاسع عشر والعشرين.

مستوى الرسالة: دكتوراه.

* وقد طبع هذا المجموع المبارك اعني (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) والله الحمد مرات عديدة ، المرة الأولى في عهد الملك سعود - رحمه الله - سنة ١٣٨١هـ بمطابع الرياض وطُبع منها ثلاثون مجلداً وطبعت السبعة الباقية في مطبعة الحكومة عام ١٣٨٦هـ، وطبعت بأمر الملك خالد - رحمه الله - بمكتبة المعارف بالمغرب حينما زار العلماء هناك وطلبوا منه هذا المجموع، وطبعت بأمر الملك فهد - رحمه الله - بإشراف رئاسة شؤون الحرمين عام ١٤٠٤هـ، وهي تطبع الآن ضمن مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية .

* وهو كتاب لم تزل نَعَام القلوب إليه زفافة، ورياح الآمال حوله هَفَافَةً، وعيون الأفاضل نحوه رواق، وألسنتهم بتمنيهِ نواطق، كتاب تشد إليه الرحال .

* وكانت النية متجهة إلى ترجمة هذا السفر العظيم إلى لغات أخرى غير العربية، ولكن ضخامة المؤلفات وكثرة الفتاوى حالت دون ذلك . ومنها ترجمة ثمانية مجلدات إلى اللغة التركية وقد توقف المترجم لعدم الحصول على من يُمول هذا المشروع^(١) .

ومن شدة محبة الجد - رحمه الله تعالى - لهذه الفتاوى العظيمة أورد كلمات عظيمة في حاشية مقدمته للمجموع قال فيها: «واعيذ بالله من قد يتولاه أن يحشي عليه فهو ذهب مصفى، حقه من قد علمت نزرًا من مزايا فضله، فهو غني عن زعم تحقيق بعض العصريين الذين لم يبلغوا شأواه وغني عن عنونتهم وغيرها أثناء كلامه، وعن تعليقاتهم فلبعضهم من الاعتراضات والسقطات ما يعرفه الناقد البصير» .

(١) المداخل إلى آثار شيخ الإسلام ٧١/١ .

وقد وقع بعض ما كان يخشى - رحمه الله - فخرجت طبعات يدعي أصحابها تحقيق وتخريج أحاديث هذا المجموع، فكان أن صدر الأمر الملكي الكريم بتفويض رئاسة البحوث والإفتاء حق طباعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية والخبر منقول عن جريدة الرياض في عددها رقم (١١١٠٨) نقلاً عن وكالة الأنباء السعودية: صدر الأمر السامي رقم ٤٠٢ / م وتاريخ ١٤١٩/٦/٧هـ بشأن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية المطبوع في سبعة وثلاثين مجلداً متضمناً ما يلي:

«تفويض حق طباعة هذا الكتاب لرئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء .

منع التعرض لهذا الكتاب بطبع أو اختصار أو إضافة أو غير ذلك، وعدم دخول أي نسخة من هذه الأنواع وتسويقها في المملكة وإن من يتصرف فيها بدون إذن مسبق من رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء يطبق بحقه ما تقضي به التعليمات المتبعة .

أن لا يتم أي إجراء حول هذا الكتاب إلا بعد صدور قراره من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء .

وعدت اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء صدور الأمر السامي بهذا الشأن ماثرة من سلسلة مآثر حكومة المملكة العربية السعودية في محيط العلم وحماية هذا المجموع المبارك من امتداد الأيدي العابثة إليه» .

الدَّرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجْوِبَةِ الْجَدِيدَةِ

مَجْمُوعَةٌ رِسَائِلَ وَمَسَائِلَ عَامَّةً. يُجَدِّدُ الْإِعْلَامَ
مِنْ عَصْرِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ إِلَى عَصْرِنَا هَذَا

جَمَعَ

الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْعَامِيَّ النَّجْدِيَّ

أَحْسَنُ بَيْتِي حَرَمًا

١٣١٤ - ١٣٩٩ هـ

الجزء الأول
كُتَابُ الْعَقَائِدِ

«حوت هذه الرسائل تراثاً نفسياً في مسائل الاعتقاد. ولا سيما توحيد العبادة وما
بضاده. وأحكام العبادات والمعاملات وأحكام الجهاد والمرتد، والتفسير، والردود،
... فكان هذا المجموع هو الدررة المفقودة، والضالة المنسودة.»

٢. كتاب: «الدرر السننية في الأجوبة النجدية» ويقع في (١٦) مجلداً.

(الدرر السننية في الأجوبة النجدية): ترتيب رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى زمن المؤلف .
قال - رحمه الله - في مقدمة الكتاب: «... فأمرني من تجب طاعته عليّ أن أجمعها وأرتبها حسب الطاقة، مع أنني لست من أهل تلك البضاعة، فتمادت بي الأيام أقدم رجلاً وأؤخر أخرى لكثرة الأشغال ومعالجة المعاش والضيعة وعدم الأهلية؛ إلى أن قويت العزيمة وخلصت النية وظهرت ويسر الله الأمر وسهله ووفق إليه فحيثئذ أمعنت النظر وأنعمت الفكر وجمعت ما أدركته، وأعانني عليه شيخنا الفاضل الحبر الثقة الشيخ محمد بن إبراهيم...»^(١).

* وقد بذل - رحمه الله - جهداً في استقصائها وتتبعها في مختلف البلاد وصبر على ما لقي من صعوبات ونفقات وأخطار ومشقة وأسفار في البحث والنسخ والمقابلة والتصحيح، ثم قسمها فنوناً ورتبها على الكتب والأبواب، فجاءت مجموعة ضخمة بلغت ستة عشر مجلداً في طبعتها الأخيرة حوى آخر مجلد منها: تراجم أصحاب تلك الرسائل والأجوبة. وقد أحسن في الثناء على أولئك المشايخ بما هم أهله.

وقد مكث - رحمه الله - في مكة يطبعها ويصححها ويراجعها اثني عشر عاماً! وقد ذكر الوالد أنه كان يذهب مع والده مشياً على الأقدام عندما كانوا في مكة إلى (حي المسفلة) وفيه مزرعة صغيرة يجلسون حولها بعد العصر ويصحح الجد كتاب (الدرر) ثم يعودون قبيل المغرب، وقد طبعت الطبعة الأولى بمطبعة أم القرى سنة ١٣٥٢هـ وطبعت المجموعة في ثلاثة

(١) الدرر السننية / ١ / ٢٠.

مجلدات تضمنت سبعة أجزاء انتهى من طبع المجلد الثالث سنة ١٣٥٦هـ وطبع للمرة الثانية سنة ١٣٨٥هـ - ١٣٨٨هـ على نفقة الملك فيصل واكمل في ١٢ جزءاً. ثم طبع الطبعة الثالثة باسم الطبعة الثانية منقحة ومزيدة بين سنتي ١٤٠٢هـ - ١٤١٧هـ في ١٦ جزءاً^(١).

* يقول - رحمه الله واجزل مثوبته - في مقدمة الكتاب: «... وقد صنف العلماء في كل عصر ومصر، في الأصول، والفروع، وغيرها ما لا يحصى، حفظاً للدين، والشريعة، وأقوال أهل العلم؛ وليكون آخر الأمة كأولها في العلم والعمل، والتزام أحكام الشريعة، وإلزام الناس بها؛ لأن ضرورتهم إلى ذلك فوق كل ضرورة، ولولا ذلك، لجرى على ديننا ما جرى على الأديان قبله، فإن كل عصر لا يخلو من قائل بلا علم، ومتكلم بغير إصابة ولا فهم.

فوضح هؤلاء الأبحار الطريق إلى الله بالعلم، وأبرزوا مشكلات الحوادث بينابيع الفهم، بما يثلج الصدور ويطرده الوهم، وصارت فتاويهم وأجوبتهم هي المعبرة عند القضاة والمفتين، لرجحانها بالدليل، وموافقتها القواعد والتأصيل.

وها هو ذا: يفصح عن نفسه، ويدل على عظيم نفعه، جامعاً شاملاً نافعاً، فيه من الفوائد ما هو حقيق أن يُعصَّ عليه بالنواجذ، وتثنى عليه الخناصر، ويكب عليه أولو البصائر النوافذ، اشتمل على أصول أصيله، ومباحث جليلة، لا تجدها في كثير من الكتب المصنفة، ولا الدواوين المؤلفة.

فإن أردت مقام الدعوة إلى الدين، وتوحيد رب العالمين، وجدته بأحسن أسلوب وأتم تبين، وإن أردت حل مشكلات الفروع عن يقين، فخذها

(١) طباعة الكتب ووقفها عند الملك عبدالعزيز ص ٨٦ .

عليها النور المستبين، أو أردت حكم جهاد المفسدين، ألفتها على وفق سيرة سيد المرسلين، أو أردت حل أوهام الزائغين، وجدتها مجلوة بأوضح البراهين، أو استنباط آيات من كلام رب العالمين، أفادك ما لا يوجد في كلام أكثر المفسرين، أو نصائح شاملة في أمور الدين، لقيتها آية باهرة للمتأملين، ألفتها فحول، من هداة مهتدين، تهدي إليك ساطعة بالنور المستبين، تشتاق إليها نفوس الموحدين، وتطمئن بها قلوب المؤمنين، وتنشرح لها صدور الطالبين».

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - وهو يتحدث عن أئمة الدعوة: «ومن هؤلاء الأئمة المبرزين الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -، وأنصاره في القرن الثاني عشر وما بعده، قد برزوا في هذا الميدان، وكتبوا الكتابات العظيمة الناجحة، وأرسلوا الرسائل إلى الناس وردوا على الخصوم. وأوضحوا الحق في رسائلهم ومؤلفاتهم، بأدلة من الكتاب والسنة، وقد جمع من ذلك العلامة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله - جملة كثيرة في كتابه المسمى: «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»^(١).

* ولا شك أن حال بلاد نجد في تلك الفترات وما قبلها كما قال الشيخ محمد رشيد رضا: لا نعرف في تاريخ الإسلام شعباً دخل في (جميع الأطوار) التي دخل فيها الإسلام في نشأته الأولى غرباً وجهاداً وهجرة وحجاجاً وقوة غير هذا الشعب النجدي^(٢).

(١) فتاوى ورسائل ابن باز ٧٧/٤ وانظر ٤١٧/٢٣.

(٢) مقدمة مجموع الرسائل والمسائل ج ٣.

وقد حوت مجلداتها ما يلي:

- المجلد الأول: وقد شمل تقرير الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، وتقرير الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وتقرير الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري - رحمهم الله - . ومقدمة للجامع مع تنبيهات، ثم بدأ المجموع المبارك بكتاب العقائد. ويقع في (٦٠٧) صفحات، مع الفهرس .

- المجلد الثاني: كتاب التوحيد، ويقع في (٣٧١) صفحة، مع الفهرس .

- المجلد الثالث: كتاب الأسماء والصفات، ويقع في (٣٨٨) صفحة، مع الفهرس .

- المجلد الرابع: القسم الأول من كتاب العبادات، ويقع في (٤٤٩) صفحة، مع الفهرس .

- المجلد الخامس: القسم الثاني من كتاب العبادات، ويقع في (٤٢٥) صفحة مع الفهرس .

- المجلد السادس: كتاب البيع، ويقع في (٤٨٣) صفحة، مع الفهرس .

- المجلد السابع: من كتاب الوقف إلى نهاية الإقرار، ويقع في (٦١٩) صفحة، مع الفهرس .

- المجلد الثامن: القسم الأول من كتاب الجهاد، ويقع في (٥١٢) صفحة، مع الفهرس .

- المجلد التاسع: القسم الثاني من كتاب الجهاد وأول كتاب حكم المرتد، ويقع في (٤٥٥) صفحة، مع الفهرس .

- المجلد العاشر: القسم الأخير من كتاب حكم المرتد، ويقع في (٥٣٣) صفحة، مع الفهرس.
- المجلد الحادي عشر: القسم الأول من مختصرات الردود، ويقع في (٦٠٠) صفحة، مع الفهرس.
- المجلد الثاني عشر: القسم الثاني من مختصرات الردود، ويقع في (٦٥٤) صفحة، مع الفهرس.
- المجلد الثالث عشر: تفسير واستنباط سور وآيات من القرآن العظيم، ويقع في (٤٦٩) صفحة، مع الفهرس.
- المجلد الرابع عشر: كتاب النصائح، وعدد صفحاته (٥٨٣) صفحة، مع الفهرس.
- المجلد الخامس عشر: القسم الأول من البيان الواضح وأنبل النصائح عن ارتكاب الفضائح، ويقع في (٥٠٨) صفحات، مع الفهرس.
- المجلد السادس عشر: القسم الثاني من البيان الواضح وتراجم أصحاب تلك الرسائل والأجوبة، ويقع في (٥١٢) صفحة، مع الفهرس.
- * وقد قام العم الشيخ سعد بن قاسم - وفقه الله - بمراجعة هذه الطبعة وأضاف ما كان الجد - رحمه الله - قد وضعه ولم يطبع.
- ويتبادر إلى الذهن أن هذه الطبعة محذوف منها بعض المواضيع والأبواب، والصحيح: أنها كاملة ومطابقة للطبعات القديمة؛ بل وفيها الزيادة التي جعلها الجد - رحمه الله - ولم تطبع. ولما كانت الاضافة تستدعي التأخير والتقديم التبس على البعض أن هناك شيئاً محذوفاً.

ثناء العلماء على «الدرر السنية»:

كتاب: «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» كتاب عظيم القدر جليل الفائدة، فهو مستودع علوم ومعارف أئمة الدعوة في نجد، منذ عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - إلى هذا الزمن.

ومع عظم فائدته وجزالة ألفاظه وجمال معانيه، حظي بقراءة وتقديم كوكبة من أجل العلماء منهم: الشيخ محمد بن عبداللطيف، والشيخ سعد بن حمد ابن عتيق، والشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، والشيخ محمد بن إبراهيم - رحمهم الله - وقُرئ في دروس الأئمة المعاصرين كسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ محمد بن عثيمين - رحمهما الله - وغيرهما من العلماء الأجلاء.

ومن ثناء العلماء على هذا المجموع ما يلي:

قال الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ - رحمه الله - في تقريره لهذا الكتاب (١/٥ - ٦): «نظرت في هذا المجموع الفائق الرائق، الذي جمعه ورتبه الابن عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، فرأيت قد جمع علوماً مهمة، ومسائل كثيرة جمّة، مما أوضحه علماء أهل هذه الدعوة الإسلامية، في مسائلهم ورسائلهم الساطعة أنوارها، لمن أراد الله هدايته.

فإنهم - رحمهم الله - حرروا هذه المسائل والرسائل تحريراً بالغاً، مشتملاً على مستنداته، من البراهين والحجّة، وعلى طريق الهداية، إلى واضح السبيل والمحجة، لا سيما ما تضمنه من العقائد والردود والنصائح، التي لا تظفر بأكثرها في مجموع سواه.

وقد رتبها الترتيب الموافق، وتابع بينها التابع المطابق، لا سيما المسائل الفقهية، التي رتبها على حسب أبواب الفقه، وفرقها فيها من غير إخلال

بشيء من المقصود فكان هذا المجموع هو الدررة المفقودة، والضالة المنشودة». * وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - في تقديمه (للدرة السنية) (١/٧ - ٨): «فقد سمعت هذا المجموع الفائق مرتين، وبعضه أكثر من ذلك، بقراءة جامعِهِ ومُرتبِهِ: الأخ الفاضل، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، فوجدته - وفقه الله تعالى -، لم يأل جهداً في جمع رسائل أئمتنا، أئمة هذه الدعوة، وأجوبتهم، وتتبعها من مظانها، ولم يترك - وفقه الله تعالى - شيئاً مما ظفر به... وقد أجاد ترتيبها بما يسهل على المستفيد طريق ما يقصد من الفائدة ويريد...».

* وقال الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري - رحمه الله - في تقديمه (الدرر السنية) (١/٩): «قد أجاد - وفقه الله - في ترتيبها، وجمع مشتتها وتبويبها، لا سيما المسائل الفقهية، والفتاوى الفروعية فإنه رتبها على تبويب متأخري الفقهاء من أصحابنا - رحمهم الله - فأبرز مخبآت خرائدها، واقتنص ما تشنت من شواردها، حتى تيسر للطلاب اجتناء دررها، والتلذذ بالنظر إلى محيا غررها، فإنها كانت قبلُ متفرقة في رسائل شتى، لا تكاد تحصل القليل منها، فضلاً عن الكثير، فجاءت - والله الحمد - عديمة النظير...».

وقال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله -: «... ومن أحسن ما جمع في ذلك الأجزاء الأولى من الدرر السنية التي جمعها الشيخ العلامة عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله - فإنه جمع فيها فتاوى أئمة الدعوة من آل الشيخ وغيرهم من علماء القرن الثاني عشر وما بعده في العقيدة والأحكام فأصح بقراءتها ومراجعتها وغيرها من كتب علماء السنة

لما في ذلك من الفائدة العظيمة . . .»^(١) .

وقال - رحمه الله - عن كتب العقيدة: « . . . ومن أجمع ذلك فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، والدرر السنية في الفتاوى النجدية، جمع العلامة الشيخ عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله -»^(٢) .

* وكانت تقرأ على سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - في دروسه ويتولى الشرح والتعليق عليها^(٣) .

قال - رحمه الله - وهو يتحدث عن أئمة الدعوة: وقد جمع من ذلك العلامة الشيخ عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله - جملة كثيرة في كتابه المسمى: «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»^(٤) .

* وقد سُئل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - عن كتب طالب العالم: فذكر منها في العقيدة: «كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية» جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله -»^(٥) .

* قال الشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله - في رسالته (ما عرفته عن شيخنا عبدالرحمن بن قاسم): وقد اشتغل في أول أمره بجمع فتاوى أئمة الدعوة ومن تتلمذ عليهم، فنسخ ما عثر عليه منها بقلمه الحسن، وعرضها على شيخه وزميله سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف الذي كان يحثه ويحرضه على مواصلة هذا العمل الكبير، وقد ذكر سماحة الشيخ محمد - رحمه الله - أن الشيخ عبدالرحمن قد قرأ عليه تلك

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٦٣/٧ .

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٧٠/٧ .

(٣) الامام بطريقة دروس الإمام ص ٣٦ .

(٤) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٤١٧/٢٣ .

(٥) من كتاب العلم للشيخ ابن عثيمين ص ٩٢ .

الرسائل والمسائل مرة أو مرتين أو أكثر من ذلك، واستشاره في كيفية الترتيب والتبويب، والتقديم والتأخير، وقد صبر على السهر والتعب في جمع تلك الرسائل، فقد كان يسهر أكثر الليل، وينسخ تلك المخطوطات بقلمه ومداده، مع ضعف الإنارة قبل وجود الأنوار الكهربائية، وقبل وجود أجهزة التصوير، والمسجلات الصوتية المسموعة والمرئية، ومع ذلك تجشم المشقة، ووطن نفسه على تحمل التعب في النقل والنسخ بمفرده غالباً، حيث إن بنيه لم يزالوا صغاراً، وكذا زملاؤه، وعمل كما عمل مشايخه ومن قبلهم في الصبر على النسخ القديم، والكتابة بالأقلام الخشبية، والمحابر والمداد الذي يصلحونه، فأحدهم يتخذ القلم من القصب ويبري رأسه، ثم يشقه ليعلق به المداد، ثم يغمسه في الدواة ويرفعه فيكتب به قليلاً ثم يعود فيغمسه، وهو الذي ألغز فيه الحريري في المقامات بقوله:

ومأموم به عرف الإمام

كما باهت بصحبته الكرام

له إذ يرتوي طيشان صاد

ويسكن حين يعمروه الأوام

ويذري حين يستسعى دموعاً

يرقن كما يروق الأبتسام

وبالجملة فقد بذل جهداً جهيداً في جمع رسائل ومسائل أئمة الدعوة

من عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى المؤلف، ورتبها وقربها، وسماها

«الدرر السنية في الرسائل والمسائل النجدية» ثم طلب طبعها فوافق على ذلك

الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن - رحمه الله تعالى - وطبعت في المطبعة

الحكومية في مكة المكرمة وقد فرغ الشيخ للتصحيح والمتابعة، وصحبه

ابنه محمد - رحمهما الله تعالى - وتغرب لذلك عدة سنوات، حيث إن

المطابع قديمة، وتحتاج إلى صف الحروف وترتيبها كعادة المطابع القديمة، وقد طالت المدة في إكمال الطبع، وبقي من المجموع بعض الأجزاء التي طبعت مؤخراً عند تجديد الطبع، وهذا الجهد الذي بذله - رحمه الله - دليل على محبته للعلم والإفادة، وعلى تضلعه في علم التوحيد والعقيدة، والأحكام والآداب، يعرف ذلك من أمعن النظر في هذه الموسوعة الكبيرة وكيف تمكن من ترتيب المسائل ونسبة الأجوبة إلى أربابها وجمع الأسئلة المناسبة إلى بعضها، وسرد الرسائل الكبيرة كاملة بذكر كل نوع في الباب المناسب له، حتى خرجت بهذا المنظر الرائع الذي يعبر عن نصح وإخلاص، ومحبة للعلم وللعلماء، وإحياء لذكرهم، ونشر لعلومهم، حتى يستفيد منها من بعدهم، وحتى لا تنقطع أعمالهم بوجود العلم الذي ينتفع به تلاميذهم والمسلمون إلى ما يشاء الله - تعالى - .

* وقال الشيخ عبدالله بن بسام وهو يذكر مؤلفات الجد - رحمه الله -: «... قيامه على فتاوى علماء نجد ورسائلهم ونصائحهم المبعثرة المفرقة، وجمعها ثم تحقيقها وترتيبها حسب التآليف المعروفة، حتى صارت عدة أجزاء في التوحيد والردود والنصائح والفتاوى، ثم أمر جلالة الملك عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - بنشرها فانتشرت بين العلماء وطلاب العلم فصار لها أكبر الفائدة وأعظم النفع...»^(١).

* وأثنى كذلك الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - على كتاب (الدرر السنية) وغيرها من مؤلفات الشيخ - رحمه الله -، كما في المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان حيث قال: «... وقرأ أيضاً في مجاميع الفتاوى مثل «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» و«مجموع فتاوى شيخ

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ٣/ ٢٠٤.

الإسلام ابن تيمية»، و«مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم...»^(١).

* وأثنى الشيخ بكر أبو زيد على (الدرر السنية) في كتابه حلية طالب العلم بقوله: «كتب أئمة الدعوة في نجد، لا سيما في الاعتقاد، وفي الفقهيات، ومن أجمعها «الدرر السنية في الفتاوى النجدية»^(٢).

* وقال فضيلة الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق - حفظه الله -:
 «... لا أعرف أحداً اهتم كاهتمام الشيخ عبدالرحمن بن قاسم بإحياء مآثر الدعوة النجدية السلفية، وإن كان قد سبقه الشيخ سليمان بن سحمان في جمعه مجموع الرسائل، والتي طبعت عام ١٣٤٧هـ في مصر بمراجعة وتصحيح رشيد رضا وبعد الشيخ سليمان جد ما يوجب النظر فيما أثر عن أئمة الدعوة من الكتب والفتاوى والمراسلات فكانت (الدرر السنية في الأجوبة النجدية) أول ما خرج من مجهودات الشيخ عبدالرحمن وقد قرأها على علماء أجلاء واستفاد منهم وأفادوه كان ذلك عام ١٣٥٧ هـ، وقد قدم الشيخ عبدالرحمن بن قاسم إلى الأفلاج، ومعه خطاب من الشيخ محمد بن إبراهيم موجه إلى أسرتنا في الأفلاج، يأمرهم بتسليم ما لديهم من الرسائل التي تخص المشايخ من آل عتيق للشيخ عبدالرحمن بن قاسم، وهذا كان في حال الجمع مما يدل على أن سماحة المفتي محمد بن إبراهيم متعاون معه ومشجعه على جمع الرسائل النجدية، وبعد جمعها وإخراجها أسماها الشيخ عبدالرحمن بـ (الدرر السنية في الأجوبة النجدية)، وكان ذلك إشارة منه لطمس معالم الدرر السنية في الرد على الوهابية للشيخ أحمد زيني دحلان، وقد جمعها في اثني عشر مجلد في طبعته الثانية

(١) المتقى ٣/ ٢١٣.

(٢) حلية طالب العلم ص ٥٥.

أما الطبعة الأولى فكانت أربع مجلدات طبعت في مطابع مكة المكرمة .
 * وقال الشيخ عبدالعزيز بن محمد السدحان عن الدرر السنية: « . . فهذا
 المجموع القيم أثنى عليه غير واحد من مشايخ العلم، وفيه من العلم الغزير
 والتحقيق المفيد الشيء الكثير . . . »^(١) .
 * وقد لقي - رحمه الله - من المشقة والعنت الشيء الكثير؛ حال جمعها
 وحين طبعتها، وبعد نشرها، فأسأل الله أن يجزل له المثوبة وأن يرفع درجته
 في عليين .

وقفقة مع كتاب «الدرر»:

* من المعلوم لدى القارئ أن (الدرر السننية في الأجابة النجدية) هي رسائل وفتاوى وردود لأئمة الدعوة بدءاً من الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وأحفاده وتلامذته، لذا فمن المستحسن أن نقف قليلاً على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبعض ما قيل حولها:

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

من المحزن حقاً ما نراه في كثير من البلدان رمي من يدعو إلى عبادة الله وحده وتجريد التوحيد من الشريكيات بـ (الوهابية)، و(الوهابية لفظة يطلقها خصوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - على دعوته إلى تجريد التوحيد من الشريكيات، ونبذ جميع الطرق إلا طريق محمد ﷺ).

ومرادهم من ذلك: تنفير الناس من دعوته وصددهم عما دعا إليه، ولكن لم يضرها ذلك، بل زادها انتشاراً في الآفاق وشوقاً إليها ممن وفقهم الله إلى زيادة البحث عن ماهية الدعوة وما ترمي إليه. وما تستند عليه من أدلة الكتاب والسنة الصحيحة، فاشتد تمسكهم بها، وعضوا عليه وأخذوا يدعون الناس إليها والله الحمد^(١).

قال المؤرخ الشهير ابن بشر عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «... وكان - رحمه الله - في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام، فشرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه، وكان الشرك إذ ذاك قد فشا في نجد وغيرها وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور والثناء عليها والتبرك

(١) اللجنة الدائمة ١٧٤/٢.

بها والنذر لها والاستعاذة بالجن والنذر لهم، ووضع الطعام وجعله لهم في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم والحلف بغير الله وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر. والسبب الذي أحدث ذلك في نجد - والله أعلم - أن الأعراب إذا نزلوا في البلدان وقت الثمار صار معهم رجال ونساء يتطيّبون ويداؤون فإذا كان في أحد من أهل البلد مرض أو في بعض أعضائه جاءه أهله إلى متطيبة ذلك القطين. من البادية فيسألونهم عن دواء علتة فيقولون لهم اذبحوا في الموضع الفلاني كذا وكذا إما تيساً أصمماً أو خروفاً بهيماً أسوداً، وذلك ليحققوا معرفتهم عند هؤلاء الجهلة ثم يقولون لهم: لا تسموا الله على ذبحه وأعطوا المريض منه كذا وكذا وكلوا كذا وكذا وربما يشفي الله مريضهم فتنة لهم واستدرجاً وربما يوافق وقت الشفاء حتى كثر ذلك في الناس وطال عليهم الأمد، فوقعوا في عظامم بهذا السبب وليس للناس من ينهاهم عن ذلك، فيصدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورؤساء البلدان وظلمتهم لا يعرفون إلا ظلم الرعايا والجور والقتال لبعضهم البعض، فلما تحقق للشيخ - رحمه الله - معرفة التوحيد ومعرفة نواقضه وما وقع فيه كثير من الناس من هذه البدع المضلة صار ينكر هذه الأشياء...».

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرعية:

لما استوطن الشيخ الدرعية وكان أهلها في غاية الجهالة، ورأى ما وقعوا فيه من الشرك الأكبر والأصغر والتهاون بالصلوات والزكاة ورفض شعائر الإسلام جعل يتخولهم بالتعليم والموعظة الحسنة، ويفهمهم معنى لا إله إلا الله، ويشرح لهم معنى الألوهية وأن الإله هو الذي تأله القلوب محبة وخوفاً ورجاء، وأن الإسلام هو الاستسلام لأمر الله - تعالى - والانقياد له

والإذعان والخضوع والذبح والإنابة والتوكل ويعلمهم أصول الدين والإسلام وقواعده، ومعرفة نبيهم ﷺ ونسبه ومبعثه وما دعا إليه وهي لا إله إلا الله وما تضمنته وأنهم مبعوثون بعد الموت، فلما استقر في قلوبهم معرفة التوحيد وضده بعد الجهالة أشرب حب الشيخ في قلوبهم...»^(١).

ثمرات التمسك بالتوحيد:

ذكر ابن بشر: إن الله منّ بالرزق الواسع بعد الشدة والابتلاء على من هاجر إلى الدرعية (ولقد رأينا الدرعية بعد ذلك في زمن سعود بن عبدالعزيز ابن محمد بن سعود - رحمهم الله تعالى - وما فيه أهلها من الأموال وكثرة الرجال والسلاح المحلي بالذهب والفضة وعندهم الخيل الجياد والنجائب العمانيات والملابس الفاخرة والرفاهيات ما يعجز عن عدده اللسان ويكل عن حصره الجنان والبنان، ولقد نظرت إلى موسمها يوماً وأنا في مكان مرتفع وهو في الموضع المعروف بالباطن بين منازلهم الغربية التي فيها آل سعود والمعروفة بالطريف وبين منازلهم الشرقية المعروفة بالبحيري التي فيها أبناء الشيخ ورأيت موسم الرجال في جانب وموسم النساء في جانب وما فيه من الذهب والفضة والسلاح والإبل والأغنام وكثرة ما يتعاطونه من صفقة البيع والشراء والأخذ والعطاء وغير ذلك وهو مدّ البصر لا تسمع فيه إلا دوي النحل من النجناح (الحركة) وقول بعت واشترت والدكاكين على جانبيه الشرقي والغربي وما فيها من الهدم (الملابس) والقماش والسلاح ما لا يوصف فسبحان من لا يزول سلطانه ومملكه...»^(٢).

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد ١/١٩.

(٢) المرجع السابق ١/٢٥.

ويستحسن هنا ذكر نموذج من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب لبيان

دعوته:

قال - رحمه الله - في رسالته إلى عبدالرحمن بن عبدالله السويدي: « . . . وأخبرك أنني - والله الحمد - متبع لست بمتدع، عقيدتي التي أدين الله بها هي مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة، ولكنني بينت للناس إخلاص الدين لله، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم وعن إشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يشركه فيه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم^(١) .

وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول ثم بعد ما عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فضله وأكثر الأمة - والله الحمد - ليسوا كذلك، وأما القتال فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة فإننا نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة و(جزاء السيئة سيئة مثلها) وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعد ما عرف) .

(٢) الدرر السنية ١/ ٥٤ .

(٣) الدرر السنية ١/ ٥١ .

جهل الكثير بحقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . رحمه الله .:

قال الشيخ محمد بن إبراهيم بعد أن ذكر إمكان نشر الدعوة إلى الله ولو بطريق التنقل والسياحة وبيان حقيقة ما دعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - : «وأنا أقص الآن قصة عبدالرحمن البكري من أهل نجد كان أولاً من طلاب العلم على العم الشيخ عبدالله وغيره ثم بدا له أن يفتح مدرسة في عمان يعلم فيها التوحيد من كسبه الخاص ، فإذا فرغ ما في يده أخذ بضاعة من أحد وسافر إلى الهند وربما أخذ نصف سنة في الهند .

قال الشيخ البكري : كنت بجوار مسجد في الهند وكان فيه مدرس إذا فرغ من تدريسه لعن ابن عبد الوهاب ، وإذا خرج من المسجد مر بي وقال أنا أجيد العربية لكن أحب أن أسمعها من أهلها ، ويشرب من عندي ماءً بارداً ، فأهمني ما يفعل في درسه ، قال : فاحتلت بأن دعوته وأخذت «كتاب التوحيد» ونزعت ديباجته ووضعت على رف في منزلي قبل مجيئه ، فلما حضر قلت : أتأذن لي أن آتي ببطيخة . فذهبت ، فلما رجعت إذا هو يقرأ ويهز رأسه ، فقال : لمن هذا الكتاب؟ هذه التراجم شبيه تراجم البخاري ، هذا والله نفس البخاري؟! فقلت : لا أدري! ثم قلت : ألا نذهب للشيخ الغزوي لنسأله - وكان صاحب مكتبة وله رد على جامع البيان - فدخلنا عليه ، فقلت للغزوي : كان عندي أوراق ، سألتني الشيخ من هي له؟ فلم أعرف ففهم الغزوي المراد ، فنادى من يأتي بكتاب «مجموعة التوحيد» فأتي بها فقابل بينهما ، فقال هذا لمحمد بن عبد الوهاب ، فقال العالم الهندي مغضباً وبصوت عال : الكافر ، فسكتنا قليلاً ، ثم هدأ غضبه فاسترجع ، ثم قال : إن كان هذا الكتاب له فقد ظلمناه ، ثم إنه صار كل

يوم يدعو له، ويدعو معه تلاميذه، وتفرق تلاميذه في الهند وإذا فرغوا من القراءة دعوا جميعاً للشيخ ابن عبد الوهاب^(١).

✽ **كتب فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان تحت عنوان: «كتب أئمة**

الدعوة محل الثقة وإن لم تكن معصومة»:

رداً على أحد الكتاب فقال - حفظه الله - : «فإن الله منّ على هذه البلاد السعودية خصوصاً وعلى بلاد المسلمين عموماً بظهور دعوة الشيخ الإمام المجدد: محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - إلى التوحيد والتمسك بالسنة والنهي عن الشرك والبدع والتقليد الأعمى، فقامت على دعوته دولة إسلامية كتب الله لها الاستمرار مع ماتعرضت له على يد مخالفيها من أذى ومضايقات ومحاولات للقضاء عليها فبقيت لأنها دعوة حق، والحق يبقى والباطل يذهب: ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۗ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

وقد توارث هذه الدعوة والقيام بها أئمة خلفوا الشيخ في الدفاع عنها ورد شبهات خصومها في كتب ورسائل وفتاوى وقد جمعت هذه الفتاوى والرسائل في مجموعة تسمى بـ«الدرر السنية» وأعقبها مجموعات أخرى على نمطها كفتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - .

وفتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - وفتاوى اللجنة الدائمة ومنتظر صدور فتاوى الشيخ عبدالله بن حميد - رحمه الله - .

فكانت هذه المجموعات وبجانبيها الكتب التي ألفها أئمة الدعوة في الرد على شبهات الخصوم رصيماً علمياً مباركاً ومناراً مشعاً على الحق، وصارت محل الثقة بين الخاص والعام لأنها نتاج جهود علمية من أئمة فضلاء،

(١) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ٤٥ .

وقد تداولها العلماء بالدراسة والتدريس والرجوع إليها عند الحاجة ولم تكن محل شك عند من يريد الحق من علماء المسلمين في داخل المملكة وخارجها، بل إن الطلبات تتوالى عليها من كل جهة مما دعا إلى تكرار طباعتها وتوزيعها بالآلاف، ولكن في الآونة الأخيرة وجد من يشكك فيها أو يتهمها بأنها تنشر التكفير والإرهاب، كما نشر ذلك في بعض الصحف بدافع الهوى أو بدافع الجهل بمحتويات هذه الكتب أو استمرار في معارضة هذه الدعوة من قبل خصومها أو لأنها لا تتفق مع رغبات أصحاب الأفكار المسالمة للآخرين مما يسمونه بالرأي والرأي الآخر مع أن الدين وحي منزل لا مجرد آراء وأفكار، ولقد ساءني وساء كثيراً من أهل العلم ما نشر منسوباً إلى « . . . » في حديث صحفي عنوانه ومضمونه قوله: لا ندعي العصمة لمقولات وكتب وأئمة الدعوة السلفية ومراجعتها تحتاج إلى مؤسسات علمية.

وأقول لفضيلته:

أولاً: هل لا يعتمد إلا على كتاب معصوم، فجميع الكتب - ما عدا كتاب الله وسنة رسوله ليست معصومة، وما زال المسلمون يعتمدون عليها، وفضيلته - وإن كان لا يريد توقف الاعتماد على كتب أئمة الدعوة - يفتح مجال الشكوك في هذه الكتب ويجري خصومها على التشكيك فيها؛ لأنها تحتاج عنده إلى مراجعة على يد مؤسسات علمية، ولماذا تحتاج إلى المراجعة وهي المرجع العلمي المبني على الكتاب والسنة ومنهج السلف، ثم ما مصير كتب علماء المسلمين؟ هل يتوقف العمل بها حتى تفحص لدى لجان علمية بناء على اقتراح الشيخ.

ثانياً: كلامه هذا يعطي أن هذه الكتب لم تمحص ولم تفحص من قبل المختصين، فهي بحاجة إلى تكوين لجنة علمية تتولى فحصها وبيان ما فيها من أخطاء، ونقول لفضليته: إن هذه الكتب بحمد الله من عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى وقتنا هذا ما زال العلماء يقرؤونها ويدرسونها في المساجد وفي المدارس والمعاهد والكليات وما انتقدوها بشيء، و(الدرر السنية) بالذات قرأها وقرضها ثلاثة من أئمة الدعوة هم:

- ١ - سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي البلاد السعودية ورئيس قضائها وشيخ العلماء في وقته.
- ٢ - فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري قاضي سدير وهو من جهابذة العلماء.

٣ - فضيلة الشيخ محمد بن عبداللطيف القاضي والداعية المعروف والعالم الغيور والمدرس المشهور والعالم الجليل..»^(١).

* والمتبع لمن يطعنون في هذا الكتاب العظيم، بعضهم لجهل ومسايرة للغير، وآخرون من أصحاب المل والنمل الباطلة ومن وافقهم وسار معهم وقبل رؤسهم، وآخرون يرون الخروج على ولي الأمر وعدم السمع والطاعة له في المعروف وهؤلاء يرد عليهم كتاب الدر السنية ويخالف منهجهم فلا يريدونه.

قال شيخ الإسلام عنهم فلا تجد قط مبتدعاً إلا وهو يحب كتمان النصوص التي تخالفه ويبغضها، ويبغض أظهارها وروايتها والتحدث بها ويبغض من يفعل ذلك، كما قال بعض السلف: ما ابتدع أحد بدعة إلا نزع حلاوة الحديث من قلبه»^(٢).

(١) مجلة الدعوة - العدد ١٩٩١ - ٢٦ ربيع الأول ١٤٢٦هـ.

(٢) مجموع الفتاوى ١٦١/٢٠.

أراجيف وأباطيل (*) :

«شغب بعضهم على شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله - فاتهموه بالرّفْض والإلحاد، فقال بعض العلماء حينئذ: والله لو سُئِلَ هؤلاء عن الرّفْض والإلحاد ما عرفوه ولا فهموه!

والتَّاريخ يُعيد نفسه، فإنَّ الشَّيخ الإمام محمَّد بن عبد الوَّهاب - رحمه الله - وأتباعه يُتهمون في هذه الأيام، بالتكفير وإراقه الدماء من قبل علمانيين منافقين ومن تبعهم بسوء من تنويرين ومنهزمين، مع أن في أولئك القوم من لم يفقه الإيمان فضلاً عن أن يعرف الكفر والتكفير وشروطه وموانعه، فهم أحوج ما يكونون إلى الاستتابة والدخول في دين الله - تعالى -، وتعلم الأصول الثلاثة التي يسأل عنها كل مكلف في قبره ويوم بعثه ونشره.

وقد استغل كثير من هؤلاء القوم الحملة الأمريكية على الإسلام وأهله تحت ستار الحملة على «الوهابية» وراحوا يبررون الشبهات، ولا يتوخون الموضوعية والأمانة العلمية فيما يقولون.

ومنذ أن أشرقت شمس هذه الدعوة على جزيرة العرب، وصار لها من القبول والظهور ما لها، وخصوم هذه الدعوة يحيكون المؤامرات، ويشيرون الشبهات والاعتراضات.

وتتضمَّن هذه المقالة عدَّة حقائق عن هذه الدعوة، مع جملة من الأوهام والإشكالات المثارة ضدها والجواب عنها:

* تميَّزت هذه الدَّعوة بالالتزام بمنهج راسخ وعقيدة ثابتة وأهداف جليَّة، كالتَّلقي من نصوص الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة، ووجوب صرف جميع

(*) نقلاً عن مجلة البيان العدد (١٩٨) بعنوان: «دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب: حقائق وأوهام» للدكتور عبدالعزيز آل عبد اللطيف، باختصار.

أنواع العبادة لله - تعالى - وحده، والتحذير من الشرك ووسائله وذرائعه، فكثيراً ما كان الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب يقرر أن الله - تعالى - هو المعبود المقصود فلا يُقصد إلا الله - تعالى - وأنَّ الحنيفية ملة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - هي الإقبال على الله - تعالى - والإعراض عمّا سواه، وظهر أثر هذه التربية والتّقرير من خلال مواقف عملية سطرها المؤرّخون كابن بشر وغيره ومن ذلك أن «امرأة أتت إلى الشيخ واعترفت عنده بالزنا بعدما ثبت عنده أنها محصنة، وتكرّر منها الإقرار، واستخبر عن عقلها فإذا هي صحيحة العقل، فقال: لعلك مغضوبة؟ فأقرت واعترفت بما يوجب الرّجم، فأمر بها فرُجمت»^(١).

إنَّ التعلُّق بالله - تعالى - وخشيته - عز وجل - في السرِّ والعلن جعل تلك المرأة تُقدم بكلّ طواعية على الاعتراف بفعلتها، وترغب في تطهيرها بتلك العقوبة الموجهة خوفاً من الله - تعالى - ورغبة فيما عنده - سبحانه - .

وقد أثار بعضهم أنذاك شبهة أن الشيخ أقام الحدود بدون إذن الإمام، فكان من جوابه - رحمه الله - عن تلك الشبهة: «لا يُعرف أن أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصحُّ إلا بالإمام الأعظم . . ولكن أعداء الله يجعلون هذه الشبهة حجة في ردِّ ما لا يقدر على جحده، كما أنني لما أمرت برجم الزانية قالوا: لا بدّ من إذن الإمام، فإن صحَّ كلامهم لم تصح ولا يتهم القضاء ولا الإمامة ولا غيرها»^(٢).

* لما أظهر الشيخ دين الله - تعالى - وحقق التوحيد في نفسه وأتباعه في جزيرة العرب، وأقام شرع الله - تعالى -، استتبَّ الأمن، وتحقّق

(١) عنوان المجد، ٢/٣٥٧.

(٢) عنوان المجد، ٢/٢٦٧، باختصار.

الاستقرار، وعمَّ الرِّخاء، وكثرت الخيرات.

ويتضح للقارئ البون الشَّاسع بين حال الجزيرة العربية - أمنياً واقتصادياً - قبيل ظهور الدَّعوة وبعد ظهورها، ففي قرية صغيرة في نجد تُسمَّى (التويم) عمد أحدهم إلى قتل أميرها - وكان ابن عمه -، وما أن صار القاتل أميراً حتَّى قُتل، ثمَّ ولي الإمارة شخص ثالث فغدر به، ثمَّ وُلِّىها رابع فتملاً عليه رجال فقتلوه، ثمَّ تنازع «القتلة» في الإمارة، فقسموا تلك القرية الصغيرة أربعاً، وصار كل واحد أميراً على ربعها، وكل هذه الوقائع حدثت في سنة واحدة.

قال المؤرخ ابن بشر معلقاً على تلك الحادثة: «إنما ذكرت هذه الحكاية ليعرف من وقع عليها وعلى غيرها من السَّوابق، نعمة الإسلام والجماعة والسَّمع والطاعة، ولا تعرف الأشياء إلا بأضدادها، فإنَّ هذه قرية ضعيفة الرِّجال والمال، وصار فيها أربعة رجال كلُّ واحد منهم يدَّعي الولاية على ما هو فيه»^(١).

وأما بعد ظهور الدَّعوة فقد كانت البلاد آمنة مطمئنة، والشَّخص الواحد يسافر بالأموال العظيمة أي وقت شاء، في نجد والحجاز واليمن وتهامة وعمان وغير ذلك، ولا يخشى إلا الله، ولا سارق ولا مكابر... وكانت جميع بلدان نجد في أيام الرِّبيع يسيرون جميع مواشيهم في البراري ليس لها راع»^(٢).

✽ من الآثار المشرقة لهذه الدعوة المباركة ما أورثته من تسطير لتأريخ موطنها وتدوين الحوادث والوقائع فيها، كما هو ظاهر في تاريخ ابن غنام

(١) عنوان المجد، لابن بشر، ٣٩/١.

(٢) مجموعة مؤلفات الشيخ، ٦٧/٣.

وابن بشر ونحوهما، فقد كانت نجد نسياً منسياً طوال القرون الماضية، ولم يحفظ لنا التاريخ عن تلك الحقبة المظلمة سوى نتف مبعثرة كما هو مذكور في سوابق ابن بشر، ولعل الأمر كما قال ابن عقيل الحنبلي - رحمه الله -: «لما كان البلد مملوءاً بالأخيار قيص الله لها من يحكيها، فلما عدموا وبقي المؤذي والذميم العقل، أعدم المؤرخ، وكان هذا ستر عورة»^(١).

ومن جملة تلك الآثار العلمية ما سطره علماء الدعوة من رسائل وفتاوى وتقارير جُمعت في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، وفي «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»، فلقد حوت هذه الرسائل تراثاً نفيساً في مسائل الاعتقاد - ولا سيما توحيد العبادة وما يضافه - وأحكام العبادات والمعاملات، وأحكام الجهاد، والمرتد، والتفسير، والردود.

وانظر إلى هذا التراث المتميز جمعه ابن منقور في كتابه «الفواكه العديدة في المسائل المفيدة» لعلماء نجد قبيل الدعوة، فلا مقارنة بين الأمرين، فمجموع ابن منقور مجرد جزأين في فتاوى ومسائل في فروع مذهب الإمام أحمد، بينما تميزت الدرر بثناء في التأليف، وتنوع العلوم الشرعية، وقوة الدليل، وصحة الاستدلال، وتنزيل الأحكام الشرعية على الوقائع والأحداث.

يقول الشيخ عبدالله البسام - رحمه الله -: «مُنذ عرفنا علماء نجد حتى قيام الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله -، فإن علمهم يكاد ينحصر في الفقه، أي: في المسائل الفروعية الفقهية.. فعلم التفسير والحديث والتوحيد مشاركتهم فيها قليلة جداً.

فلما انتشرت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تغيّر هذا الاتجاه وتنوعت الثقافة وتعدد العلوم، فصارت العناية بالتوحيد لا سيما توحيد

(١) المنتظم، لابن الجوزي، (٢٧٦/١٦).

الألوهية، وصار الاهتمام بكتب التفسير السلفية كابن جرير وابن كثير والبيهقي ونحوها، وصار الالتفات إلى الحديث وأمّهات كتبه وشروحه، كما درست أصول هذه العلوم وصار الاهتمام بالفقه، وموضوع الدرس منه هو فقه الإمام أحمد بن حنبل مع الأخذ بالقول الراجح الذي يعضده الدليل.

وإذا أردت المقارنة بين العهدين بتحقيق المسائل العلميّة، فقارن بين فتاوى علماء نجد، التي نقل بعضها الشيخ أحمد المنقور في مجموعته، وبين فتاويهم التي جُمعت في «الدرر السنية» لترى أنّهم في الأول يقتصرون على المشهور من المذهب، ويحاولون تطبيق ما يفتون به على ما قال فقهاء الحنابلة، عاريةً من سوق الأدلة من الكتاب والسنة.

أما في «الدرر السنية» فترى الفتاوى مستقاة من مذهب أحمد - رحمه الله - إلا أنها مقرونة بأدلتها الشرعية، كما تجد أنها قد تخالف المشهور من المذهب حينما يكون الدليل الصحيح خلاف المذهب.

ونجد بجانب الفتاوى الفقهية بعد قيام الدعوة علوم الشريعة الأخرى، فهذا علم التوحيد الذي قامت الدعوة لتحقيقه، وهو الذي نال القسط الأوفر من العناية والتحقيق، والتأليف، وكتابة الرسائل، والنصائح، لا سيما فيما يتعلق بتوحيد العبادة، كذلك نجد الكتابة في التفسير والحديث. والقصد أنه يغير اتجاه الثقافة بين العهد الأول والعهد الثاني، حيث تحررت الأفكار، واتسعت المدارك، وتعددت جوانب العلوم^(١).

وقد ادعى بعضهم أن في «الدرر السنية» غلوًا وإفراطًا، وتكفيرًا للمخالفين، وتعطشًا للدماء، وهذه مجرد أوهام وظنون، وسبب ذلك الوهم جملة أمور منها:

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ١٧/١ - ١٩.

١ - أن أولئك القوم لم ينظروا إلى الملابس والظروف التي حُررت فيها تلك الرسائل، فليس من الموضوعية أن يُجتزأ نص من «الدرر السنينة» دون نظر إلى سياقه ومناسبة تأليفه.

٢ - أن الناظر إلى تقارير وأجوبة أولئك الأعلام ليدرك التزامهم بطريقة أهل السنة، وبراءتهم من تكفير من لا يستحقُّ التكفير، وإن كان ثمة إشكال، فإنما هو في تحقيق المناط «التطبيقات»، وتنزيل الأسماء والأحكام - كالكفر مثلاً - على الدول والأشخاص، وهذا الاختلاف في تحقيق المناط واقع ووارد، فقد اختلف السلف الأوائل في تكفير الخوارج مع ورود النصوص بمروقهم من الدين، ومع ذلك فجمهور الصحابة - رضي الله عنهم - لا يرون تكفير الخوارج، لكنهم لم يتهموا مخالفينهم - القائلين بتكفير الخوارج - بالتطرف والغلو!

٣ - لم يقتصر علماء الدعوة على تحرير المسائل وتحقيقتها، بل عمدوا إلى تنزيل الأحكام الشرعية - الملائمة - على الوقائع والأحداث، فمثلاً عندما يحزرون مسائل الولاء والبراء يُتبعون ذلك بسلوك وتطبيق ومواقف عملية تجاه طوائف ودول وأشخاص بالتنظير لتلك المسائل والتنصل من تطبيقها - لجملة من المسوغات التي ليس هذا موضع بحثها -، فهؤلاء الغارقون في التنظير تعترتهم الدهشة عندما يطالعون تراث علماء الدعوة وما تحويه من أحكام على واقعهم آنذاك، وربما أنكروا على أئمة الدعوة كما هو حاصل الآن.

وها هو العلامة عبدالرحمن السعدي - رحمه الله - والمعروف بعمق علمه، وبرحابة صدره وسعة أفقه حتى عند أولئك «الإصلاحيين»! يقرر - حسب فتاويه - معنى دار الكفر، ثم ينزل هذا الحكم على دول عربية

كانت محكومة آنذاك بالاستعمار البريطاني^(١).

٤ - ينبغي أن يراعى أن أولئك الأعلام - رحمهم الله - عندما يحكمون بكفر أشخاص وطوائف ومن خلال منظور شرعي، كانوا في ظل ولاية شرعية وزمن قوة وغلبة شوكة، ومن ثم نجد أن الأمر ظاهر عندهم، فمن استبان كفره أقيمت عليه الحجة واستتيب فإن تاب وإلا قتل، بخلاف زمن الضعف وبداية الدعوة، حيث كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في ابتداء دعوته إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب قال: «الله خير من زيد»^(٢) تمريناً على نفي الشرك بدين الكلام، ونظراً إلى المصلحة وعدم النفرة بخلاف لما ظهرت الدعوة وقامت الدولة.

ونلاحظ في الطرف المقابل لتلك القوة والعزة ما هو مشاهد في عصرنا من هيمنة وتسلط أمريكا، وغياب الولاية الشرعية في أكثر الأمصار، وخور أهل الإسلام، واستجابة كثير منهم لضغوط ومطالب أمريكا، مما جعل أولئك المستسلمين ينفرون من هذه الدعوة التي تصادم ضعفهم واستكانتهم.

٥ - يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «وسنام ذلك الجهاد في سبيل الله، فإنه أعلى ما يحبه الله ورسوله، واللائمون عليه كثير، إذ كثير من الناس الذين فيهم إيمان يكرهونه، وهم إما مخذلون مفترون للهمة والإرادة فيه، وإما مرجفون مضعفون للقوة والقدرة عليه، وإن كان ذلك من النفاق»^(٣).

(١) انظر: الفتاوى السعدية، ص ٩٢.

(٢) مجموعة التوحيد ص ٣٣٩.

(٣) الاستقامة ١/ ٢٦٥.

استطاع الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع الإمام محمد بن سعود وابنه الإمام عبدالعزيز - رحمهم الله - أن يقيموا دولة إسلامية في جزيرة العرب تحكم شرع الله - تعالى - ، وتنشر العلم وتقيم الحدود، وتحقق الأمن، وتظهر الجهاد في سبيل الله - تعالى - ، وتحمي الأموال عن طريق الزكاة والغنائم ونحوهما .

يقول محمد جلال كشك: «إذا كان محمد بن عبد الوهاب من ناحية العقيدة ليس بمبتدع، فهو من الناحية السياسية مجدد ومبدع، لقد استطاع أن يوقف حركة التاريخ، ويلوي عنق الأحداث التي كانت تدفع العالم الإسلامي دفعاً إلى التغريب، فمع الهزيمة الشاملة التي أصابت العالم الإسلامي أمام الغزو الأوروبي، كان الظن أو اتجاه الأحداث هو خضوع العالم الإسلامي للقانون الحضاري العام، وهو فناء المهزوم بالاندماج في حضارة المنتصر»^(١).

وإذا تقرّر أن هذه الدعوة المباركة سبب في وجود الدولة السعودية الأولى، أفسوغ ما تفوه به بعضهم بأن المذهب الوهابي سبب سقوط الدولة السعودية الأولى؟ أفصح أن يكون سبب وجودها سبب عدمها؟ اللهم إلا أن يكون مقصودهم أن تمسك هذه الدولة بالدين الصحيح، وقيامها بشعيرة الجهاد تجاه البريطانيين، كان سبباً في تسلط أولئك الصليبيين وأذنانهم «محمد علي باشا، وابنه طوسون، وإبراهيم» فهل يريد أولئك التفلت من دين الله - تعالى - من أجل السلامة من الغرب وعملائه؟!

(١) السعوديون والحل الإسلامي، ص ١٠٩ باختصار يسير.

لقد اتخذ القرار بتدمير الدولة السعودية الأولى حماية للمصالح البريطانية، حيث أصبحت الحملات الجهادية في بحر الخليج العربي خطراً مباشراً على بريطانيا، فلقد أفلقت بريطانيا تلك القوة البحرية ذات الأسطول الهائل «بل أرهبتها، وأشد جوانبها خطورة هو أنها ترفع لواء الإسلام، فأئى حرب مكشوفة ستكون بدون شك طويلة ومريرة، ولن تكون ناجحة إلا إذا قضي على الأصل، أي على الدولة السعودية في قلب الجزيرة العربية، وإذا أقدمت بريطانيا على هذه الحرب فإنها ستكون مغامرة محفوفة بالمخاطرة طويلة الأمد، قد تتحول بفعل تفاعل الظروف والأحداث إلى حرب صليبية»^(١).

ولذا تم تسخير العملاء المستغربين «محمد علي باشا، وابنه طوسون، وإبراهيم» لسحق هذه الدولة المتميزة، وقتل حكامها وعلمائها، ومنهم من قتل صبراً بالبنادق، منهم من جعل في فوهة المدفع، ثم رمي حتى سقط في الجو قطعاً، ومنهم من كانت تخلع جميع أسنانه قبل قتله كما هو مبسوط في تاريخ الجبرتي وابن بشر! فأئى الفريقين أحق بالإفساد وسفك الدماء؟!!

وكما قال المؤرخ محمد البسام في كتابه: «الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر»: «ولا - والله - ما تغلب عليهم صاحب مصر عن ضعف منهم أو جبن، بل خيانة من العربان، ورضا من ساكني البلدان».

(١) قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية. لسليمان الغنام، ص ٣٥. وانظر ص

«ثم تَوَجَّج إبراهيم باشا هذه الأعمال وهو رسول الحضارة الغربية بهدم مدينة الدرعية - التي سلم الإمام عبدالله بن سعود نفسه بشرط الإبقاء عليها - وتركها أطلالاً ما زالت تقوم شاهداً حياً على عظم الجريمة النكراء»^(١)(*) .

(١) المرجع السابق ص ٣٧ .

(*) وانظر كتاب (ثناء العلماء على كتاب الدرر السنية) للشيخ سليمان الخراشي - وفقه الله وسدده - من إصدارات دار القاسم للنشر .

حَاشِيَةٌ
الرَّوْضِ الْمُرْبِعِ
شَرْحُ
زَادِ الْمُسْتَفْعِ

جمع

الفقيه إمامي الله تعالى

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي

الحنبلي رحمه الله

١٣١٢ - ١٣٩٢ هـ

«... وهي البحر الذي لا ساحل له، يستفيد منه كل طالب علم باختلاف مذهبه على اختلاف مستوى علميته؛ لما فيه من الفقه المقارن المعضد بالدليل والمقرون بأقوال الأئمة كابن تيمية وابن القيم وغيرهما..»

٣. كتاب:

«حاشية الروض المربع» ويقع في (٧) مجلدات:

وهي حاشية على كتاب الروض المربع شرح زاد المستقنع؛ وتقع في سبعة مجلدات ضخمة، وهي حاشية حاوية لأكثر أقوال العلماء في مسائل الفقه، ففيها تتميم لمباحث الروض المربع في فقه الحنابلة، وفيها ذكر الأدلة وبيان اختيارات بعض المجتهدين من الحنابلة. وقد طبع الكتاب بعد وفاة المؤلف - رحمه الله - بإشراف فضيلة الشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله - وابن المؤلف العم الشيخ سعد بن قاسم - وفقه الله - وأولى الطباعات كانت في عام ١٤٠٢هـ ثم توالى طباعاتها بشكل دائم، وهي مقررة كمنهج دراسي في كلية الشريعة بالرياض وغيرها من الكليات الشرعية ويقع الكتاب في سبعة مجلدات:

الأول منها حوى: ترجمة مؤلف الحاشية، مقدمة عامة، خطبة لمؤلف الحاشية، وأصولاً وقواعد وتنبهات لمؤلف الحاشية، وخطبتين للشارح والماتن. ثم كتاب الطهارة إلى نهاية باب شروط الصلاة وفهرساً، وعدد صفحاته (٥٨٤) صفحة.

المجلد الثاني: بقية أبواب وفصول الصلاة، وفهرس. وعدد صفحاته (٥٦٩) صفحة.

المجلد الثالث: كتاب الجنائز، وكتاب الزكاة والصيام، وأول كتاب المناسك إلى نهاية باب الإحرام، وفهرس. وعدد صفحاته (٥٨٩) صفحة.

المجلد الرابع: بقية أبواب المناسك، وكتاب الجهاد، وأول كتاب البيع إلى نهاية فصل بيع الثمار، وفهرس. وعدد صفحاته (٥٨٣) صفحة.

المجلد الخامس: بقية أبواب وفصول البيع، وأول كتاب الوقف إلى نهاية الفصل الثاني منه، وفهرس. وعدد صفحاته (٥٨٦) صفحة.

المجلد السادس: بقية أبواب الوقف وكتاب الوصايا، وكتاب الفرائض، وكتاب العتق، وكتاب النكاح، وكتاب الطلاق وكتاب الإيلاء، وفهرس. وعدد صفحاته (٦٤٧) صفحة.

المجلد السابع: واحتوى على كتاب الظهار، وكتاب اللعان، وكتاب العدد، وكتاب الرضاع، وكتاب النفقات، وكتاب الجنائيات، وكتاب الديات، وكتاب الحدود، وكتاب الأطعمة، وكتاب الإيمان، وكتاب القضاء، وكتاب الشهادات، وكتاب الإقرار، ونبذة مختصرة، وفهرس. وعدد صفحاته (٦٨٠) صفحة.

* وكان الدافع إلى الشرح ووضع الحاشية ما ذكره - رحمه الله تعالى - في المقدمة بقوله:

«... وقد انتشرت في هذا العصر فكرة التوسع في الاطلاع على المذاهب الأربعة وغيرها، والأخذ منها، وعدم الاقتصار على مذهب واحد، ليبنى الحكم على الأقوى دليلاً، فأذكر غالباً ما أجمع عليه إذا كان، أو ما عليه الجمهور أو ما انفرد به أحد الأئمة وساعده الدليل حسب الإمكان، بحيث يغني عن مطالعة الأسفار الضخمة...».

* وأما منهجه في الكتاب فهو البحث عن الدليل ومن ذلك ما ذكره في الحاشية:

«... ولا يجب التزام مذهب معين إلا رسول الله ﷺ. ومن التزم مذهباً معيناً ثم فعل خلافه من غير تقليد لعالم آخر أفتاه، ولا استدلال بدليل يقتضي خلاف ذلك، ومن غير عذر شرعي يبيح له فعله، فإنما يكون متبعاً

لهواه . فإنه ليس لأحد أن يعتقد الشيء واجباً أو محرماً . ثم يعتقد الواجب حراماً والمحرم واجباً بمجرد هواه ، كمسألة الجد وشرب النبيذ . وأما إذا تبين له ما يوجب رجحان قول على قول بالدليل ، أو رجحان مفت فيجوز بل يجب ، والعاجز إذا اتبع من هو من أهل العلم والدين ، ولم يتبين له أن قول غيره أرجح ، فهو محمود مثاب ، والله الموفق للصواب . . . »^(١) .

* بل وذم التعصب والتقليد بدون دليل فقال - رحمه الله :-

«التعصب إلى المذاهب والمشايخ ، وتفضيل بعضهم على بعض ، والدعوى إلى ذلك ، والموالة عليه من دعوى الجاهلية ، بل كل من عدل عن الكتاب والسنة فهو من أهل الجاهلية . والواجب على المسلم أن يكون أصل قصده طاعة الله وطاعة رسوله ، يدور على ذلك ويتبعه أينما وجدته ، ولا ينتصر لشخص انتصاراً مطلقاً إلا لرسول الله ﷺ ، ولا لطائفة انتصاراً مطلقاً عاماً إلا لأصحابه .

فإن الهدى يدور مع رسول الله ﷺ حيث دار ويدور مع أصحابه دون غيرهم ، خلاف ما درج عليه بعض متأخري الأصحاب وغيرهم ، حتى قال أبو الحسن الكرخي الحنفي : الأصل قول أصحابنا فإن وافقه نصوص الكتاب والسنة فذاك ، وإلا وجب تأويلها ، وجرى العمل عليه ، وفي جامع الراموز وغيره : المذهب أنه لا يقلد أحداً من الصحابة ولا التابعين إلا بأحنية . بل منهم من أدخل في الإسلام المذهب . وادعى الجويني وغيره وجوب انتحال مذهب الشافعي على كافة المسلمين ، حتى على العوام الطغام ، بحيث لا يبغون عنه حولاً ، ولا يريدون به بدلاً ، وقيل غير ذلك مما يستحي العاقل من حكايته فضلاً عن نقله» .

(١) حاشية الروض ١٩/١ .

* وقد قال - رحمه الله - في مقدمته للحاشية:

«... أما بعد فإن زاد المستقنع وشرحه قد رغب فيهما طلاب العلم غاية الرغب. واجتهدوا في الأخذ بهما أشد اجتهاد وطلب؛ لكونهما مختصرين لطيفين، ومنتخبين شريفيين، حاويين جل المهمات، فائقين أكثر المطولات والمختصرات، بحيث إنه يحصل منهما الحظ للمبتديء. والفصل للمنتهي، وخدمهما علماء العصر كالشيخ عبدالله أبا بطين، والشيخ عبدالله العنقري، وعبدالوهاب بن فيروز، بالحواشي مفردة، وعلى الهوامش من لا أحصيهم مكثراً ومقل، فتطفت بوضع هذه الحاشية، منتخبة من تلك الحواشي، ومن تقرير شيخنا محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ومن كتب الأصحاب كالتنقيح والمغني والزرکشي والشرح والمبدع والمطلع والمحرر والفروع والتصحيح والإنصاف والإقناع والمنتهى وحواشيهما، ومن كتب وفتاوى شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم وابن رجب، ومن كتب الحديث وشروحهما، وكتب أهل المذاهب كالبغوي والنووي وابن رشد وغيرهم، مجتهداً في نقل الإجماع عمن تقدم ذكرهم، وعن ابن جرير وابن كثير وابن عبدالبر وابن المنذر وابن هبيرة وغيرهم من أهل التحقيق، مفتشاً على خلاف يعتبر، ومجتهداً في إبراز الدليل والتعليل، وتوضيح القول الصحيح...».

* وقد أثنى العلماء على هذه الحاشية ووصفها الشيخ بكر أبو زيد كما في المدخل المفصل بأنها: «... غاية في النفاسة والتحقيق...».

* وكان سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - يعتني بها عناية خاصة، قال الشيخ خالد الحيان: «قرر الشيخ - رحمه الله - قراءة كتاب «الروض المربع» كما تقدم، وذلك في فجر يوم الأربعاء ٢٧/٥/١٤١٧هـ فكان القارئ يقرأ ويعلق الشيخ على كل جملة من كلام المؤلف، وإذا أشكل

شيء وأراد الشيخ - رحمه الله - مزيد إيضاح كلف التلميذ بقراءة الحاشية التي يصطحبها القارئ وهي حاشية الشيخ عبد الله العنقري وقد يطلب من أحد التلاميذ قراءة ما كتبه الشيخ عبدالرحمن بن قاسم في حاشيته هذا وأحياناً وبقلة إذا أراد القارئ أن يقرأ قال الشيخ لعل القراءة تكون في وقت آخر إذ لم أُحْضَرُ^(١).

وقد أجاب الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - سائلاً يطلب منه أن يدلّه على بعض أسماء الكتب في التفسير والحديث والفقّه للإفادة منها؟ فقال: تفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، والبغوي، وابن سعدي، والشنقيطي. ومن كتب الحديث المفيدة: الصحيحان، والسنن الأربعة، ومنتقى الأخبار، وعمدة الحديث، وبلوغ المرام، والأربعون النووية، وتتمتها للحافظ ابن رجب، الجميع خمسون حديثاً عن النبي ﷺ من جوامع الكلم. ومن كتب الفقه المفيدة: المغني للإمام العلامة أبي محمد عبد الله بن قدامة - رحمه الله - والمقنع له أيضاً، والروض المربع شرح زاد المستقنع بحاشية العلامة الشيخ: عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله -، وشرح المذهب للنووي - رحمه الله - والله الموفق^(٢).

* وذكر بعض المشايخ ثناءً عاطراً عليها وقال: «أنها مستودع لنقولات المحققين في المذهب...».

* وأثنى عليها غير واحد بقولهم: «كل الصيد في جوف الفرا».

* «... وهي البحر الذي لا ساحل له، يستفيد منه كل طالب علم باختلاف مذهبه على اختلاف مستوى علميته؛ لما فيه من الفقه المقارن المعضد

(١) الإمام بطريقة دروس سماحة الإمام ص ٣٦.

(٢) فتاوى ورسائل ابن باز ٢٤/٣٢٩.

بالدليل والمقرون بأقوال الأئمة كابن تيمية وابن القيم وغيرهما . . .» .

* وقد ذكر الوالد عن الجد - رحمهما الله - في مقدمة مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: «واستفاد من هذا الجمع [أي جمع فتاوى شيخ الإسلام] أن اطلع على ترجيحات «شيخ الإسلام» واستدلالة، وحكايته الاجماع، والخلاف، وغير ذلك؛ فأضاف الوالد ذلك إلى مؤلفاته، فاكسبت ميزة، وصبغة تحقيق؛ بسبب عمله المبارك في هذا المجموع»^(١) .

* وقد بذل في جمعها جهداً عظيماً وأنفق وقتاً طويلاً - رحمه الله - في هذه الحاشية الضخمة وكانت مدة التأليف أكثر من أربعين عاماً.

* وقابل جميع المجلدات السبعة على خط المؤلف للحاشية، وكذا على الروض المخطوط. ووضع الفهارس، والفواصل، والأقواس، وغيرها من الأمور الفنية فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين - رحمه الله -، والعم الشيخ سعد بن عبدالرحمن بن قاسم - حفظه الله -.

* وقد سئل الشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله - عن حاشية الروض المربع للشيخ عبدالرحمن بن قاسم هل نقل فيها شيئاً من الشيخ محمد بن إبراهيم؟ فأجاب - حفظه الله -: غالباً أنه ينقل عن شيخ الإسلام وعن الكتب المتقدمة في هذه الحاشية كما هي مشاهدة، إلا أنه - رحمه الله - اعتنى بالقسم الأول الذي هو العبادات؛ يبضه وكمله وزاد فيه، وأما من البيع إلى آخر الكتاب فإنه لم يتفرغ له، أصابه آخر عمره عجز وضعف بصر فلم يتفرغ للعناية به وتبييضه^(٢) .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام المقدمة ١ / د.

(٢) من محاضرة للشيخ عبدالله بن جبرين بعنوان (الشيخ محمد بن إبراهيم ومنهجه في التعليم) ألقيت في جامع الأميرة نورة بنت عبدالله بتاريخ ١٢/٨/١٤٢٤هـ.

وقال الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله -: «حاشية ابن قاسم على الروض» في سبعة مجلدات وهي في غاية النفاسة والتحقيق، وجلب دقائق الفقهيات والاختيارات، وكان شيخنا عبد العزيز بن باز كثير الرجوع إليها. مؤلفها هو الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، جامع فتاوى ابن تيمية. ت سنة ١٣٩٢ هـ^(١).

* قال الشيخ عبدالعزيز السدحان - وفقه الله - ضمن رسالة بعثها يستحثني على إخراج ترجمة للجد: «سمعت بعض مشايخي يقول: إذا أردت اختيار أو قول شيخ الإسلام فانظر إلى حاشية الروض للشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى - فإن لم يذكر الشيخ ابن قاسم قولاً لشيخ الإسلام فقد يصعب الوصول إلى قوله؛ ذلك لأن الشيخ عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله - من أدرى الناس بكلام شيخ الإسلام».

* وقال الشيخ عبدالعزيز السدحان أيضاً في مقاله له في مجلة الدعوة: «... أما أكبر الحواشي التي كتبها الشيخ، فهي حاشية الروض المربع، فهي يحق أن تسمى بـ «أم الحواشي» لما ضمنها الشيخ من التعليقات النفيسة والتحريرات العلمية الرصينة...»^(٢).

* قال الشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله -: «وقد اشتركت مع ابنه سعد ابن عبدالرحمن - حفظه الله تعالى - في تصحيح وطبع الحاشية الكبيرة على الروض المربع شرح زاد المستقنع، وكتبت له ترجمة مختصرة في مقدمة تلك الحاشية، وكذا اشتركت في تصحيح وطبع حاشيته على كتاب التوحيد، والجزء الأخير من شرحه لكتابه أصول الأحكام، واستفدت كثيراً من تلك المؤلفات»^(٣).

(١) المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل / ج ٢.

(٢) مجلة الدعوة العدد ١٨٤٦ ص ٦٦.

(٣) من رسالته: ما عرفته عن شيخنا عبدالرحمن بن محمد بن قاسم - رحمه الله -.

* وقال العم الشيخ سعد - حفظه الله -: أتيت إلى الشيخ عبد الله بن جبرين - رحمه الله - بعد أن انتهينا من تصحيح وطبع (حاشية كتاب التوحيد) و(كتاب الأحكام)، وذكرت له (حاشية الروض المربع) وإنها تحتاج إلى سنوات من المراجعة، فوافق - جزاه الله خيراً - .

وكنست أعد المخطوطات والأوراق التي كتبها الوالد وأرتبها ثم نراجعها سوياً، ونصحح البروفات يومياً من صلاة العصر إلى المغرب، ويستمر غالباً إلى العشاء، ويوم الجمعة بعد صلاة الفجر .

واستمر العمل أربع سنوات حتى خرجت للنور، ونفع الله بها، وكان تمام ذلك العمل كله في رمضان سنة ١٤٠٠هـ .

* وسألته - حفظه الله ووفقه -: هل زدتم فيها، أو وجدتم نقصاً فأكمَلْتوه؟

قال: «لا، كانت كاملة، وكنا فقط نصصح بعض تصحيف العبارات، ونراجع بعضها في مظانها إذا لم نتأكد منها، ووضعنا علامات الترقيم والفواصل، ثم متابعة البروفات وتصحيح الأخطاء المطبعية» .

* وذكر العم الشيخ سعد أيضاً أن مخطوط الحاشية التي كتبها الجد - رحمه الله - تتنوع فيه الأقلام، فبعضها من خطوط الأقلام القديمة التي تجعل في الدواة وتبرى برباً، وآخرها من خطوط الأقلام الحديثة . ومعنى هذا إنه كتبها في وقت مبكر واستغرق ذلك أكثر من أربعين عاماً، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

* والملاحظ أنه - رحمه الله - في كتبه يطلق كلمة الشيخ على شيخ الإسلام ابن تيمية، وكلمة شيخنا على الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمهم الله جميعاً -

أصول الأحكام

جَمَعَ الْقَوْلُ بِاللَّهِ تَمَّكَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَاسِمٍ
رَجُلٌ سَبِيحٌ وَمُحَدِّثٌ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
١٣١٢ - ١٣٩٢ هـ

... مختصر يشتمل على أصول الأحكام من الكتاب والسنة.. مقتصر على
الشواهد المأخوذ بها وعلى البخاري ومسلم أو أحدهما...

٤. كتاب: «أصول الأحكام» ويقع في مجلد:

(أصول الأحكام): مختصر قيم، انتقى فيه الأدلة الواضحة الصحيحة

بإيجاز.

قال - رحمه الله - في مقدمته: «... فهذا مختصر يشتمل على أصول الأحكام، من الكتاب والسنة، هذبته تقريباً لطالبي منهج الملة.

ولو هن القوى وتفرقتها، وضعف الهمم وتشعبها، بالغت في اختصاره

ليسهل حفظه...»

ثم قال - رحمه الله -: «... حتى اقتصرت على الشواهد المأخوذ بها،

وعلى البخاري ومسلم أو أحدهما...».

* قال الشيخ خالد الحيان: «وكان يقرأ على الشيخ عبدالعزيز بن باز -

رحمه الله - كتاب أصول الأحكام لابن قاسم، فيقرأ القارئ كذا حديث ثم

يقول له يكفي أو بركة، ثم يبدأ الشيخ في شرح تلك الأحاديث المقروءة

ويعلق عليها، هذا وقد توقف عن هذا الكتاب بسبب انقطاع القارئ في

عام ١٤١٥هـ وكان الوقت المحدد للقراءة بعد فجر كل اربعاء في الجامع

الكبير بالرياض^(١).

* وقد طبع الطبعة الأولى في القاهرة - مطبعة الإمام - وطبع الطبعة

الثانية في مؤسسة النور للطباعة والتجليد، ثم طبع مراراً.

* ويقع في مجلد عدد صفحاته (٢٨٨) صفحة.

(١) الإمام بطريقة دروس سماحة الإمام ص ٣٤.

الإحكام شرح أصول الأحكام

جمع الفقير إلى الله تعالى
عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
الحنبلي النجدي

رحمة الله تعالى
١٣١٢ - ١٣٩٢ هـ

... كتاب عظيم في مبادئه، واسع في معناه، مقتبس من كلام الأئمة
الأعلام...

٥ . كتاب:

«الإحكام شرح أصول الأحكام» ويقع في (٤) مجلدات:

وهو شرح لأصول الأحكام المتقدم قال - رحمه الله - في مقدمته: «... وجمعت مختصراً لطيفاً انتقيته من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في الأحكام الفقهية، سهل المنال واضح المنوال...».

«... وهذا شرح له موجز مقتبس من كلام الأئمة الأعلام، يوضح معانيه، ويؤيد مبانيه، أردفته بآيات وأخبار. وبإجماع الأئمة الأخيار أو قول جمهور السلف الأطهار وبترجيح شيخ الإسلام...».

ويقع الكتاب في أربع مجلدات.

الأول منها: يشمل سبب تأليف الكتاب، ثم الكلام على البسمة والحمد له، ثم كتاب الطهارة وكتاب الصلاة، حتى باب صلاة الاستسقاء، وعدد صفحاته (٥٢٠) صفحة.

والمجلد الثاني: يتدئ بكتاب الجنائز، ثم كتاب الزكاة، وكتاب الصيام، وكتاب المناسك، وينتهي بفصل في العقيقة. وعدد صفحاته (٥٥٤) صفحة.

والمجلد الثالث: يتدئ بكتاب الجهاد، ثم كتاب البيع، ثم كتاب النكاح حتى باب المحرمات في النكاح. وعدد صفحاته (٥٤٨) صفحة.

المجلد الرابع: ويتدئ بباب الشروط في النكاح، ثم كتاب الطلاق، ثم كتاب العدد، ثم كتاب الجنائيات، ثم كتاب الحدود، وباب حكم المرتد، ثم كتاب الأطعمة، ثم باب في القضاء، ونهايته باب الإقرار. وعدد صفحاته (٥٧٢) صفحة.

* وقد طبعت ثلاثة الأجزاء الأولى في حياته - رحمه الله - في مطبعة (الترقي) بدمشق سنة ١٣٧٥هـ، وطبع الجزء الرابع في المطابع الأهلية بالرياض ١٣٩٦هـ.

ويمتاز هذا الكتاب بمزايا منها:

- أولاً: أنه يصدر الأبواب بآيات الأحكام ثم يأتي بالأحاديث .
- ثانياً: أن أحاديثه كلها صحيحة وليس فيها ضعيف لا يحتج به .
- ثالثاً: أنه مع ذكره خلاف العلماء منهم يهتم بأقوال الحنابلة خاصة، ويذكر من المنقول عن محققهم ومحققي غيرهم من الجمهور .
- رابعاً: لا يستطرد في نقل الخلاف، ولا يتوسع توسعاً يخرج عن المقصود، ولا يوجز بحيث يخل بالمراد .
- وأعتقد أن الكتاب لم يأخذ بعد حظه لدى طلبة العلم والمتعلمين مع نفاسته وأهميته وتميزه .

حاشية
كتاب التوحيد

تأليف
شيخ الإسلام
الشيخ محمد بن عبد الوهاب
قدس الله روحه

بقام
الشيخ الفقيه
عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي
رحمه الله تعالى
١٣١٣ - ١٣٩٢ هـ

«... من أنفس ما كتب على كتاب التوحيد...»

الشيخ / عبد الله بن جبرين

٦ . كتاب:

«حاشية كتاب التوحيد» ويقع في (مجلد):

«كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - كتاب عظيم النفع في بابه . بين فيه المؤلف التوحيد وفضله ، وما ينافيه من الشرك الأكبر ، أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر أو ما يقدر في التوحيد من البدع أو ما ينقص التوحيد من المعاصي موثقاً بالدليل من الكتاب والسنة .

وقد عُني طلاب العلم بحفظ متنه ، وسارع العلماء إلى شرحه ، وكان للجد - رحمه الله - سهم في ذلك فألف عليه «حاشية كتاب التوحيد» .

وهي حاشية مختصرة منقحة من أبرز شروح من سبقه من الشراح ، إضافة إلى ما استفاده من مشايخه : الشيخ عبدالله بن عبداللطيف ، والشيخ سعد بن عتيق والشيخ محمد بن إبراهيم وغيرهم .

* قال - رحمه الله - في المقدمة : « . . . فإن (كتاب التوحيد) الذي ألفه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - أجزل الله له الأجر والثواب - ليس له نظير في الوجود ، قد وضح فيه التوحيد الذي أوجبه الله على عباده وخلقهم لأجله ، ولأجله أرسل رسله ، وأنزل كتبه ، وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر والبدع وما يقرب من ذلك أو يوصل إليه ، فصار بديعاً في معناه لم يسبق إليه ، علماً للموحدين ، وحجة على الملحددين ، واشتهر أي اشتهار ، وعكف عليه الطلبة ، وصار الطالب يحفظه عن ظهر قلب ، وعم النفع به ، وتصدى لشرحه والتعليق عليه جماعة من الجهابذة النبلاء ، وأول من تصدى لشرحه وأجاد ، حفيده الشيخ سليمان بن الشيخ عبدالله ، ثم هذبه وكملة حفيده

أيضاً الشيخ عبدالرحمن بن حسن وبرز فيهما من البيان ما ينبغي أن يرجع إليه، وعلق عليه أيضاً الشيخ عبدالرحمن حاشية مفيدة، وعلق عليه تلميذه الشيخ حمد بن عتيق، وتلميذه الشيخ عبدالله أبا بطين، وغيرهم ولشدة الاعتناء بهذا السفر الجليل تطلعت عليه بوضع حاشية مختصرة منتخبة مما أبرزوه وغيره، تسهيلاً للطلاب، متوخياً فيها ما يليق به أشياخنا: الشيخ عبدالله بن الشيخ عبداللطيف، والشيخ سعد بن الشيخ حمد بن عتيق، والشيخ محمد بن الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف وغيرهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم...».

* قال الشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله - عن الحاشية: «من أنفس ما كتب على هذا الكتاب»^(١).

* وقال الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن السدحان - حفظه الله - : «هذه الحاشية للشيخ ابن قاسم - رحمه الله - لعلها من أحسن الحواشي على الكتاب - يعني كتاب التوحيد - وخاصة أن الشيخ ابن قاسم سلك فيها مسلك الاختصار غير المخل، وضمنها نقولات وفوائد نفيسة»^(٢).

* ويقع الكتاب في مجلد عدد صفحاته (٤١٠) صفحات.

* وقد طبعت الطبعة الأولى منه في سنة ١٣٩٦هـ، أي: بعد وفاته بأربع سنوات في المطابع الأهلية للأوفست بالرياض، ثم توالى طبعاته كثيراً والله الحمد والمنة.

(١) مقدمة حاشية كتاب التوحيد ص ٧.

(٢) معالم الطلب ص ٧٦.

حاشية
ثلاثة الأصول

تأليف
شيخ الإسلام
الشيخ محمد بن عبد الوهاب
قدس الله روحه

بقلم
الفتوة الفقيه القدير
عبد الرحمن بن محمد بن قاسم المنبجي البجدي
رحمه الله تعالى
١٣١٣ - ١٣٩٢ هـ

.... حاشية نفيسة وهي أول شرح موجود للأصول الثلاثة...،

٧ . كتاب:

«حاشية ثلاثة الأصول» ويقع في (مجلد):

الأصول الثلاثة للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - من الكتب التي اعتنى بها العلماء في هذا البلد عناية خاصة؛ إذ اشتملت على تقرير توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية والولاء والبراء، وذكر الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؛ وهي: معرفة الله - سبحانه -، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، ومعرفة النبي ﷺ.

وسارع الطلاب إلى حفظها وتتبع شروحها التي شرحها العلماء الأجلاء.

ومن جعل حاشية على هذا المتن العظيم من العلماء - الجدد - رحمه الله - وهو أول شرح موجود للأصول الثلاثة.

قال - رحمه الله - في المقدمة: «... فإن ثلاثة الأصول لشيخ الإسلام والمسلمين، مجدد الدعوة والدين، محمد بن عبد الوهاب، أجزل الله له الأجر والثواب، قد جد الناس في حفظها، لعظم نفعها، وتشوقت النفوس لبيان معانيها، لرصانة مبانيها، فوضعت عليه حاشية، موضحة لمعناها، مشجعة لمن اقتناها، والله المسؤول أن ينفع بها، كما نفع بأصلها، إنه على كل شيء قدير...».

وتقع في مجلد عدد صفحاته (١٠٣) صفحات، تكرر طبعها في حياته - رحمه الله - وبعد وفاته، حيث طبعت الطبعة الأولى في مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٧٥هـ ثم توالى طبعاتها، بما فيها طبعات الرئاسة العامة للإفتاء وغيرها.

قال العلامة الشيخ عبدالله بن جبرين عن حاشية ثلاثة الأصول: «شرحها الشيخ عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله وأكرم مثواه - بحاشية نفيسة، أوضح فيها مقاصد المؤلف ودلالة النصوص»^(١).

وقد تم ترجمة الكتاب إلى عدة لغات من بينها اللغة الإنجليزية حيث قامت بالترجمة دار الخير بجدة، وتقع الترجمة إلى اللغة الإنجليزية في (١٩٢) صفحة.

(١) مقدمة حاشية الأصول الثلاثة طبعة دار الإفتاء ص ٨ .

حاشية الدر المضية

في عقد الفرة المضية

تأليف

العالم الأودح الشيخ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني

التاب لسبي محبلي

رحمة الله تعالى

١١١٤ - ١١٨٨ هـ

بقلم الفقير إلى ربه

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الفاضل المتولي البغدادي

رحمة الله تعالى

١٣١٢ - ١٣٩٢ هـ

«... متضمن لجل عقائد أهل السنة، مع بيان ما خالف المصنف فيه

مذهب السلف...»

٨ . كتاب:

«حاشية الدرّة المضيئة» ويقع في (مجلد):

وهو حاشية على كتاب (الدرّة المضيئة في شرح عقد الفرقة المرضية): للإمام السفاريني .

قال الجد - رحمه الله - : « . . . فإنه لما عزم من وفق لبث العلوم الدينية ، على نشر هذه العقيدة الجليلة ، المتضمنة لجل عقائد الفرقة المرضية ، طلب مني أن أكتب عليها حاشية وجيزة على عجالة ، فأجبتّه إلى ذلك رجاء المثوبة من الله ، والاندرج في سلك أهل السنة والجماعة ونهت على ما خالف المصنف فيه مذهب السلف ، لتكون خير بضاعة .

وعرضتها على عالم الوقت المجتهد الثبت ، الشيخ : محمد بن الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ ، وعلى غيره من العلماء الأفاضل ، فجاءت بحمد الله غرة للطالبيين ، ومحجة واضحة للراغبين ، مؤيدة بالبراهين ، طبق عقيدة السلف ، وأسأله السداد وحسن الطوية ، والزلفى لديه في الجنات العلية . . . » .

✽ وقد ذكر الوالد - رحمه الله - في هامش مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم قوله : «وقد علق عليها والدي - رحمه الله - وبين ما فيها من أخطاء وسماه (حاشية الدرّة المضيئة)» .

وقد طبعت الطبعة الأولى في مطبعة الحكومة بمكة عام ١٣٦٤هـ .

ويقع الكتاب في مجلد عدد صفحاته (١٥٩) .

السَّيْفُ الْمَسْلُوقُ عَلَى عَابِدِ الرَّسُولِ

رد الفقير إلى الله عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
العاصمي الحنبلي النجدي

١٣١٢-١٣٩٢هـ

على

علي بن محمد الرشيد الجزائري

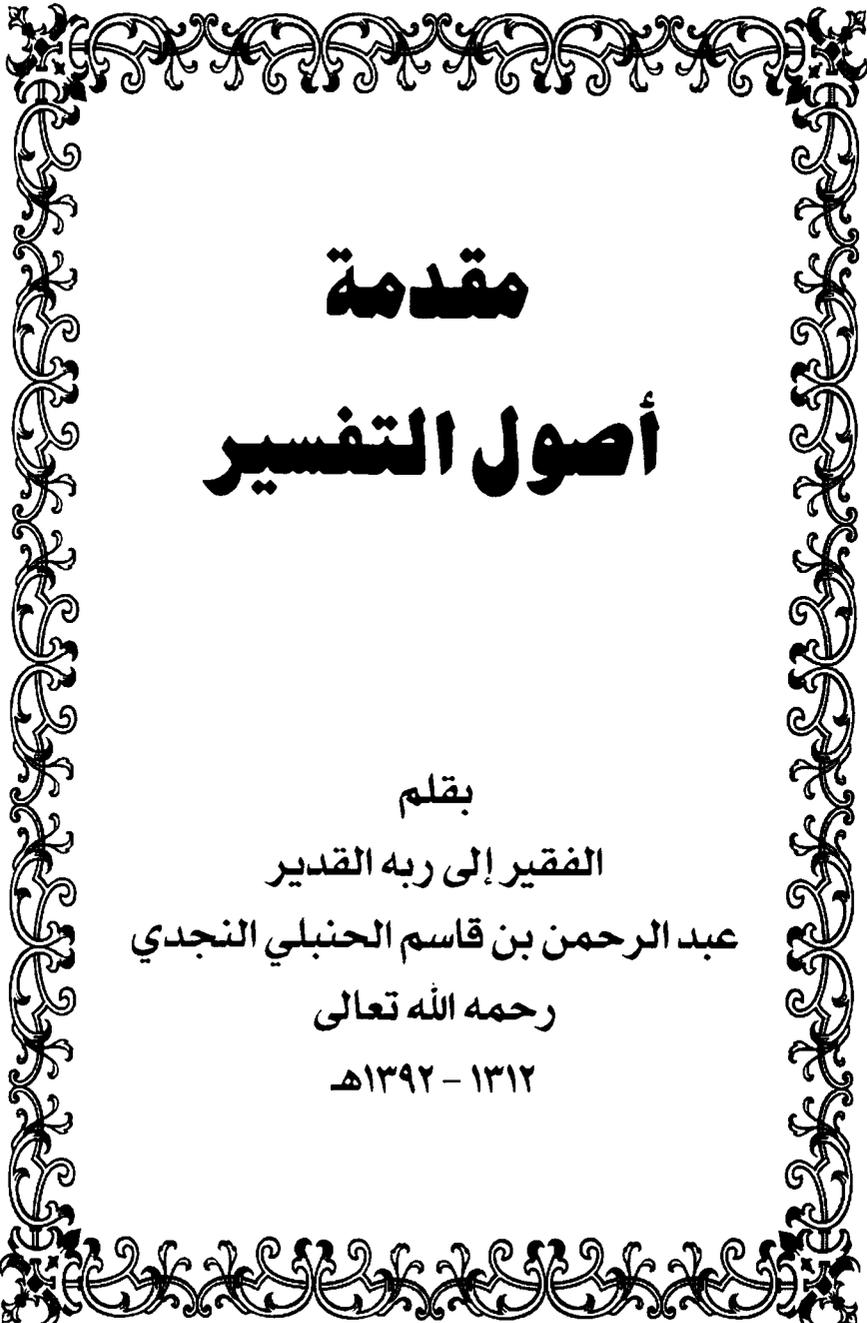
٩. كتاب:

«السيف المسلول على عابد الرسول» ويقع في (مجلد):

(السيف المسلول على عابد الرسول): وهو رد على: علي الرشيدي الجزائري في تحريم توجيه شيء من العبادة للنبي ﷺ. وأساس الكتاب مقالة نشرت في جريدة أم القرى، حيث قال - رحمه الله - في مقدمة الكتاب: «.. فقد وقفت على وريقات، كتبها: علي بن محمد الرشيدي، الجزائري، في الرد على ما نشرته، في جريدة أم القرى، تحت عنوان: «هل عبد رسول الله ﷺ؟» وسيأتي نص ما نشرته، عند ذكرى: زعمه أنه يفهم منه إنكار الشفاعة.

وقد تضمن رده: ردّ ما أنزلت به الكتب، وأرسلت به الرسل، وأجمعت عليه الأمة، من أفراد الله - سبحانه - بالعبادة، وتجويز عبادة غير الله - عز وجل - بالالتجاء إليه، والاستغاثة به، وطلب الشفاعة منه؛ وأكثر الطعن على من دعا الناس إلى توحيد الله، وكفرهم بمحض التوحيد، وزعم أنهم خوارج، سمى عباد الأنبياء والصالحين، مؤمنين موحدين؛ وعكس القضية، وصرف المقالة عن مدلولها، ونسب إليّ ما لا يحتمله كلامي فالله المستعان...».

وقد طبع قديماً وانتشر، ويقع في مجلد عدد صفحاته (٢٠٨) صفحة.



مقدمة

أصول التفسير

بقلم

الفقيه إلى ربه القدير
عبد الرحمن بن قاسم الحنبلي النجدي

رحمه الله تعالى

١٣١٢ - ١٣٩٢ هـ

١٠. كتاب:

«مقدمة في أصول التفسير»:

مفيدة في بابها وقد وضع المقدمة - رحمه الله - ثم شرحها. وهي غير «مقدمة التفسير» لشيخ الإسلام ابن تيمية المعروفة، والبعض يظن أن المقدمة لشيخ الإسلام والشرح له. و الصحيح أن كليهما له - رحمه الله - وهي مختلفة عن ما كتبه شيخ الإسلام.

وقد طبعت الطبعة الأولى في (دمشق) المطبعة الهاشمية.

ثم لما وضع لها - رحمه الله - شرحاً اكتفي بطبع المتن مع الشرح.

حاشية

مقدمة التفسير

بقلم
الفقير إلى ربه القدير
عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلبي التجدي
رحمة الله تعالى
١٣٩٢ - ١٣١٢ هـ

١١ . كتاب:

«حاشية مقدمة التفسير» ويقع في (مجلد):

(حاشية مقدمة التفسير): وهي شرح لكتاب مقدمة في أصول التفسير من تأليفه، وقد نشرت في حياته.

قال - رحمه الله - في المقدمة: «... أما بعد: فحيث إن كتاب الله وبيانه أهم ما يهتم به، فهذه حاشية على المقدمة في تفسيره، توضح المقاصد، وتعين مرید معرفة معانيه، كأصول يتوصل بها إلى المراد منه، على ما كان عليه السلف الصالح، والله ولي التوفيق».

والكتاب يقع في مجلد متوسط تبلغ صفحاته (١٦٦) صفحة.

حاشية الرحبي
في علم الفرائض

بِقَامِ
الْفَقِيهِ الْحَقِيقِ رَبِّهِ الْقَدِيرِ
عَبْدِ الرَّحْمَةِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَاسِمِ النَّبَاطِيِّ الْعَبْدِيِّ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
١٣١٢ - ١٣٩٢ هـ

١٢ . كتاب:

«حاشية كتاب الرحبية» ويقع في (مجلد):

وهي (حاشية على نظم الرحبية): في علم الفرائض؛ حيث إن الرحبية لأبي عبدالله محمد بن علي الرحبي الشافعي. و متن الرحبية منظوم عدد أبياته (١٧٥) بيتاً، وهي من أنفع ما صنف في هذا العلم للمبتدئ. إلا أن المؤلف - رحمه الله تعالى - لم يذكر في منظومته ما يتعلق بابي الرد وميراث ذوي الأرحام؛ بناء على مذهب الشافعي من عدم القول بالرد وعدم تورث ذوي الأرحام... وذكر وعلق عليها الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم في حاشيته على الرحبية^(١).

قال - رحمه الله - في مقدمتها: «... أما بعد: فهذه حاشية وجيزة، علقتها على الأرجوزة الرحبية، وعلى أبيات لبعضهم، في بابي الرد، وذوي الأرحام، تسهلاً للمبتدئ، وتذكيراً للمتتهي؛ ولا حول ولا قوة إلا الله...».

وقد طبعت الطبعة الأولى في حياة المؤلف - رحمه الله - سنة ١٣٥٧هـ في (٨٨) صفحة ثم طبعت بعد ذلك مرات عديدة. وتقع الطبعة الأخيرة في مجلد لطيف عدد صفحاته (٩٠) صفحة.

(١) الدليل إلى المتون العلمية ص ٤٧.

حاشية الاجرومية

بقلم
الْفَقِيْرِ الْكَبِيْرِ رَبِّهِ الْقَدِيْرِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَاسِمِ الْخَنَبَائِيِّ النَّجْدِيِّ
رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى
١٣١٢ - ١٣٩٢ هـ

١٣ . كتاب:

«حاشية الأجرومية» وتقع في (مجلد):

(حاشية على متن الأجرومية): وهي حاشية على متن الأجرومية في علم النحو، طبعت ونشرت فانتفع بها، وطبعت الطبعة الثالثة في عام ١٤٠٧هـ مزيدة ومنقحة ومصححة وتقع في مجلد لطيف، عدد صفحاته (١٢٠) صفحة.

وَظَائِفُ رَمَضَانَ

مُلَخَّصَةٌ مِنْ لَطَائِفِ الْمَعَارِفِ

لِلشَّيْخِ زَيْنِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَجَبِ الْحَتَبِيِّ

مع زهادات

للشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَاسِمٍ

رحمه الله تعالى

١٣١٢هـ - ١٣٩٢هـ

٤٤. كتاب:

«وظائف رمضان» ويقع في (مجلد):

(وظائف رمضان): نبذة لخصها - رحمه الله - من كتاب (لطائف المعارف) مع زيادات نفيسة ضمها إليه .

قال - رحمه الله - في المقدمة: «فهذا مختصر لطيف في وظائف هذا الموسم الشريف، يبعث الهمم إلى التعرض للنفحات، ويثير العزم إلى أشرف الأوقات...»

قال الشيخ عبدالله البسام عن الكتاب: «... وهو مختصر من لطائف المعارف لابن رجب مع زيادات نفيسة...»^(١).

وقد أثنى عليه فضيلة الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - في كتابه (المتقى) وأوصى بقراءته لاسيما في شهر رمضان .
ويقع في مجلد عدد صفحاته (٨٣) صفحة

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ٢٣/٣ .

تَحْرِيمُ حَيْلِ الدَّجْرِ من السنّة والاجماع

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

حقوق الطبع محفوظة

القيمة ربع ريال

الطبعة الثانية سنة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م

مكتبة ومطبعة محمد علي بن صالح وأولاده بمضن

١٥ . كتاب:

«تحريم حلق اللحية»:

- نبذة مفيدة في (تحريم حلق اللحية): وقد طبعت مراراً. ومقدمة الطبعة الأولى كانت في عام ١٣٥٤هـ.

- وطبعت الطبعة الثانية في القاهرة (مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح) وذلك عام ١٣٧٥هـ.

- ثم طبعتها دار الإفتاء طبعت متوالية، وأضافت إليها (وجوب إعفاء اللحية وتحريم حلقها وتقصيرها) لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - .

وكان سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - يحيل على هذا الكتاب كثيراً ومن ذلك رسالة كتبها ناصحاً بوجوب إعفاء اللحية ثم قال - رحمه الله -: «وقد جمع أخونا العلامة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم العاصمي - رحمه الله - رسالة في هذه المسألة نشفع لكم نسختين منها، وأرجو أن يكون فيها وفيما ذكرنا الكفاية الجواب الشافي لسؤالكم.

وأسأل الله أن يمنحنا وإياكم وسائر إخواننا الفقه في دينه والثبات عليه، وأن يعيدنا جميعاً من مضلات الفتن، إنه سميع قريب.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(١).

(١) مجموع ابن باز ٦٣/١٠.

مَخَصُّ الْفَوَاكِهِ الْعَدِيَّةِ
فِي الْمَسَائِلِ الْمَفِيدَةِ

جَمَعَ

السَّيِّحُ النَّبِيلُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَنْقُورِيُّ التَّمِيمِيُّ
الْبَجْرِيُّ الْهَنْبَلِيُّ عَلَّقَهُ عَلَى الْإِسْتِزَاعِ

١٠٦٧ - ١١٢٥ هـ

تَلَخَّصَ وَتَرْتِيبَ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ قَاسِمٍ الْهَنْبَلِيُّ
الْبَجْرِيُّ الْهَنْبَلِيُّ عَلَّقَهُ عَلَى الْإِسْتِزَاعِ

١٣١٢ - ١٣٩٢ هـ

١٦. كتاب:

«مخلص الفواكه العديدة في المسائل المفيدة»:

قال - رحمه الله - في المقدمة: «... وبعد: فإني لما رأيت بعض الإخوان، معهم اعتناء بمجموع المنقور «أحمد بن محمد المنقور» في هذا الزمان، أردت أن أختصره وأرتبه على أبواب الفقه؛ ليسهل تناوله على المتعلمين والطلاب، وإن كنت لست لهذا الشأن أهلاً، ولا بمن يجول في ميدان النبلاء.

وقد استخرت الله قبل أن أعزم على الاختصار، واستعنته، وإني إلى معونته في أشد ضرورة وافتقار، فلما طالعت الكتاب بعد النظر والتأمل، رأيت فيه تكراراً يغني منه البعض عن الكل، فأثبت منه ما يدل على المراد، وتركت بعضه بحسب الطاقة والاجتهاد، فالله أسأل، أن يجعله خالصاً لوجهه سبحانه، موجباً لرضاه والفوز بجنته...».

ويقع الكتاب في مجلدين:

المجلد الأول: عدد صفحاته (٣٢٠) صفحة.

المجلد الثاني: عدد صفحاته (٣١٢) صفحة.

وطبعت الطبعة الأولى بعد وفاة المؤلف - رحمه الله - بنحو اثنين وثلاثين عاماً، وذلك في عام ١٤٢٤هـ بإشراف العم الشيخ سعد بن قاسم - حفظه الله وسدده -.

١٧. كتاب التاريخ:

اهتم العرب قديماً وحديثاً بأخبار وحوادث الأيام، وكان لهم شغف بالأنساب ومعرفتها، ومن أبرزهم في ذلك الخليفة الراشد أبو بكر - رضي الله عنه - فقد كان نساباً بارعاً عند أهل الجاهلية والإسلام.

وقد حث النبي ﷺ على ذلك بقوله: «تعلموا من أنسابكم ما تصلوا به أرحامكم» [رواه الترمذي] ولم يتعد الأمر ذلك إلى الكبر والتفاخر؛ قال ﷺ: «من قصر به عمله لم يبلغ به نسه» [رواه الترمذي].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «... ليس في كتاب الله آية واحدة يمدح فيه أحدٌ بنسبه، ولا يذمُّ أحدٌ بنسبه، إنما يمدح بالإيمان والتقوى ويذم بالكفر والفسوق والعصيان...»^(١).

والجد - رحمه الله - كان نساباً، وله في بداية حياته اهتمام بعلوم الجغرافيا والتاريخ، ولعله استفاد في معرفة البلدان والحوادث والتواريخ والأنساب من ذهابه عاملاً على جباية الزكاة.

* قال الشيخ حمد الجاسر: «إنه أستاذي في التاريخ».

* وألف - رحمه الله - كتاباً في التاريخ من مجلدين، ذكره الشيخ حمد الجاسر، وقال: «إن جدكم صنف الكتاب على طريقة مختلفة عن تاريخ من سبقه من مؤرخي نجد كابن بشر وغيره، حيث يذكر البلدة ويصفها وصفاً جغرافياً ثم يذكر ما جرى فيها من أحداث وما حصل من وقائع ثم يختم بذكر أنساب سكانها وهكذا».

وقال عن الجد - رحمه الله -: «كان في أول أمره ذا عناية، بتدوين الحوادث التاريخية المتعلقة بنجد واطلعت على كتاب ألفه في هذا الموضوع

(١) مجموع الفتاوى ٣٥ / ٢٣٠.

قبل أربعين عاماً يقع في مجلدين سار فيه على طريقة المتقدمين من تدوين الحوادث، من عهد آدم إلى هذا العصر بإيجاز غير أنه توسع فيما يتعلق بتاريخ نجد أو سكانها، أو بذكر بلدانها وتواريخ إنشائها، وفي تراجم الأعيان من أهلها. والشيخ عبدالرحمن كان من تلاميذ الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، ويعتبر هذا من أوسع المعاصرين اطلاعاً على حوادث نجد في العهود الأخيرة بحيث أن الملك عبدالعزيز أمره بأن يكمل تاريخ ابن بشر، ويستمر في تدوين الحوادث التاريخية إلى العصر الحاضر.

ولكن يظهر أن الشيخ عبدالرحمن بن قاسم في سنيه الأخيرة انصرف عن التاريخ، ويتناقل المعاصرون قصة يقولون إنها هي التي حملته على ذلك، ومما لا شك فيه أن القسم الذي سجله من تاريخه ذو فائدة لمن يعنى بتاريخ هذه البلاد في عهودها الأخيرة، أما أنا فأرى أن سبب انصرافه هو اهتمامه بجمع مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وترتيب فتاواه ورسائله، هذا الجهد العظيم الذي أثمر ثمرة مباركة، حيث قدم للباحثين وللعلماء من فتاوى هذا العالم الجليل ورسائله غير الكتب الكبيرة المطبوعة ما يزيد على ثلاثين مجلداً^(١).

* وقال الشيخ حمد الجاسر أيضاً في كتابه (جمهرة أنساب العرب) عن كتاب الشيخ عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله -: «تاريخ مخطوط في مجلدين - أطلعت عليه سنة ١٣٥٣هـ، الجزء الأول منه يشمل الخلق وقصص الأنبياء والثاني وهو المهم يتعلق بحوادث نجد وكأنه تكملة لابن بشر ويشمل أنساب الأسر في نجد».

(١) مجلة العرب السنة الخامسة ص ٩٧٩.

* وقد زرتُ الشيخ حمد الجاسر في أواخر شهر رجب عام ١٤١٨ هـ وسألني عن كتاب التاريخ هذا فقلت له: لا أعلم عنه شيئاً ولم أراه، فقال: «رأيتَه في مجلدين بقماش أخضر كأني أراه الآن».

وقد ذكر في مجلة العرب: «... واتجه في أول اشتغاله بطلب العلم لتدوين تاريخ بلاد نجد، ثم انصرف عن ذلك، ويقال: «إن سبب انصرافه ذكره لأنساب بعض الأسر المعروفة بحيث أثار حفيظة تلك الأسر وقد اطلعت على كتابه واستفدت منه...»^(١).

وقال الشيخ حمد الجاسر في كتابه (الذكرى المثوية الميمونة) ما نصه: وفي عام ١٣٥٣ أطلعني الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (١٣١٩/ ١٣٩٢ هـ) وكان إذ ذاك يشرف على طبع مؤلفه (مجموعة رسائل وفتاوى علماء نجد) في «مطبعة أم القرى» في «مكة المكرمة»، وكنت أعمل معه في تصحيح تجارب الطبع «البروفات» - أطلعني على مؤلف له في (تاريخ نجد) في مجلدين، الأول سار فيه على طريقة المتقدمين، فبدأ بخلق آدم، ثم بقصص الأنبياء، وبعد السيرة النبوية ذكر الخلفاء، واستعرض تاريخ بعض الدول الإسلامية بإيجاز، والثاني خصصه لتاريخ نجد، ملخصاً من (تاريخ ابن بشر)، ومما ألحقه به ابن عيسى، واستمر في سرد الحوادث إلى نهاية سنة (١٣٥٠ هـ)، وذكر أنه تلقى أخبار الحوادث الأخيرة ممن عاصروها من مشايخه، ومنهم الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري، ويعنى بذكر تاريخ عمارة المدن والقرى، وأنساب سكانها، وقد قرأت هذا الكتاب،

وأوضحت له أن متقدمي المؤرخين قد كفوه مؤونة ما يحويه المجلد الأول^(١) واستحسنت الاقتصار على نشر الثاني، فأظهر لي القناعة برأيي، ولا أدري ماذا تم حياله .

* وقال الشيخ بكر أبو زيد عن الشيخ عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله - في كتابه (طبقات النسابين): «كان من أوعية العلم، جلدأ في سبيل الطلب، فقيهاً، نساباً، مؤرخاً، له تاريخ عن نجد، ذكر فيه أنساب أهل نجد وقبائلهم لم يطبع ولا ندري ما مصيره»^(٢).

* وقد ذكر الشيخ زيد بن فياض - رحمه الله - يوماً: «إنه أراد أن يعرف اسم منطقة في براري نجد، قال: فسألت عنها الشيخ عبدالله بن خميس والشيخ حمد الجاسر وغيرهما، فلم أجد جواباً، ولما زرت جدك في المزرعة أجباني وكأنه قد أعد بحثاً عنها!».

* قال الشيخ عبد الله بن جبرين - رحمه الله - سألت الشيخ عبد الرحمن بن قاسم عن أسرة آل جبرين، فأفادني كثيراً وقال أن اسمهم آل جبريل ولكن من عادة العرب أن تقلب اللام نوناً.

* وذكر لي المؤرخ عبد الرحمن الرويشد أنه أطلع على كتاب التاريخ للجد، وقال أنه يذكر فيه البلد وسكانها وأنسابهم.

* وقال عنه خير الدين الزركلي: «... وأولع في أوليته بالتاريخ والأنساب والجغرافيا ووقعت له قضية بسبب التاريخ فأحرق كثيراً من أوراقه»^(٣).

(١) وقد طبع الجزء الأول منه عام ١٤٣٥هـ، وعنوانه (ملخص في التاريخ اشتمل على معارف وتراجم وسير مهمة) ويقع في ٤ مجلدات.

(٢) طبقات النسابين ص ٢٦٧.

(٣) الأعلام ٣/٣٣٦.

※ ذكر كثير من جلساء الجد - رحمه الله - أنه إذا وفد عليه أحد من القرى البعيدة أو من البادية سأله من أنت، ثم سأله ما قرباتك بفلان وفلان ثم سرد له نسبه وأصله مما يبهر السامع ويعجب من تبحره في علم الأنساب.

※ وذكر محمد بن عبدالله الحمدان في مجلة العرب: «وقد اطلعت على بعض الكراريس التي كتبها في التاريخ والجغرافيا، فألفتها ذات فائدة كبيرة، فإنه يذكر اسم القرية أو الموقع وسكانه، وما قيل فيه من الشعر على غرار «صفة جزيرة العرب» للهمداني و «صحيح الأخبار» لابن بليهد».

※ والكتاب مفقود ولم أجد له أثراً ولا أعلم ما مصيره سوى ما سمعت أنه - رحمه الله - قام بإحراقه.

※ وقد كانت حافظته قوية مع حرصه وتسجيله؛ علاوة على أنه كان يذهب مع عمال جباية الزكاة ويجوب المناطق ويستمع إليهم، ما مكنه من أن يكون أستاذاً لفحول النسابة والمؤرخين.

وأحسب أنه - رحمه الله - أمضى ليله ونهاره في الجمع والتأليف والمطالعة والتصنيف حتى أتاه اليقين. فرحمه الله رحمة واسعة.

وما زلت ندادب في التأليف مجتهداً

حتى رأيتك في التأليف مكتوباً

من كتاباته التاريخية

بسم الله الرحمن الرحيم
 حمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم
 - ثم عليك ورحمة الله وبركاته وكلمة الحق الموحدة لا يبدل ولا تتبدل وحصلت مني
 ورفقتي في العزلة: فزاد مني من آياتهم في حارة رابته وماذا انت الله ارسلني
 لتلك باة الماحض فاحسب ما شئت من انزلاني فلم تغفلوا وانما ما عدت
 غيا بنا في باربع فلا تدرك واجابتكم عن علي وما ذكرت من اجرة النسب فالي الان:
 لم نتحمل ما نسل الاجداد من اجتماع المنه والى اسم في عامهم جدا جدا ولنت
 في الماشي اشقت: بالاسج العنوي ونوصل روحه في الرابحة واخبرنا انه يعرف
 هـ: وفيه اجادنا واجدادنا جدا جدا الى عامهم يخفق باهل الهياثم في اني عشر
 جدا والعام سلال محمد قطعا واشكاله بالتباثل التي الان سررت في الجنوب
 معروف عندهم ومنذنا ان انك ما يحضر في اوراق بعثه ~~وغيره~~
~~بنيك~~ عما خذنا ما تلقينا ~~سما~~ عنك راحل العصب وحنه ورافقه به
 ابراهيم بن محمد بنسج برسر و: كروان اراعي - بته ثلاثة سنة الف سنة لما محمد وسير
 وصهر والاعلى ما كلف من عامهم والخلان هم كره في الآس والاسا وليتقوا بسعد
 بن الامان عامهم ارم من اناس مع عبد الله سعيد خلقه في العود والاراة في العبد
 المنج والحمد والتميم والتميم والهديب وتفرق منهم فاسد زمانه
 ذكر به تسلكه عندي انتم وقاسم وشيخ وجميعهم العيا واه حمله على
 تسلسل نسبي: فوق هذا وبلاضف من اصل الهياثم او العامهم اهل السار
 فتمت في يومه ونعمه حملت على شي: فنادوا به ~~سما~~ العامهم ومشارك
 في العبد وعياله ~~سما~~ من عند العبد والعمول: شوقكم من ابراهيم
 وانتم في اناسه: حوزتم وار (١) ٥٥
 ١١
 ٣

نموذج من كتابته في الأنساب في رسالة مرسلة إلى عبد الله بن أحمد بن منيع - نزيل الزلفي .هـ.

١٨ . كتاب:

«الحجاب واللباس في الصلاة»:

ذكره الشيخ محمد بن عثمان القاضي في روضة الناظرين^(١): ولعله يقصد كتاب الحجاب واللباس في الصلاة لشيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - .
وأذكر أن والدي - رحمه الله - ذكر أنه هو الذي أخرجه .

(١) روضة الناظرين ٣/٣٢٣٦ .

وقد إعتنى - رحمه الله - مجموعة من الكتب وأشرف على طبعها وإخراجها من غير مؤلفاته، ومنها:

١٩. (كتاب الزهد): للإمام أحمد بن حنبل، طبع في مطبعة أم القرى بمكة عام ١٣٥٧هـ.

قال - رحمه الله - في مقدمته: «فإنها لم تزل النفوس تتطلع والألسن تبحث عن أجل كتاب صنف في الزهد، وذلك ما صنفه الإمام الجليل إمام المحدثين أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - إلى أن أتاح الله من شمر في نشره...».

٢٠. وكذلك أخرج (ديوان ابن مشرف) وطبع في مطبعة أم القرى في مكة.

٢١. وكذلك كتاب (أهوال القبور) لابن رجب.

٢٢. وكتاب (التخويف من النار) لابن رجب.

٢٣. وكتاب (البحور الزاهرة) لابن رجب.

٢٤. وكتاب (نونيه القحطاني ونبذ من قصيدة ابن عبد القوي).

٢٥. وديوان (ابن لعبون).

وهناك غيرها من الكتب التي أخرجها وأشرف على تصحيحها وطبعها.

وقد ذكر المؤرخ الأستاذ عبد الرحمن الرويشد أنه رأى لدى الشيخ عبد

الرحمن بن قاسم كتاب الأزرقى (تسهيل المنافع لكل داء نافع) وعليه تعليقات

للإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود.

* وله مؤلفات أخرى ذكرها الشيخ محمد بن عثمان القاضي وهو يعدد

مؤلفاته - رحمه الله - بقوله: «... ورسائل وفتاوى لو جمعت لجاءت

أسفاراً ضخمة...»^(١).

(١) روضة الناظرين ١/٢٣٦.

جولة تاريخية:

لاشك أن حركة التأليف في بداية تأسيس هذه البلاد كانت تتماشى مع ظروف تأسيس الدولة ولم تكن بتلك الكثرة المعهودة؛ لأن التعليم قبل تأسيس المملكة عام ١٣٥١هـ كان ضعيفاً وقليلًا، بل إن التعليم في ذلك الوقت تزامن مع ندرة العلماء في أكثر البلدان.

يقول د. محمد بن ناصر الشثري: «وكان في البلاد بقية من العلماء تعلموا على أيدي أئمة الدعوة وتلاميذهم الذين قامت عليهم دعائم الدولة السعودية في سابق عهدها، . . . إلا أن هؤلاء العلماء كانوا من القلة، بحيث نجد أن بعض القرى لا يوجد بها من يقرأ أو يكتب لانشغال الناس بكسب العيش . . .»^(١).

وفي هذا الوضع من انعدام المراجع، وصعوبة السفر ومشقته، وندرة المكتبات؛ قام الجد - رحمه الله - بالتأليف.

وقد ذكر الوالد في مقدمة مجموع فتاوى شيخ الإسلام « . . . بدأ فضيلة الوالد - بارك الله في أوقاته ونفع الإسلام والمسلمين بمجاميعه ومؤلفاته - في جمعها في الوقت الذي ندرت فيه حركة «الجمع والتأليف» في نجد أي بعد سنة ١٣٤٠هـ . . .»^(٢).

اشتغل الجد - رحمه الله - أيضاً بالتحقيق لكثير من الكتب المفيدة التي طُبعت بعد أن تولى تصحيحها والتعليق عليها.

ولو جمعت صفحات كتبه التي أخرجها - رحمه الله - لتجاوزت ٤٠ ألف صفحة. ولو قدرنا أنه بدأ الجمع والتأليف وعمره عشرون سنة،

(١) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ١ / ٤٠ .

(٢) مجموع الفتاوى ١ / ب.

فمعنى ذلك أنه بقي ستين سنة يؤلف ويجمع في السنة الواحدة ما معدله ٦٦٧ صفحة، أي ما يقارب كل يوم صفحتين؛ مع ما أصابه - رحمه الله - من المرض والضعف واعتلال الصحة.

ومن تأمل (حاشية الروض المربع) فقط لعلم الجهد المضني في النقل والرجوع إلى أمهات الكتب.

وقد تبعت تاريخ طبع كتبه - رحمه الله - كما ذكرها د. علي جواد الطاهر في مجلة العرب مجلد ٨ السنة السابعة / صفر ١٣٩٣هـ فوجدت أنه - رحمه الله - أخرج أول كتبه وهو (حاشية الرحبية في علم الفرائض) في عام ١٣٥٧ طبعتها مطبعة أم القرى، وكان عمره حينئذ ٤٥ عاماً فقط، تلتها حاشية (الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية) في عام ١٣٦٤ طبع في مطبعة الحكومة.

ووجدت مقدمة كتاب (تحريم حلق اللحي) في جمادى الأولى ١٣٥٤هـ. ومعنى ذلك أنه ألفها وعمره دون ٤٢ عاماً.

أما بداياته في الجمع والترتيب وهي مرحلة طويلة قبل الطبع فلعل من أقدمها جمعه (لفتاوى شيخ الإسلام) حيث ذكر في المقدمة أنه بدأ في الجمع سنة ١٣٤٠هـ. وله من العمر حينئذ ٢٨ عاماً فقط.

أما تاريخ التقارير التي على الطبعة الأولى (للدرة السنوية) فهو عام ١٣٥١هـ. ومعنى ذلك أنه بدأ الجمع قبل ذلك بسنوات.

ثم توالى إخراج مؤلفاته - رحمه الله - فمنها ما طبع في حياته ومنها ما طبع بعد وفاته - رحمه الله -.

والمعلوم أن تاريخ توحيد المملكة العربية السعودية كان في عام ١٣٥١هـ، وبالاستقصاء فإن حركة التأليف والطبع والنشر قبل ذلك العام بل وبعده

بسنوات كانت ضعيفة ونادرة مع انعدام المكتبات والمطابع . فلهذا يعلم أن الشيخ عبدالرحمن - رحمه الله - سبق عصره بسنوات طويلة وأنعم الله عليه بإخراج هذه المؤلفات العظيمة .

* وقد وجدت مخطوطة مصورة لدى دار الملك عبد العزيز بعنوان (الجواب الفارق بين العمامة والعصائب) لمؤلفها سليمان بن سحمان . وقد قام الجد - رحمه الله - بتوكيل عبد الله بن إبراهيم بن ربيعه لنسخها على نفقته - رحمه الله - وذلك عام ١٣٢٥هـ وله من العمر (٢٣) عاماً فقط .

كالإخراج انتهى وما هو مقتضى القول والمقالة فقد وجدناهم
كذلك بل وجدناهم يفتون بذلك لأنه مضى على زمنه مشون وللأمر
في كل عم فتون وشقون كما قيل إن في كل بلد من بلادهم مئة مشنة
ومئة لسان ولا تقف عند حده أحد من نوح انسان وما شاء الله كان
فبين رحمه الله تعالى أن المراد بالعجايم هي ما كان يلبسها هو و
أصحابه وذكر رحمه الله تعالى أنه رأى أهل الحرمين الشريفين أطم
الله تشریفها ومن سألهم فيها قد خالفوا نزي العرب وأحدثوا
لها اشكالاً غير الشكل المأثور وأحرقوا فيها وفي غيرها من اللباس و
الشباب حتى خرجوا عن نزي الإسلام السابق واختاروا ما شاؤوا من
القلانس والعجايم انتهى فلتفي الحال بهذه العصائب التي لا تشبه عجايم
الأي في الاسم فليست عجايم ولا هي على قلنسوة بل قد خرجت عن نزي أهل
الإسلام السابق وخرج هذا يزعم من أحد ثقاتنا سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الله المستعان والله يقول
الحق وهو يهدي السبيل وصلى الله وسلم
على عبده ورسوله محمد وآله و

صلى الله عليه وسلم

آمين

تم نسخها في ٤ شعبان سنة ١٣٢٥ من العصر بقلم الفقير الالام
عليه من إبراهيم بن محمد بن ربيعه المعروف بالربيعي القصبيني على نفقته
الإخ المح عبد الرحمن بن محمد بن قاسم عن ابنه كهيما وأولادها
ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات
إنه هو الغفور الرحيم

منهجه في البحث والتأليف وما تميزت به مؤلفاته

اقتصر بعض العلماء على الكتابة في فن واحد من علوم الشريعة، والبعض الآخر كتب وألف في فنون عديدة ممن تبحر في العلوم وتزود منها، وتنوع مؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله - واختلاف مواضيعها ينبئ عن ملكة عظيمة في البحث والقراءة وسعة الاطلاع والتعمق في أمهات الكتب، وكان لهذا التنوع والتعدد في الموضوعات صفات تميز بها الشيخ - رحمه الله - من أبرزها:

أولاً: التزامه منهج السلف الصالح في العقيدة:

وهذا واضح جلي لا يحتاج إلى برهان، وحسبك به إخراج (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) وشيخ الإسلام من هو في تأصيل وكتابة منهج السلف الصالح - قدس الله روحه -، وكذلك في إظهار الحق والرد على أهل البدع والمخالفات والأهواء.

وكذلك جمع ونشر كتاب (الدرر السنية في الأجوبة النجدية) لأئمة الدعوة السلفية، وهي تزخر بتقرير العقيدة والرد على المخالفين. وأثنى - رحمه الله - ثناءً عطرأً على شيخ الإسلام لنصرة مذهب السلف، فقال في مقدمة (مجموع الفتاوى):

«أما بعد: فإن شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الخضر بن تيمية النمري الحراني العالم الرباني، سيد الحفاظ، بحر العلوم، مفتي الأمة، قريعة الدهر، أعجوبة الزمان، حجة الله على عباده، الجامع بين العلوم النقلية والعقلية بأنواعها، ومذاهب أهل الملل والنحل، وآراء المذاهب، ومقالات الفرق؛ ما لا يعلم مثله عن أحد من علماء الأرض لاقبله ولا بعده، مع بيان حقيقة الشريعة المطهرة على الوجه الصحيح وقوة الحكم».

* كما أن في تعقبه وملاحظاته على كتاب «الدرة المضية» للإمام السفاريني، التزام بمنهج أهل السنة والجماعة وذلك عندما شرحه وحشى عليه، قال - رحمه الله - في مقدمته: «... ونبته على ما خالف المصنف فيه مذهب السلف...».

* وفي مقدمة (حاشية كتاب التوحيد) التي أخرجها إنباء عن حرص على التوحيد، وتقريره، وذكر ما ينقض كماله أو ينافيه.

* يقول - رحمه الله - في كتابه (السيف المسلول على عابد الرسول) راداً على عليّ بن محمد الرشيدي:

«... هلا كان نصرتك للحق، ودعوتك في رد العظائم في جهتكم وغيرها المضادة لأصل الإسلام؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ من الشرك بالله وأعظمها عبادة الأنبياء والصالحين وغيرهم، وأشهرها عبادة القبور، التي طبقت العالم إلا من شاء الله.

ولقد اتخذوها في هذه الأزمان معابد، وزخرفوها بالأبنية الضخمة، وموهوها بالذهب والفضة، وكسوها بأنواع الحرير، وازدحموا عندها يعكفون، ويطوفون، ويتمسحون، ويذبحون لها، وينذرون، ويخضعون لها، ويذلون، ويخشعون؛ بل يحصل لهم من الرقة والخشية والدعاء والمناجاة ما لا يحصل لهم إن قصدوا المسجد للصلاة، بل لا تكاد ترى عليهم من الخشوع والابتهاال في الصلاة معشاره عند القبور.

ويعتقدون أن الصلاة عندها وفيها وإليها أفضل من الصلاة في بيوت الله - عز وجل -؛ ويقصدونها من الأماكن البعيدة، وربما تكون بحذائهم مساجد مهجورة معطلة، وإذا أدركوا الصلاة في تلك المساجد، كان عندهم أفضل؛ وهي ليست مقصودة، لكونها بيوتاً لله، بل لكونها مقامات ومشاهد، لمن نسبت إليه، من أهل تلك القبور؛ يدل على ذلك: أنهم لا يسمونها إلا مقامات، وحضرات، ومشاهد، وليس مقصودهم، إلا التقرب بالميت وبحضرته.

وكثير ممن زين لهم الشيطان أعمالهم، يصلون إلى الميت، ويدعو أحدهم الميت، فيقول اغفر لي، وارحمني، ونحو ذلك، ويسجد له؛ ومنهم من يستقبل قبره، ويصلي إليه مستدبر الكعبة؛ ويقول: القبر قبلة الخاصة؛

والكعبة قبله العامة .

قال بعض أهل التحقيق: وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهداً، يحبون آلهتهم أكبر من حب الله؛ يغضب أحدهم لهم ولحرماتهم أعظم مما يغضب الله ويستبشر بذكرهم، ويسر به، ويحن قلبه، ويهيج من لواعج التعظيم بذكرهم، والخضوع لهم؛ وإذا ذكر الله وحده لحقتهم وحشة وضيق وخرج؛ بل تراهم يقفون عندها، أخشع من موقفهم في عرفات ويفضلونها والحج إليها على حج بيت الله الحرام، والسفر إليها على السفر للحج، وغير ذلك مما هو معلوم، عند جميع أهل العلم بدين الإسلام، أنه مناف لشريعة الإسلام.

وطائفة من علمائهم: صنفوا كتباً وسموها: مناسك حج المشاهد؛ وأما الكتب المصنفة باسم الزيارة، والمولد، والتحريض على التوسل بالأموات ودعائهم وإهداء النذور لهم والصدقات، فأكثر من أن تحصر؛ فأين نصرتك للحق والحالة هذه؟! بل تخطيت بالرد على من نهى عن ذلك...»^(١).

(١) السيف المسلول على عابد الرسول ص ٧.

ثانياً: عدم تعصبه لمذهب معين:

فالشيخ - رحمه الله - حنبلي المذهب ومع هذا يورد أقوال الأئمة كما في (حاشية الروض) وغيرها مستهدياً بالدليل من الكتاب والسنة.

وقد ذكر ذلك في مقدمة كتابه (حاشية الروض المربع): فقال: «.. ولا يجب التزام مذهب معين إلا رسول الله ﷺ، ومن التزم مذهباً معيناً ثم فعل خلافه من غير تقليد لعالم آخر أفناه، ولا استدلال بدليل يقتضي خلاف ذلك، ومن غير عذر شرعي يبيح له فعله، فإنما يكون متبعاً لهواه، فإنه ليس لأحد أن يعتقد الشيء واجباً أو محرماً، ثم يعتقد الواجب حراماً والمحرّم واجباً بمجرد هواه كمسألة الجد وشرب النبيذ، وأما إذا تبين له ما يوجب رجحان قول على قول بالدليل، أو رجحان مفت فيجوز بل يجب، والعاجز إذا اتبع من هو من أهل العلم والدين، ولم يتبين له أن قول غيره أرجح، فهو محمود مثاب، والله الموفق للصواب...»^(١).

* وقال - رحمه الله - في ذم التعصب: «... التعصب إلى المذاهب والمشايخ، وتفضيل بعضهم على بعض، والدعوى إلى ذلك، والمبالاة عليه من دعوى الجاهلية. والواجب على المسلم أن يكون أصل قصده طاعة الله وطاعة رسوله، ويدور على ذلك ويتبعه أينما وجد، ولا ينتصر لشخص انتصاراً مطلقاً إلا لرسول الله ﷺ، ولا لطائفة انتصاراً مطلقاً عاماً إلا لأصحابه.

فإن الهدى يدور مع رسول الله ﷺ حيث دار ويدور مع أصحابه دون غيرهم، خلاف ما درج عليه بعض متأخري الأصحاب وغيرهم، حتى قال أبو الحسن الكرخي الحنفي: الأصل قول أصحابنا فإن وافقه نصوص الكتاب

(١) حاشية الروض ٢٠ / ١.

والسنة فذاك، وإلا وجب تأويلها، وجرى العمل عليه، وفي جامع الراموز وغيره: المذهب أنه لا يُقَلَّد أحد من الصحابة ولا التابعين إلا أبا حنيفة، بل منهم من أدخل في الإسلام المذهب، وادعى الجويني وغيره وجوب انتحال مذهب الشافعي على كافة المسلمين، حتى على العوام الطغام، بحيث لا يبغون عنه حولاً، ولا يريدون به بدلاً، وقيل غير ذلك مما يستحي العاقل من حكايته فضلاً عن نقله^(١).

✽ وقال - رحمه الله - «عن فضل الأئمة الأربعة وكذا غيرهم من أئمة الدين. ووجوب توقييرهم واحترامهم، والتحذير من بغضهم وأذاهم. قد تظاهرت به الآيات وصحيح الأخبار والآثار، وتواترت به الدلائل العقلية والنقلية، وتوافقت، وهم أهل الفضل علينا، ونقلوا الدين إلينا، وعول جمهور المسلمين على العمل بمذاهبهم، من صدر الإسلام إلى يومنا هذا، بل لا يعرف العلم إلا من كتبهم، ولم يحفظ الدين إلا من طريقتهم، فيجب احترامهم، وتوقيرهم، والاعتراف بقدرهم وتحسين الظن بهم، فهم من خيار الأمة، وخلفاء الرسول ﷺ، ومعرفة أقوالهم سبب للإصابة ومعرفة الحق، لا سيما أهل الحديث، فإنهم أعظم الناس بحثاً عن أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته وطلباً لعلمها، وأرغب الناس في اتباعها، وأبعد الناس عن اتباع ما يخالفها ومقدمهم الإمام أحمد بن حنبل، الذي قال فيه شيخ الإسلام وغيره: أحمد أعلم من غيره بالكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين، ولا يكاد يوجد له قول يخالف نصاً، كما يوجد لغيره، لكن لا ندعي فيه ولا في أحد منهم العصمة، ولا نتخذهم أرباباً من دون الله، وما وجد في بعض كتبهم من خطأ فمردود على قائله، مع إحسان الظن به، والفقهاء

(١) حاشية الروض ٩/١.

المنتسبون إليهم لم يختاروا مذاهبهم عند عدم الدليل، إلا عن اجتهاد لا مجرد رأي وتقليد، كما ظنه من لم يحقق النظر في مصنفاتهم. ومع ذلك فليسوا بمعصومين»^(١).

✽ وأثنى - رحمه الله - على أئمة الدعوة وعلماء السلف في مواضع كثيرة فقال - أجزل الله مثوبته ورفع درجته - :

«وبالجملة: فمن تأمل حالهم، واستقرأ مقالهم عرف أنهم على صراط مستقيم، ومنهج واضح قويم؛ شمروا عن ساعد الجد والاجتهاد، وصرفوا عنايتهم في نصره هذا الدين، الذي كان الأكثر في غاية من الجهالة بمبانيه العظام، ونهاية من الإعراض عن الاعتناء به والقيام، فشرعوا فيه للناس موارد، بعد أن كان في سالف الزمن طامساً خامداً، وعمروا لهم فيه معاهد، حتى صار ظاهراً مستنيراً مشاهداً...»^(٢).

(١) حاشية الروض المربع ١٩/١.

(٢) مقدمة الدرر السنية ١٩/١.

ثالثاً: الدقة المتناهية في عبارات وألفاظ كتبه:

فلا تجد حشواً ولا تكلفاً؛ يتضح ذلك جلياً في (حاشية الروض المربع) و(حاشية كتاب التوحيد) وغيرهما، من مؤلفاته.

يقول - رحمه الله -: «... إثبات المسألة بدليلها تحقيق، وبدليل آخر تدقيق، والتعبير عنها بفائق العبارة ترقيق، وبمراعاة علم المعاني والبديع في تركيبها تنميق، والسلامة فيها من اعتراض الشرع توفيق، ونسأل الله بأسمائه الحسنی الهداية والتوفيق، لما اختلف فيه من الحق إلى أقوم طريق...»^(١).

* ويقول - رحمه الله - في مقدمة كتاب (حاشية الروض):

«... ينبغي لكل مبتدئ في فن من فنون العلم أن يعرف مبادئه قبل الشروع فيه، ولما كان الفقه من أنفع العلوم وأهمها، كما قال ابن الجوزي - رحمه الله -: الفقه عليه مدار العلوم، فإن اتسع الزمان للتزديد فليكن من الفقه، فإنه الأنفع، وقيد المهم من كل علم، فهو سيد العلوم انتهى، فلذلك نذكر المبادئ العشرة المشار إليها في قول بعضهم، ونمثل بالفقه وهي هذه:

إن مبادئ كل فن عشر
الحد والموضوع ثم الثمرة
وفضله ونسبته والواضع
والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى
ومن درى الجميع حاز الشرفا

فالمهم من ذلك معرفة الحد وهو أصل كل علم، ومعناه: الوصف المحيط الكاشف عن ماهية الشيء، وشرطه طرد وعكس، ومعنى الطرد: إدخال المحدود، والعكس: إخراج ما عداه، فإن لم يطرد وينعكس فليس بحد، والموضوع: وهو ما يقصد بيانه، والثمرة - ويقال لها الفائدة أيضاً - وهي ما ينتجه، إذا عرفت ذلك فحد الفقه: معرفة الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية، وموضوعه: أعمال المكلفين من العبادات والمعاملات، وثمرته: الاحتراز من الخطأ في القيام بالعبودية، وفضله: ما فضل به على غيره، ونسبته إلى العلوم كنسبة الفرع إلى أصله، والواضع هو الله - تعالى -، والاسم: يعني الفقه، والاستمداد: يعني من كلام الله - تعالى - وكلام رسوله ﷺ، وحكمه: أنه فرض عين فيما يجب، وفرض كفاية فيما زاد على ذلك، ومسائله ما يذكر في كل باب من أبوابه، وهي جمع مسألة وهي القضايا المبرهن عنها في العلم، ويقال في كل فن من العلم كما في فن الفقه، فافهم ذلك والله أعلم^(١).

(١) حاشية الروض ٨/١.

رابعاً: إجلاله للعلماء، وثنائوه عليهم:

وإرجاع الفضل لأهله بعيداً عن العجب والأناية، وكأنه لم يعمل شيئاً مع عدم التشكي والتذمر وذكر ما لاقاه من مشقة وتعب.

قال - رحمه الله - في مقدمة (مجموع فتاوى شيخ الإسلام): «وأشار عليّ شيخنا - حفظه الله - لما رتبت فتاوى علماء هذه الدعوة - وكان لديّ من فتاوى شيخ الإسلام جملة كثيرة - أن أرتبها أسهل للمراجعة، ففعلت وأراجعه فيما يشكل، ثم جمعت من نجد والحجاز مجلدات، ورتبتها. ولما سافرت للمعالجة جمعت ما تيسر وساعدني الابن محمد - وفقه الله - وضممت ما تحصل على ما رتبته، وما توفيقى إلا بالله^(١)».

* ويقول - رحمه الله - في مقدمة (الدرر السنوية): «... وأعانني عليه شيخنا الفاضل الحبر الثقة الشيخ محمد بن إبراهيم... وحرره وهذبه، أعدته وأبديته عليه فزهى...»^(٢).

* ويقول - رحمه الله - في مقدمة (الدرة المضية): «... فإنه لما عزم من وفق لبث العلوم الدينية على نشر هذه العقيدة الجليلة، المتضمنة لجل عقائد الفرقة المرضية، طلب مني أن أكتب عليها حاشية وجيزة عجالة، فأجبتة إلى ذلك رجاء المثوبة...»^(٣).

* بل ولا تجدف في جميع مؤلفاته وكتبه ثناءً أو ذكراً إلا لفئة العلماء فحسب - الذين ورثوا ميراث النبوة -.

(١) مجموع الفتاوى ١ / د.

(٢) الدرر السنوية ١ / ٢٠.

(٣) الدرة المضية ١ / ٧.

خامساً: أمانته العلمية في النقل والعزو إلى المصادر:

القارئ المتابع لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن - رحمه الله - يلحظ دقته وأمانته في النقل؛ فانظر مثلاً قوله في (حاشية كتاب التوحيد) «قال شيخنا» - وهي مشافهة.

وانظر إلى أمانة النقل عندما نقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية أن الخضر حي، واستدرك عليه في الهامش، قال الشيخ بكر أبو زيد في كتابه (الردود): «وهذه الفتوى لم نر من نقلها عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - قبل الشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى - جامع الفتاوى وقد علق عليها بقوله (٣٣٨/٤): «هكذا وجدت الرسالة».

ومعلوم أن الشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى - لا يعلق على الفتاوى بمثل ذلك؛ لأنها تخالف سائر فتاويه وأقواله في الخضر، وينقله عنه الكافة، وبخاصة أخص تلامذته ابن القيم - رحمه الله تعالى - وغيرهم من أهل العلم - رحمهم الله - في هذا^(١).

وذكر الوالد - رحمه الله - أنه أشار على الجد بعدم وضع هذه الفتوى حتى لا تثير أشكالاً، ولكن الجد - رحمه الله - أثبتها وعلق عليها. وبهذا انتفى الحرج من وضعها. خاصة أن هناك أقوالاً لشيخ الإسلام تثبت أن الخضر ميت كما في مجموع الفتاوى (١/٢٤٩) و(٢٧/١٠٠) وكذلك في منهاج السنة (٤/٩٣) وغيرها.

* وقد ذكر في كتاب (الزهر النضر في حال الخضر) للحافظ ابن حجر تحقيق صلاح الدين مقبول، ذكر المحقق قولاً لشيخ الإسلام في حياة الخضر ثم نقض هذا القول المنسوب إليه بعدة أدلة وكان مما قاله المحقق:

«تعليق الشيخ عبدالرحمن بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي (جامع فتاوى شيخ الإسلام) على هذه الفتوى بقوله: «هكذا وجدت هذه الرسالة».

ثم قال المحقق: ومن عادة جامع الفتاوى بأن لا يعلق مثل هذه التعليقات ولكنه - في نظري - اضطر إلى هذا التعليق في هذا المكان ما رأى فيه من رأي شاذ حول حياة الخضر، يخالف جميع آراء شيخ الإسلام، فنبه عليه، وهذا التعليق ممن رتب الفتاوى الذي له اطلاع واسع دقيق على جميع كتابات ابن تيمية الموجودة مثير للشك ولا ريب أنه تعليق دقيق ووجيه في محله ولا بد»^(١).

* وتأمل في دعاء ختم القرآن ولم يتضح له أنه من كلام شيخ الإسلام فلم يوضع في الفتاوى؛ حتى يسر الله - عز وجل - للوالد - رحمه الله - ووجد نسخة له فاضافه في (المستدرك على مجموع الفتاوى).

* ومن أمانته - رحمه الله - ودقته لمن تأمل في هوامش مجموع فتاوى شيخ الإسلام يجد عبارات كثيرة في ثنايا المجلدات: (سقط مقدار ثلاث كلمات) أو (هكذا في الأصل) أو (سقط في الأصل) أو (سقط مقدار نصف سطر) أو (سقط مقدار ثلاث كلمات) أو (خرم في الأصل مقدار كلمتين) بل ومن شدة أمانته في النقل وحرصه على إيصال العلم يجعل الكلمة التي صعبت قراءتها ولم يستطع فك رموزها يكتبها كما رسمت بالخط ويكتب موضعاً: (هكذا في الأصل).

(١) الزهر النضر في حال الخضر ص ٤٨ .

سادساً: مما تميزت به مؤلفاته. طرح القبول لها وهذا. والله الحمد. واضح جلي:

قال الشيخ بكر أبو زيد - وفقه الله - وهو يتحدث عن (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية): «... إن هذا المجموع المبارك «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» لابن قاسم هو غرة في جبين الدهر، زينة لأهل الإسلام، لسان صدق للعلماء، عمدة للباحثين، نفع الله به أقواماً بعد آخرين، وقد انتشر في العالمين انتشار العافية، وكتب له من القبول والانتشار ما يعز نظيره في جهود المتأخرين فالحمد لله رب العالمين...»^(١).

✽ وقد ذكر الشيخ عبدالله بن منيع - وفقه الله - القصة التالية:

قام فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله - بجمع ما تيسر له جمعه من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، واستصدر سماحة الشيخ [محمد بن إبراهيم] - رحمه الله - أمراً من الملك سعود - رحمه الله - بطباعته على نفقته الخاصة، وبعد تمام طبعه وتوزيعه قلت لسماحته: لا شك أن الشيخ عبدالرحمن ثقة و ثبت أمين فيما ينقله عن شيخ الإسلام إلا أن توفر القناعة في أمانته وثقته وعدالته مقصورة على من يعرفونه ومن يعرفون من يعرفونه أما من يجهله وما أكثرهم في بلادنا وفي غير بلادنا من البلدان الإسلامية فقد يكون تردد في قبول النقل ما لم يعز إلى جهة الأخذ منه سواء كان ذلك من رسائل مشهورة أو من رسائل مخطوطة في مكتبة من المكتبات التي أخذ منها ولم يعز - رحمه الله - شيئاً من مجموعها فإذا ترون سماحتكم إصدار شهادة توثيق لسلامة ما نقله عن شيخ الإسلام منكم ومن الشيخين عبدالله بن حميد وعبدالعزيز بن باز ليكون ذلك أدعى إلى القبول العام، فلم يستصوب سماحته هذا الاقتراح، ورده بقوله: «إن كان

(١) المداخل إلى آثار شيخ الإسلام ٩٣/١.

ما تريد نسختك فرجعها لنا». والحمد لله بأن الأمر كما اطمأن إليه سماحته فلم يكن شيء مما كنت أتخوفه ولم يكن اقتراحي مزعزعا عقيدته في هذا المجموع واعتباره من أنفس الأسفار^(١).

* ومن طرح القبول لمؤلفاته ما نراه الآن من جعلها مرجعا للعلماء والمتعلمين، فلا يخفى كثرة عزو علماء المسلمين إليها والأخذ عنها والنهل من معينها، وقد ذكرت ثناء العلماء على مؤلفاته في مظانها.

* كما أن في جعل كتابه: «حاشية الروض المربع» منهجا مقررًا على طلاب كلية الشريعة من طرح القبول لمؤلفاته.

ومن تتبع كثرة طبعها وتوزيعها في الداخل والخارج وجد أثر ذلك والله

الحمد:

* قال الشيخ محمد آل إسماعيل: «... وقد لقيت كتب الشيخ ابن قاسم ومؤلفاته قبولاً في حياته وأثنى عليها أقرانه وزملاؤه حتى أن أستاذه وشيخي الشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش هو الذي عرفني بكتب الشيخ ابن قاسم في حياته، وأهداني كثيراً منها ودرّسني في حاشيته على الرحبية في علم الفرائض وحفظت بفضل الله الرحبية مع حاشيتها، هذا مع أن الغالب أن العالم لا يسلم من حسد الأقران وداء المعاصرة خصوصاً في حياته، ولكن ابن قاسم - رحمه الله - لقيت كتبه قبولاً في حياته لدى شيوخه وأقرانه، بل أثنى زملاؤه عليها ودرسوها ودرسوا تلاميذهم فيها وعرفوا تلاميذهم عليها...»^(٢).

(١) الشيخ محمد بن إبراهيم من أفضاذا العلماء ص ٦٥ .

(٢) الشيخ محمد بن إبراهيم وأثر مدرسته في النهضة العلمية، ص ٥١ .

* ومن طرح القبول لها حفظها سنوات طوال وعقود متتالية حتى خرجت إلى النور، قال العم الشيخ سعد: «أتعجب من حفظ الله - عز وجل - لكتب الوالد عندما كانت مخطوطة وبقيت سنوات بعضها يزيد عن الأربعين سنة وكان يحفظها - رحمه الله - في دولاب خشب ثم وضعها في صناديق حديد وبقيت محفوظة».

قال: «وبعضها وجدتها مدبوسة بمشابك وأخرى بمسامير كبيرة».

* ومن توفيق الله - عز وجل - أن سخر ابنه العم الشيخ - سعد بن قاسم - لمراجعة ونشر مؤلفاته بعد وفاته بسنوات تصل إلى الثلاثين عاماً وهو يسعى - مشكوراً مأجوراً - في مراجعتها وتصحيح بروفاتها ومطابقتها على الأصل.

ومن توفيق الله ومنته أن سخر ابنه العم الشيخ - ناصر بن قاسم - إلى تبني طباعتها من ماله الخاص وبيعها بسعر يقارب سعر التكلفة مع كثرة الكتب المتبرع بها من قبله.

فنتفع الله بجهود الأعمام - وفقهم الله - فهي متممة لجهد - الجد - رحمه

الله - .

سابعاً: مما ظهر جلياً واضحاً في مؤلفاته الثبات على المنهج:

في جميع مؤلفاته مع تنوعها وكثرتها، واختلاف أزمنة جمعها وتأليفها، ففي أول مؤلفاته التي خرجت تجدد نفساً مثله في آخر مؤلفاته إن لم يكن قد زاد ثباتاً وتمسكاً بالمنهج السلفي المستمد من الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

وهذه منة وفضل من الله - عز وجل - عليه، خاصة في زمن بدأ الانفتاح على هذه البلاد، وتأثر الكثير بالأفكار الوافدة، وظهور الترخص والبعد عن المظهر الواجب واتباع السنة.

هذا إضافة إلى سفره للخارج سواء البلاد العربية أو بلاد أوروية للعلاج وجمع الفتاوى، في زمن ندر من يسافر خارج بلده، بل وإقامته الشهور الطويلة هناك، ومع ذلك كان مثلاً للمؤمن المتمسك بعقيدته المعتز بدينه، ومن الأمور الظاهرة إنه كان يسافر بلباسه المعتاد في بلده (الثوب والشماع).

وقد ثبته الله - عز وجل - ثباتاً في حياته العامة ومؤلفاته وكتبه، فله الحمد والثناء وعظيم الشكر.

ثامناً: ترتيب مؤلفاته الفقهية على أبواب الفقه المعروفة:

وهذه مزية اكتسبتها مؤلفاته وصبغةً علمية، ومنقبة أكاديمية.

✽ ففي (الدرر السنية) مثلاً: أثنى عليه في هذا الجانب الشيخ محمد بن عبداللطيف - رحمه الله - فقال في تقريره (للدور السنية):

«... وقد رتبها الترتيب الموافق وتابع بينها التابع المطابق، لا سيما المسائل الفقهية، التي رتبها على حسب أبواب الفقه، وفرقها فيها من غير إخلال بشيء من المقصود فكان هذا المجموع هو الدررة المفقودة، والضالة المنشودة...»^(١).

✽ وقال الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - أيضاً عن ترتيب (الدرر السنية):

«... وقد أجاد ترتيبها بما يسهل على المستفيد طريقة ما يقصد من الفائدة ويريد، لا سيما المسائل الفرعية...»^(٢).

وقال الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري - رحمه الله - عن (الدرر السنية):

«وقد أجاد وفقه الله في ترتيبها، وجمع مشتتها وتبويبها، لا سيما المسائل الفقهية، والفتاوى الفروعية فإنه رتبها على تبويب متأخري الفقهاء من أصحابنا - رحمهم الله -».

وقس على ذلك بقية كتبه كـ (حاشية الروض المربع) وغيرها - رحمه الله وأجزل مثوبته -.

(١) الدرر السنية ٧/١.

(٢) الدرر السنية ٨/٧.

تاسعاً: سلاسة عباراته وتجانسها وحسن انتقائها وجمال عرضها وبعدها

عن الحشو والتكلف والكلام الإنشائي المكرر:

وانظر إليه في مقدمة كتابه (حاشية الروض) يسكب العبارات بتجانس

عجيب .

يقول - رحمه الله - :

« . . . أما بعد، فإن زاد المستقنع وشرحه قد رغب فيهما طلاب العلم غاية الرغب، واجتهدوا في الأخذ بهما أشد اجتهاد وطلب؛ لكونهما مختصرين لطيفين، ومتخبين شريفيين، حاويين جل المهمات، فائقين أكثر المطولات والمختصرات، بحيث إنه يحصل منهما الحظ للمبتدي، والفصل للمتتهي، وخدمهما علماء العصر كالشيخ عبدالله أبا بطين، والشيخ عبدالله العنقري، وعبد الوهاب بن فيروز، بالحواشي مفردة، وعلى الهوامش، ويتأكد من لا أحصيههم مكثراً ومقل، فتطفلت بوضع هذه الحاشية، منتخبة من تلك الحواشي، ومن تقرير شيخنا محمد بن إبراهيم آل الشيخ . . . » .

ويقول - رحمه الله - في مقدمته للدرر السنية :

« وأعاني عليه شيخنا الفاضل الحبر الثقة الشيخ محمد بن إبراهيم . . . وحرره وهذبه، أعدته وأبديته عليه فزهى، فظهر عليه آثار القبول وبهى، كررت الفقه عليه مراراً، والأصول وغيرها إمراراً . . . » .

عاشراً: ظاهرة التواضع والضراعة والابتهاال إلى الله - عز وجل - بادية

في مؤلفاته وكتبه - رحمه الله - .

وحسبك به في مقدمة مؤلفاته أمثلة واضحة وشواهد ساطعة: يقول في مقدمة (حاشية الروض المربع) والتي تقع في سبعة مجلدات وتُدرس في كليات الشريعة بالمملكة، ويتخرج عليها العلماء والقضاة، يقول في المقدمة: «تطفت بوضع هذه الحاشية».

* وفي كتاب (حاشية التوحيد) كتب - رحمه الله - : «...ولشدة الاعتناء بهذا السفر الجليل تطفت عليه بوضع حاشية مختصرة منتخبة...».

* وفي كتابه (أصول الأحكام) ويقع في أربعة مجلدات كبيرة يُعرف به فيقول: «...هذا مختصر يشمل على أصول الأحكام...».

* وفي مقدمة (حاشية الرحبية) قال: «...هذه حاشية وجيزة علقتها...».

* وقال في مقدمة (الدرر السنية) وتقع في ستة عشر مجلداً: «..فأمرني من تجب طاعته عليّ أن أجمعها، وأرتبها حسب الطاقة، مع أنني لست من أهل تلك البضاعة...».

* وقال - رحمه الله - في مقدمة (حاشية الروض المربع): «... ولست وإن بذلت الجهد قد بلغت النهاية، بل خطوة في البداية. فميدان العمل فيه سعة لمن شحذ همته، وبذل نصحه، وشرعة لمن خلصت نيته...».

* وقال - رحمه الله - في مقدمة (ملخص الفواكه العديدة في المسائل المفيدة): «...وإن كنت لست لهذا الشأن أهلاً، ولا ممن يجول في ميدان النبلاء...».

* والملاحظ أن مقدمات كتبه - رحمه الله - أقل من صفحة كما في (حاشية كتاب التوحيد)، وصفحتين في (حاشية الروض المربع)، وفي (مجموع فتاوى شيخ الإسلام) خمس صفحات فقط. ومجموع هذه المؤلفات (٤٥) مجلداً، والمقدمات التي كتبت ليس فيها مدح للذات أو استجداء بالكمال! بل وبعض مؤلفاته كتبت بدون مقدمة كما في (حاشية الأجرومية) وغيرها.

والعجب شدة تواضعه وهو يخرج نفائس شيخ الإسلام في (مجموع الفتاوى) ثم هو يقول عنها: «... فجمعت منها أكثر من ثلاثين مجلداً ورتبتها وهو بدء؛ وإلا فعسى الله سبحانه أن يقيض لفتاويه من يجمعها من مشارق الأرض ومغاربها ومن المكتبات التي لم نطلع عليها، ويلحقه بما جمعته منها؛ فهو سبحانه المستعان...»^(١).

(١) مقدمة مجموع الفتاوى ج ١/د.

الحادي عشر: محبته لمؤلفات السلف وعنايته بها:

وما قام به من شروحات عليها أوضح دليل، بل وفي اهتمامه وحرصه على نشر مؤلفات أئمة السلف كشيخ الإسلام وأئمة الدعوة النجدية في (الدرر السنية) دليل ناصع على ذلك.

قال - رحمه الله - في مقدمة (مجموع فتاوى شيخ الإسلام):

«... وأعيذ بالله من قد يتولاه أن يحشي عليه، فهو ذهب مصفى، حقيقه من قد علمت نزرأ من مزايا فضله، فهو غني عن زعم تحقيق بعض العصرين الذين لم يبلغوا شأوه، وغني عن عنونتهم وغيرها أثناء كلامه، وعن تعليقاتهم؛ فلبعضهم من الاعتراضات والسقطات ما يعرفه الناقد البصير...»^(١).

* قال الشيخ عبدالعزيز بن محمد السدحان - وفقه الله - في مقال له في مجلة الدعوة: «... ففي كتاب تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي - رحمه الله تعالى - (١١٣٣/٢)، وفي ترجمة الإمام البيهقي نقل الذهبي عن إمام الحرمين أبي المعالي قوله: «ما من شافعي إلا وللشافعي عليه منة إلا أبا بكر البيهقي، فإن له المنة على الشافعي، لتصانيفه في نصرته مذهبه...» انتهى.

ومن المعلوم ما للإمام البيهقي من الرسوخ والمكانة في التصنيف والانتصار لمذهب الشافعي.

شاهد المقال: أنني عندما قرأت تلك العبارة تبادر إلى ذهني غير واحد من المصنفين الذين كان لهم أثر بارز في خدمة كتاب معين أو علم إمام معين.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١ / د .

فمن الصنف الأول الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني - رحمه الله تعالى - فقد قام بخدمة صحيح البخاري بصورة قل أن يكون لها مثيل من حيث التحقيق العلمي والنقل الموثق، ناهيك عن الفوائد، وما أحسن قول القائل لو رأى ابن خلدون - فتح الباري - لتيقن أن ابن حجر قد قام بسداد الدين الذي حملة ابن خلدون لأمة الإسلام في صحيح البخاري، كما أشار إلى ذلك بعض أهل العلم.

وأما الصنف الثاني - وهم من خدموا علم إمام معين - بل زادوا على ذلك، فمن أبرز المتأخرين: الشيخ الفقيه المصنف الجامع، صاحب الهمة العالية والقلم المصابير والحواشي النفيسة عبدالرحمن بن محمد بن قاسم - رحمه الله تعالى - الذي أثنى عليه من عاصره وكثير ممن أتى بعده، فهذا الشيخ المجاهد الصابر الزاهد ممن كان له فضل بعد الله - تعالى - على كثير من أهل العلم علماء وطلبة علم من عاصره ومن أتى بعده إلى ما يشاء الله - تعالى -، وبيان ذلك من وجوه خمسة:

الوجه الأول: جمعه لـ «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» وإنني لأحسب أن ما بذله من جهد مالي وبدني ووقتي، وما تكبده من مشاق السفر والتغرب عن الأهل والوالد والبلد في سبيل تحصيل العلم عامة وفي جمعه لما تفرق وتناثر من علم لشيخ الإسلام بخاصة، من أعظم القربات عند الله تعالى، ومما يؤكد ذلك ويصدق ما كان لذلك المجموع العظيم من النفع العظيم ماضياً وحاضراً ومستقبلاً - إن شاء الله تعالى - وإنني لأكاد أجزم أن هذا المجموع لا تخلو في الغالب مكتبة خاصة أو عامة حكومية كانت أو أهلية أو خيرية إلا وله مكان فيها.

الوجه الثاني: جمعه لـ «الدرر السننية في الأجوبة النجدية»: فهذا المجموع القيم أثنى عليه غير واحد من مشايخ العلم، وفيه من العلم الغزير والتحقيق المفيد الشيء الكثير.

الوجه الثالث: ما سطره الشيخ عبدالرحمن - رحمه الله تعالى - من تلك الحواشي النفيسة التي حوت درراً متنوعاً من فنون العلم: ومن تلك الحواشي:

- ١ - حاشية كتاب التوحيد.
- ٢ - حاشية الأصول الثلاثة.
- ٣ - حاشية الرحبية.
- ٤ - حاشية مقدمة التفسير.
- ٥ - حاشية على متن الأجرومية.
- ٦ - أما أكبر الحواشي التي كتبها الشيخ، فهي حاشية «الروض المربع»، فهي بحق أن تسمى بـ «أم الحواشي» لما ضمنها الشيخ من التعليقات النفيسة والتحريرات العلمية الرصينة.

وحدثني شيخني محمد المعيوف - أثابه الله تعالى - بما معناه: أن الشيخ ابن قاسم قد أودع كثيراً من أقوال واختيارات شيخ الإسلام في هذه الحاشية، ذلك لدراية الشيخ عبدالرحمن واطلاعه الواسع على كلام شيخ الإسلام، وحسبك الفائدة التي جناها الشيخ من جمعه لفتاوى شيخ الإسلام. وهذه الحواشي - وبخاصة الأخيرة - قد لاقت قبولاً واستحساناً وثناء من أهل العلم، علماء وطلبة علم.

الوجه الرابع: ما ألفه الشيخ استقلالاً، ومن ذلك:

- ١ - السيف المسلول على عابد الرسول ﷺ.
- ٢ - أصول الأحكام.
- ٣ - شرح أصول الأحكام.
- ٤ - وظائف رمضان.
- ٥ - مقدمة في أصول التفسير - والحاشية السابقة رقم (٤) شرح لها -.
- ٦ - رسالة لطيفة في تحريم حلق اللحية.
- ٧ - تراجم أصحاب الرسائل والأجوبة المذكورة في الدرر السنية، وقد جعل تلك التراجم ذيلاً للدرر السنية^(١).

(١) مجلة الدعوة العدد ١٨٤٦ باختصار .

الثاني عشر: تعظيمه لأمر الشريعة واعتناؤه بالدليل من الكتاب والسنة كما ذكر ذلك في مقدمة (حاشية الروض):

« . . . يتعين الاعتناء بالكتاب والسنة ، فقد قال الله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [النساء: ٥٩] في غير موضع من كتابه ، أي : اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله ، واعتنوا بهما ، ففيهما الهدى والنور ، وحذر عن مخالفتها ، فعلى المتمسكين بالمذاهب أن يعتنوا بالشريعة المطهرة أكثر ، ويعرضوا أقوال الأئمة عليها ، ليعلموا بذلك مذاهب أئمتهم الحقّة ، وعليهم أن يرجعوا إلى الأدلة الشرعية التي اشتهر العمل بها بين علماء المسلمين ، خلاف ما لهج به غالب المتأخرين من أتباع الأئمة ، من اقتصارهم على الكتب الخالية من الدليل ، وإعراضهم عن الكتاب والسنة وعن نقل بعض ما صح عن أئمتهم المطابق للكتاب والسنة وكثير من الآراء التي يعتقدونها مذاهب لأئمتهم ، بعضها مخالف لمذاهب أئمتهم . فضلاً عن الكتاب والسنة . وما عليه جمهور الأمة وما كان كذلك ليس بمذهب لأحد من الأئمة . كما علم عنهم . . . »^(١) .

* ويقول - رحمه الله - في مقدمة (حاشية الروض المربع):

« . . . وأحرص إن شاء الله أن لا أطيّلها إلا بقواعد وبراهين ومهمات تثلج الصدر ، وتبرد الوحر؛ ويطمئن لها قلب من له طلب مريح ، وقصد صحيح . . . »^(٢) .

(١) حاشية الروض ١/١٧ .

(٢) حاشية الروض ١/١٠ .

الثالث عشر: رجوعه في نقولاته إلى أمهات الكتب المعروفة من مؤلفات

أئمة الهدى والدين.

فهو في (حاشية الروض) نقل عن جملة من الأئمة الثقات ومن علماء عصره كما ذكر - رحمه الله -: «... ومن كتب الأصحاب، كالتنقيح والمغني والزرركشي والشرح والمبدع، والمطلع والمحرر، والفروع والتصحيح، والإنصاف، والإقناع، والمنتهى، وحواشيهما، ومن كتب وفتاوى شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم وابن رجب، ومن كتب الحديث وشروحها. وكتب أهل المذاهب كالبعثي، والنووي وابن رشد، وغيرهم، مجتهداً في نقل الإجماع عن تقدم ذكرهم، وعن ابن جرير، وابن كثير، وابن عبد البر، وابن المنذر، وابن هبيرة وغيرهم من أهل التحقيق. مفتشاً على خلاف يعتبر. ومجتهداً في إبراز الدليل والتعليل. وتوضيح القول الصحيح...»^(١).

* وفي (حاشية كتاب التوحيد) ذكر - رحمه الله - نقولاته من أهل العلم فقال - أجزل الله مثوبته -:

«... ولشدة الاعتناء بهذا السفر الجليل تطلعت عليه بوضع حاشية مختصرة منتخبة مما أبرزوه وغيره تسهيلاً للطالب، متوخياً فيها ما يلقيه أسيادنا الشيخ عبدالله بن الشيخ عبداللطيف، والشيخ سعد بن الشيخ حمد بن عتيق، والشيخ محمد بن الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف وغيرهم...»^(٢).

(١) حاشية الروض ٩/١.

(٢) حاشية كتاب التوحيد ص ٧.

❖ بل وفي «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» أخرج مؤلفات هذا العالم الجهد الذي قلَّ أن تلد الأمهات مثله على مر العصور، وفي (الدرر السننية في الأجوبة النجدية) أخرج مؤلفات ورسائل أئمة الدعوة النجدية وهي درر ثقال وبحر لا تكدره الدلاء.

الرابع عشر: خدمته لدينه الحنيف والشرع المطهر:

فجميع مؤلفاته باستثناء كتاب التاريخ الذي أخرجه في أول حياته تدور حول العقائد والأحكام وعلوم القرآن، وحسبك جمعه (لفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) - قدس الله روحه - وجمعه لرسائل علماء نجد (الدرر السنية في الأجوبة النجدية) في حقبة اندثرت فيها أكثر تلك الرسائل العظيمة.

وحسبك به إخراج (حاشية الروض المربع) في الفقه وغيرها من المؤلفات الشرعية.

ولو جمعت صفحات كتبه التي طبعت حتى الآن لقاربت (٤٠٠٠٠) صفحة، ومعنى ذلك إذا حسبنا عمره (١٣١٢ - ١٣٩٢) ثمانون عاماً. وأنه - رحمه الله - يكتب كل يوم بعد بلوغه العشرين، فمعنى ذلك أن يكتب في الستين سنة الباقية من عمره يوماً ما معدله ورقتين تقريباً - رحمه الله - وأجزل الله مثوبته، فقد كان من العلماء المجاهدين.

✽ قال الحسن البصري: «يوزن مداد العلماء بدم الشهداء، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء».

الخامس عشر: السعة والشمول وتنوع المعارف في علوم الشريعة واللغة

فقد ألف في جوانب متعددة منها:

* الفقه:

* (أصول الأحكام) و (الإحكام شرح أصول الأحكام) و (حاشية الروض

المربع).

* و علم الفرائض:

* ألف (حاشية على نظم الرحبية)

* و علوم القرآن:

* ألف (مقدمة في أصول التفسير) و (حاشية مقدمة التفسير).

* و النحو:

* (حاشية الأجرومية).

* وفي التوحيد:

* (حاشية كتاب التوحيد) و (حاشية ثلاثة الأصول) و (السيف المسلول

في الرد على عابد الرسول).

إضافة إلى الكتب الأخرى الشاملة الوافية (كمجموع فتاوى شيخ الإسلام)

و (الدرر السننية في الأجوبة النجدية) وغيرهما.

السادس عشر: حرصه على الدليل والبحث عن القول الراجح:

قال - رحمه الله - في مقدمة (حاشية الروض) وكأنه يكتبها لغير عصره وزمانه ومكانه:

« . . . وقد انتشرت في هذا العصر فكرة التوسع في الاطلاع على المذاهب الأربعة وغيرها، والأخذ منها، وعدم الاقتصار على مذهب واحد، ليبنى الحكم على الأقوى دليلاً، فأذكر غالباً ما أجمع عليه إن كان، أو ما عليه الجمهور أو ما انفرد به أحد الأئمة وساعده الدليل حسب الإمكان، بحيث يغني عن مطالعة الأسفار الضخمة، ولست - وإن بذلت الجهد - قد بلغت النهاية، بل خطوة في البداية، فميدان العمل فيه سعة لمن شحذ همته، وبذل نصحه، وشرعة لمن خلصت نيته، وأحرص - إن شاء الله - أن لا أطيها إلا بقواعد وبراهين ومهمات تثلج الصدر، وتبرد الوحر، ويطمئن لها قلب من له طلب مليح، وقصد صحيح، إذ لا التفات لكراهة ذوي البطالة والمهانة، بل قال ابن رشد: ما من مسألة وإن كانت جلية في ظاهرها إلا وهي مفتقرة إلى الكلام على ما يخفى من باطنها، وقد يتكلم الشخص على ما يظنه مشكلاً، وهو غير مشكل على كثير من الناس، وقد يشكل عليهم ما يظنه هو جلياً، والكلام على بعض المسائل دون بعض تعب وعناء بدون فائدة تامة، وإنما الفائدة التامة التي يعظم نفعها، ويُستسهلُ العناء فيها، أن يتكلم الشخص على جميع المسائل كي لا يشكل على أحد مسألة، إلا وجد التكلم عليها، والشفاء مما في نفسه منها، والحال دون ما ذكر، ولكن ما لا يدرك جله لا يترك كله»^(١).

(١) حاشية الروض ١ / ١٠ .

السابع عشر: مقدرته العلمية:

برزت وظهرت مقدرته العلمية في معرفة أقوال أهل العلم والترجيحات، وهذه مزية عظيمة ومنقبة محمودة لمن ألف ودرس ونشر العلم، يقول الوالد عن الجد - رحمهما الله - في مقدمة (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية):
 «... واستفاد من هذا الجمع أن اطلع على ترجيحات «شيخ الإسلام» واستدلّاه، وحكايته الإجماع، والخلاف، وغير ذلك، فأضاف الوالد ذلك إلى مؤلفاته، فاكتسبت ميزة وصبغة تحقيق بسبب عمله المبارك في هذا المجموع...»^(١).

ويحتاج هذا الجانب العلمي إلى طلبة علم لتتبع ذلك في مؤلفاته.
 * ومن ذلك قوله - رحمه الله - بقتل الساحر مطلقاً قال - رحمه الله - بعد قول عمر - رضي الله عنه - أن: «اقتلوا كل ساحر».
 قال: ظاهره أن يُقتل من غير استتابة، وهو المشهور عن أحمد، وبه قال مالك، وأبو حنيفة؛ لأن الصحابة لم يستتبهوهم، ولأن علم السحر لا يزول بالتوبة».

وقال - أيضاً - بعد أثر حفصة - رضي الله عنها - في أمرها بقتل جارية لها سحرتها: «وهذا الأثر يؤيد قتل الساحر»^(٢).

وقد قال بذلك جمع من الصحابة والتابعين، ومن المعاصرين: الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ عبدالرزاق عفيفي والشيخ عبدالله بن قعود، وغيرهم.

وتحتاج مؤلفاته إلى رسائل علمية لاستقراء ترجيحاته واستنتاجه.

(١) مقدمة مجموع الفتاوى ١/د.

(٢) حاشية كتاب التوحيد ص ١٩٢.

الثامن عشر: جهاده وصبره في إخراج المؤلفات:

فقد أخرج - رحمه الله - مخطوطات وأوراقاً متناثرة، ضاعت في أروقة المكتبات، وتاهت في خبايا المنازل؛ كتبت بخط اليد منذ مئات السنين أكل الزمن عليها وشرب، وكساها حلة من الغبار والفرقة، مع رداءة الخط وضعفه؛ والنقل باليد مباشرة لأكثر الموجودات، ورزقه الله الصبر وطول النفس مع العزم والتصميم لاستخراج هذه الكنوز والدرر.

يقول الشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله - : «... ورزقه الله الصبر والقوة بحيث لا يعتره ملل ولا سامة فأكب على المطالعة والبحث والاستفادة والتنقيب عن أفراد المسائل وأماكن الأدلة حتى نال ما تمناه...»^(١).

فقد بدأ في جمع مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية منذ عام ١٣٤٠هـ و بدأت طباعتها في عام ١٣٨١هـ ومعنى ذلك أنه أمضى أكثر من ٤٠ عاماً في الجمع مضافاً إليها سنوات الطبع وقد تجاوزت العشر سنوات.

والجهد واضح في جمعه لرسائل وردود وفتاوى علماء وأئمة الدعوة في نجد في كتاب «الدرر السننية» فقد جمع المادة من بلدان نجد ومن المكتبات الشخصية في زمن ندرت فيه حركة الجمع والتأليف، وإنما هو إلهام من الله وتأييد لنشر دينه وسنة نبيه.

✽ وأمضى كذلك في تأليف (حاشية الروض المربع) أكثر من أربعين عاماً في سبكها وحبكها حتى أتت تختال في عباراتها وجميل تبويبها.

✽ وإن كان - رحمه الله - بذل جهداً وسافر شرقاً وغرباً فلا عجب في ذلك فإنه يسير على خطى الأئمة ممن رفع الله بهم راية الدين.

(١) حاشية الروض / ١ / ١٠.

قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: «أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمْتُ سبع سنين، أحصيتُ ما مشيتُ على قدمي زيادة على ألف فرسخ^(١)، لم أزل أحصي حتى لما زاد علي الألف فرسخ تركته، أما ما كنت سرت أنا من الكوفة إلى بغداد فما لا أحصي كم مرة، ومن مكة إلى المدينة مرات كثيرة، وخرجت من البحرين من قرب مدينة صلا إلى مصر ماشياً، ومن مصر إلى الرملة ماشياً، ومن الرملة إلى بيت المقدس، ومن الرملة إلى عسقلان، ومن الرملة إلى طبرية، ومن طبرية إلى دمشق، ومن دمشق إلى حمص، ومن حمص إلى أنطاكية، ومن أنطاكية إلى طرسوس، ثم رجعت من طرسوس إلى حمص، وكان بقي عليّ شيء من حديث أبي ليमान فسمعتُ، ثم خرجتُ من حمص إلى بيسان، ومن بيسان إلى الرقة، ومن الرقة ركبنا الفرات إلى بغداد، وخرجت قبل خروجي إلى الشام من واسط إلى النيل، ومن النيل إلى الكوفة، كل ذلك ماشياً، كل هذا في سفري الأول، وأنا ابن عشرين سنة أجول سبعة سنين، خرجت من الري سنة ثلاث عشرة ومائتين، قدمنا الكوفة في شهر رمضان سنة ثلاث عشرة والمقرئ حيّ بمكة، وجاءنا نعيه ونحن بالكوفة، ورجعت سنة إحدى وعشرين ومائتين.

وخرجت المرة الثانية سنة اثنتين وأربعين ورجعت سنة خمس وأربعين، أقمْتُ ثلاث سنين، وقدمت طرسوس سنة سبع عشرة أو ثمانين عشرة^(٢).

(١) أكثر من خمسة آلاف كيلو متر.

(٢) الجرح والتعديل ١/٣٥٩.

التاسع عشر: رحلاته في جمع شتات المؤلفات:

طول رحلاته في جمع شتات الكتب هي أشبه ما تكون برحلة أهل الحديث وعلماء الأمصار؛ حتى إنه كان يغيب عن زوجته وأولاده شهوراً عدة، بل وتزيد عن السنتين أحياناً، وقد بقي في بيروت مع مرض لازمه شهوراً تسعة حين جمع (مجموع فتاوى شيخ الإسلام).

وقد ذكر الوالد عن مدة تصفح «الدشوت»^(*): أنهم تصفحوا وفتشوا في هذه الدشوت ستة أشهر تقريباً، وذلك لما يقارب (٩٠٠) مجلد من (١٢٠٠٠) مجلد مخطوط ويقول - رحمه الله -: «... وبعد إكمال المجاميع تصفحت كل كتاب لم يُذكر مؤلفه، أو له حاشية...»^(١).

ولم يأت هذا الجهد إلا برحلات كان أولها عام ١٣٧٢ هـ إلى بيروت والشام والعراق، وسافر إلى مصر وفرنسا عام ١٣٧٧ هـ، وإلى بغداد عام ١٣٨٠ هـ، وهذا خاص بمجموع فتاوى شيخ الإسلام وقد استمرت مدة الجمع لهذا المجموع مدة تزيد عن أربعين عاماً.

وغالب العلماء يمتصون السنوات الطوال في تأليف مصنفاتهم، يقول ابن حزم: «أنفقت في ذلك أكثر عمري» يعني كتابه «مداواة النفوس» وهو في ثمانين صفحة.

والإمام ابن حجر مكث في تصنيف «فتح الباري» خمسة وعشرين عاماً.

* وفي جمعه (للدردر السنوية) سافر إلى مناطق نجد وأطرافها لجمع رسائل أئمة الدعوة النجدية، فأجزل الله مثوبته ورحمه.

(*) وهي الأوراق المبعثرة المتناثرة.

(١) مجموع الفتاوى ١/ ز .

وإن تعجب من طول السنوات وكثرة الأيام والشهور فهاهو الإمام البخاري رحل إلى محدثي الأمصار، وكتب بخراسان والجبال ومدن العراق كلها والحجاز والشام ومصر، وورد بغداد دفعات^(١).

قال الإمام البخاري - رحمه الله - محدثاً عن نفسه: كتبت عن ألف شيخ من العلماء وزيادة، وليس عندي حديث إلا أذكره بإسناده^(٢).

وهذا أبو حاتم الرازي كان يرتحل في طلب أحاديث رسول الله ﷺ ماشياً على أقدامه، وقال وهو يتحدث عن نفسه: مشيت على قدمي ألف فرسخ^(٣)، ثم تركت العدد^(٤).

نعم يا أهل الهمم، مشى على قدمه أكثر من خمسة آلاف كيلو متر، من أجل جمع أحاديث المصطفى ﷺ.

وقد سافر من البحرين إلى مصر، ومن مصر إلى الرملة، ومن الرملة إلى طرسوس على أقدامه، وضاعت عليه النفقات مرة في البصرة فباع ثيابه حتى نفدت، وجاع يومين، فأعلم رفيقه، فساعدته وخدمه^(٥).

والمكتبات اليوم عامرة بالكتب وعلى بعد خطوات، ولكن أين المجدون وأين المشمرون؟!

دَبَبْتُ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدِ بَلَّغُوا
جَهْدَ النُّفُوسِ وَالْقَوَا دُونَهُ الْأَزْرَا
وَكَابَدُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ
وَعَانَقَ مَنْ أَوْفَى وَمَنْ صَبَّرَا

(١) تاريخ بغداد ٤/٢.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/٢.

(٣) أي: نحو خمسة آلاف كيلومتر.

(٤) تذكرة الحفاظ ٥٦٧/٢.

(٥) الجرح والتعديل ٣٥٩/٣.

العشرون: غالب مؤلفاته قرئت على علماء أجلاء، ورجال فحول، فاكتسبت صبغة علمية واضحة.

ومن ذلك مثلاً : (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) قريء على الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - وغيره من العلماء عدة مرات .
 و(الدرر السنية) قرئت على علماء أجلاء، منهم الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري - رحمهم الله - .
 و(حاشية الروض) قرأها الشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله -
 وقدم لها .

وبعض تلك المؤلفات قرئت عليهم أكثر من ثلاث مرات (١) .
 ثم قرئت بعد طبعها ونشرها على جمع من العلماء وأوصوا بقراءتها، منهم سماحة الشيخ عبدالله بن حميد - رحمه الله -، و سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله -، والشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله -، والشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله -، والشيخ صالح الفوزان والشيخ عبدالرحمن البراك، والشيخ عبدالعزيز الراجحي، والشيخ عبدالكريم الخضير، - حفظهم الله - وغيرهم من أكابر أهل العلم .
 ولا تزال عند العلماء وطلبة العلم من أعظم المصادر وأكثرها نفعاً والله الحمد والمنة .

(١) انظر تقریظاتهم على تلك المؤلفات .

الحادي والعشرون: الحاجة إلى مؤلفاته في العصر الحاضر:

مع انتشار التعليم والاتجاه نحو التخصص ظهرت الحاجة إلى مؤلفاته في العصر الحديث فـ (مجموع فتاوى شيخ الإسلام) تسابق إليها العلماء وطلبة العلم مثني وفرادي، ويكفي أنه تم إجازة ما يقرب من عشرين رسالة ماجستير ودكتوراه حول أجزاء من هذا المجموع في داخل المملكة فحسب. وبعض الرسائل اشتملت على عشرات الصفحات فقط من مجلد واحد!

و(الدرر السنية في الأجوبة النجدية) كانت رماحاً وسهاماً في نحور أصحاب الوهن والمعتزلة ومن يسمون بالعقلانيين وغيرهم من أصحاب البدع والأهواء.

و(حاشية الروض) قررت كمنهج معتمد في كلية الشريعة. فلا يتخرج فيها طالب إلا وقد درس الحاشية كمنهج معتمد مقرر.

وعندما انتشرت - والله الحمد - الدورات الشرعية والمحاضرات العلمية كان لدروس العلماء والمشايخ نصيب من تدريس وشرح مؤلفاته - رحمه الله -.

* بل قد كان سبباً إلى عصره وزمانه، فهاهو يقول في (حاشية الروض المربع):

«... وقد انتشرت في هذا العصر فكرة التوسع في الاطلاع على المذاهب الأربعة وغيرها، والأخذ منها، وعدم الاقتصار على مذهب واحد، ليبنى الحكم على الأقوى دليلاً، فأذكر غالباً ما أجمع عليه إن كان، أو ما عليه الجمهور أو ما انفرد به أحد الأئمة وساعده الدليل حسب الإمكان، بحيث يغني عن مطالعة الأسفار الضخمة...»^(١).

(١) حاشية الروض ٣/١.

وضع اسمه على مؤلفاته

تَبَّعَ الدكتور عليّ جواد الطاهر مؤلفاته - رحمه الله - فقال: «ترد مؤلفات باسم الشيخ عبدالرحمن بن قاسم ومؤلفات أخرى أكثر منها باسم عبدالرحمن بن محمد بن قاسم . . . وكان دليلي إلى أنهما اسم واحد لمؤلف واحد، أن ذكر في أحد مؤلفاته عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (هو الإحكام شرح أصول الأحكام) (ج ١ دمشق ١٣٧٥/١٩٥٧) أسماء كتب المؤلف، أصول الأحكام، حاشية مقدمة التفسير، حاشية ثلاثة الأصول، حاشية الدرّة المضية، حاشية الأجرومية، حاشية الرحبية، وقد صدرت هذه الكتب أي أصول الأحكام . . . الخ باسم عبدالرحمن بن قاسم.

ثم أن الكتاب الواحد له قد يطبع مرة باسم عبدالرحمن بن قاسم ويطبع مرة باسم عبدالرحمن بن محمد بن قاسم كما حدث في حاشية ثلاثة الأصول، وفي حاشية الرحبية.

ويدل الاستقراء على أنه بدأ ينشر باسم عبدالرحمن بن قاسم، ثم عدل إلى عبدالرحمن بن محمد بن قاسم؛ بدليل أن الطبعتين الأوليين من هذين الكتابين ظهرتا باسم عبدالرحمن بن قاسم، وأن الطبعت المتأخرة باسم عبدالرحمن بن محمد قاسم.

وهذا وقد جاء في كتاب: «علماء الدعوة» للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف ص ٦٨ وهو يتحدث عن الشيخ عبدالله بن حسن بن حسين آل الشيخ: «وأمر عليه مجموع الرسائل والمسائل النجدية جمع ابن قاسم من أوله إلى آخره . . . أخذ المذكور في قراءتها على الشيخ ثلاث سنوات» ونحن

نعلم جيداً أن صاحب مجموع الرسائل والمسائل وهو «الدرر السنية» هو عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (ينظر). وكدت أفصل بين الاسمين لدى توزيع المؤلفات، ولكنني فضلت درج المؤلفات تحت اسم واحد مع النص على الكتب التي صدرت باسم عبدالرحمن بن قاسم لدى تسلسلها^(١).

* والذي يظهر لي أنه كان يكتب مؤلفاته المتقدمة باسم: «عبدالرحمن بن قاسم» ثم باسمه الثلاثي: «عبدالرحمن بن محمد بن قاسم» ثم باسم: «عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي القحطاني النجدي» على طريقة السلف وعاداتهم في ذكر المذهب والفخذ والقبيلة والموطن، ثم اكتفى في مؤلفاته الأخيرة باسم: «عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي».

(١) مجلة العرب م ١٦ ص ٨ .

المشاركة في الدعوة ونفع الناس

شارك - رحمه الله - في نفع الناس بجميع الوسائل المتاحة في حينه؛ وهو ما بين مُقَلِّ ومكثّر من هذه الوسائل والأساليب حسب الحاجة واليسير. فقد درّس زمنًا في المسجد ووعظ وخطب، وكان إذا وعظ أبكى. وقد ذكر الشيخ عبد العزيز بن حمدان الحمدان قوله: أن والدي كان إمامًا للجامع في بلدتنا (البيير) لعشرات السنين فسافر أبي إلى الرياض وخطب الشيخ عبد الرحمن بن قاسم بديلاً عنه يوم الجمعة، فكان الشيخ عبد الرحمن يبكي طوال الخطبة حتى بكى الناس، ومن شدة البكاء لم يفهم بعض المصلين ما يقول الشيخ، وبعدها عزم الشيخ عبد الرحمن أن لا يخطب.

أما ميدانه وفارس حلبته فهو ميدان التأليف والجمع والترتيب، فقد ألف الكتب وجمع الرسائل، وسافر لجمع المخطوطات، وشارك في وسائل الإعلام التي منها الصحف خاصة في الفترة التي كان يعمل فيها في مكة حين طبع «الدرر السننية» حيث كانت تطبع في مطابع الحكومة التي تصدر منها جريدة (أم القرى) ولعله توقف عن الكتابة بعد عودته إلى بلده.

وقد كتب فيها عدة مقالات متنوعة، وجدت منها ما يقارب عشر مقالات بعضها يصل إلى صفحة كاملة في الصحيفة، وكانت تحت عناوين منها: (تجديد المجد الدائر)، ومقال طويل بعنوان: (اللهو الباطل - الغناء والمزامير-) ويقع في صفحات موزعة على أربعة أعداد من صحيفة (أم القرى).

وله مقال بعنوان: (العلم وعلو الهمة) وكذلك (بحث في النية) ومقال بعنوان: (هل عبد رسول الله ﷺ؟) وقد جرت له قصة بعد نشر هذا المقال.

ويظهر أن الفترة التي كتب فيها في الصحيفة الوحيدة في ذلك الوقت هي الفترة التي قضاها في مكة حين طبع (الدرر السنية) في مطبعة الحكومة التي تطبع فيها صحيفة (أم القرى)؛ لأن غالب مقالاته التي حصلت عليها كتبت بين عامي ١٣٥٧ - ١٣٥٨ هـ^(١).

ومن نماذج كتاباته في صحيفة أم القرى:

يقول - رحمه الله - في مقاله: هل عبد رسول الله ﷺ؟

«.. نعم، عبده كثيرون، ووقع ما أخبر به ﷺ، حيث قال: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَذُو الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جَحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فَمَنْ؟» (أي: فَمَنْ الْقَوْمَ إِلَّا هُمْ).

وقال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَيَّ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ عَلَيَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَذُو النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّىٰ لَوْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ أَتَىٰ أُمَّهُ عِلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَيَّ ثُنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَيَّ ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قالوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «مَنْ كَانَ عَلَيَّ مِثْلَ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَضْحَابِي».

فاليهود عبدوا العزير وقالوا: إنه ابن الله، والنصارى عبدوا المسيح وقالوا: إنه ابن الله، وقالوا: هو الله، وعبدت هذه الأمة رسول الله

(١) انظر: معجم المصادر الصحفية د. منصور الحازمي (١/١٦٣ - ١٦٧ - ١٨٥ - ٢١).

ﷺ يدعونه ويُناجونه بما يشاؤون من أمورهم، مستغيثين به لائذين به، متوسّلين به .

يقول أحدهم إذا قام أو قعد أو أهمّه أمرٌ: يا رسول الله .
ويقول الآخر: مَالِي مَن أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ .

والآخر: فَرَجَ كَرْبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، أو: اشْفَعْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أو:
الشفاء يا رسول الله .

ومنهم من ينذر له، ومنهم من يذبح له، ويوقفون لذلك الأوقاف، ومنهم من يقول: هذا المال للنبي، أي: قربةً له، وصرّوا له جلّ أنواع العبادة التي هي حقّ الله - عز وجل - وعلى ألسنتهم: الله والنبي، وبالنبي، وقد لا يحلف إلا به وإن كان هذا شركاً أصغر، فإنّه إذا كان المخلوق في نفسه بمنزلة الخالق - جل وعلا - لا يحلف إلا به، فقد يكون أكبر وفي الحديث: «مَنْ حَلَفَ بغيرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أو أَشْرَكَ» فقد غلّوا فيه كما غلت النصارى في المسيح، وأطروه كما أطرته، وفي الصحيحين عنه الله قال: «لا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» .^(١)

تسلسل تاريخي لمؤلفاته

منَّ الله - عز وجل - على الجد - رحمه الله - وأنعم عليه بعمر مديد (١٣١٢ - ١٣٩٢هـ) أي: ما يقارب الثمانين عاماً قضاها في العلم وطلبه، ومن ثم في نشره ورفع رايته.

وقد بدأ التأليف والجمع في سن مبكرة، حيث بدأ جمع «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» منذ عام ١٣٤٠هـ وله من العمر حينئذ (٢٨) عاماً. والتقاريف التي كتبها العلماء والمشايخ على (الدرر السنية) كانت في وقت مبكر؛ فمثلاً تقرّيف الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ في تاريخ ٢١ ذو القعدة ١٣٥١هـ وتقرّيف الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في ٢٠ ذو القعدة ١٣٥١هـ، وتقرّيف الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري في ١٣ ذو الحجة ١٣٥١هـ. ومعنى ذلك أنه - رحمه الله - انتهى من جمع (الدرر السنية) وقراها وقرّظ عليها العلماء في عام ١٣٥١هـ، وله من العمر (٣٩) عاماً ولا شك أن له سنوات تزيد عن العشر إن لم تكن أكثر في جمع هذا المجموع وترتيبه وقراءته على العلماء.

وهذه النباهة والتميز في إخراج تلك المؤلفات العظيمة في سن مبكرة من نعم الله - عز وجل - عليه وعلى عباده.

والعجب أن الإنتاج في أعمار العلماء يكون متقدماً على غيرهم من عامة الناس، بل وامتاز العصر القديم بذلك؛ فمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - الذي قال عنه الرسول ﷺ: «اعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل»

[رواه الترمذي].

توفي وعمره ثنتان وثلاثون عاماً.

* ومن العلماء أيضاً الإمام النووي - رحمه الله - صاحب التصانيف العديدة، والمؤلفات المفيدة؛ في الفقه والحديث والسلوك واللغة، توفي وعمره خمس وأربعون سنة.

وهذا ابن الجوزي يحدث عن نفسه فيقول: «... كتبت بأصبعي هاتين ألفي مجلدة...».

وقد مكث الإمام الطبري أربعين سنة، يكتب كل يوم منها أربعين ورقة.

ورغم أعمارهم القصيرة إلا أن الله نفع بعلمهم وبارك في أوقاتهم، ومن تقاصر ثمانين سنة من عمره فليُنظر إلى أعمار هؤلاء وماذا قدموا لأنفسهم ولدينهم.

هذا مع ما أصاب الجد - رحمه الله - من مرض أقعده عن العمل الذي تتطلبه المخطوطات من السفر والصحة التامة لقراءتها، ولكنه ما ضعف ولا أصابه الوهن، بل كان هذا المرض سبباً في السفر، وكانت مدة الإقامة للعلاج ميداناً للبحث في المكتبات والنظر في المخطوطات، فله الحمد والمنة، وله جزيل الشكر والثناء أن يسر وأعان.

* وفي ختام هذه العجالة التي ذكرت عن بعض جهوده ومآثره في البحث والتأليف؛ لعل الله أن ييسر إخراج رسائل علمية لكل كتاب من كتبه وجهوده العلمية بحيث تبين طريقة عمله وذلك بالاستقراء والمتابعة لما ألف وصنف وحشى.

أعماله:

ذكر مؤلف كتاب (الشيخ محمد بن إبراهيم وأثر مدرسته في النهضة العلمية) عن الجد - رحمه الله - وأعماله فقال: «... فجد واجتهد وثابر وعكف على البحث والمطالعة حتى بلغ مرتبة الأستاذية مع قوة الشخصية وثبات العزيمة وصلاح الظاهر والباطن وغنى النفس والترفع عما في أيدي الناس واستقلال الرأي وحصافته، وكان في وقت تتلمذه على مشايخه محل إعجابهم بفرط ذكائه ونبله، رُشِح للقضاء فامتنع...»^(١).

* وقال الشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله - في مقدمته لحاشية الروض: «... وأما أعماله الإدارية فقد تنقل مدة تزيد على اثنين وثلاثين عاماً بين التدريس في المساجد وإدارة المكاتب والإشراف على طبع الكتب وقبل وفاته بثماني سنين طلب الإحالة للتقاعد...».

* وقد ذكر العم الشيخ أحمد بن عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله -: «أن والده الشيخ عبدالرحمن طلبت من الملك عبدالعزيز إعفاء ابنها من القضاء فأبى الملك عبدالعزيز، وبعد امتناعه - رحمه الله - من القضاء مع الحاجة إليه في ذلك الزمان خرج مع عمال الزكاة بأمر من الملك عبدالعزيز لمدة سنوات، ودرس في المسجد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وألف، قرأ عليه من الطلاب: الشيخ عبدالرحمن بن فريان والشيخ عبدالله بن جبرين والشيخ فهد بن حمين والشيخ عبدالرحمن بن مقرن وابناه محمد وأحمد، قرابة عشرين طالباً لأن كثيراً من الطلاب انصرفوا إلى المعهد العلمي»^(١).

* قال في روضة الناظرين: «... فقد رُشِح للقضاء مراراً فامتنع تورعاً

(١) من أسئلة وجهت بعد وفاة الشيخ عبد الرحمن، للعم الشيخ أحمد وكتبها بخط يده بعثها مشكوراً ابنه د. يوسف.

منه، ودرّس الطلبة وأفتى وتولى إدارة المكتبة السعودية...»^(١).
وقد ذكر العم الشيخ سعد حادثة وقعت للجد - رحمه الله - وقال: بعد ما رشح للقضاء، أنه كتب له كتاباً، للملك عبد العزيز وقال فيه: من عبد الرحمن بن قاسم إلى الملك عبد العزيز، وبعد: قال ﷺ: «من استعاذ بالله، فأعيذوه»، فأستعيذ بالله منك يا أيها الملك عبد العزيز، ثلاثاً، فأعفاه من القضاء.

وقد ذكر مؤلف كتاب (المكتبات في عهد الملك عبدالعزيز) أنه - رحمه الله - تولى إدارة مكتبة الرياض السعودية مدة تقارب العشرين عاماً^(٢).
والمكتبة بُدئ في إنشائها في عهد الملك عبدالعزيز بناء على توصية من الشيخ محمد بن إبراهيم وافتتحها الأمير سعود عندما كان ولياً للعهد عام ١٣٧١هـ^(٣).

والذي يظهر أنه - رحمه الله - كان يعمل مديراً لها قبل ذلك التاريخ؛ لأنه تقاعد قبل وفاته بثماني سنين^(٤).

✽ وقال الشيخ ابن بسام: «وقد عمل المترجم مدة مشرفاً على ما يطبع في مطبعة الحكومة بمكة المكرمة سنة ١٣٥٢هـ وما بعدها، ثم تولى إدارة المكتبة السعودية في الرياض»^(٥).

(١) روضة الناظرين ٢٣٧/٣.

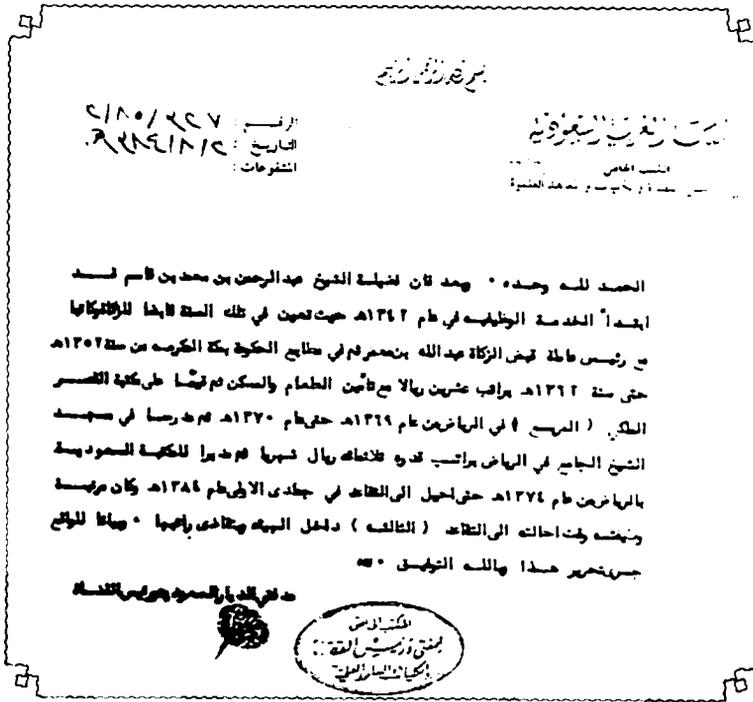
(٢) المكتبات في عهد الملك عبدالعزيز د. سالم السالم ص ٢١٢.

(٣) المكتبات في عهد الملك عبدالعزيز باختصار ص ١١٣.

(٤) مقدمة حاشية الروض للشيخ عبدالله بن جبرين ٦/١.

(٥) علماء نجد خلال ثمانية قرون ٢٠٦/٣.

* وفي خطاب من سماحة مفتي الديار السعودية ورئيس قضاائها برقم ٢/٨٥/٣٢٧ في ٢/٨/١٣٨٤هـ: أن فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم قد ابتداء الخدمة الوظيفية في عام ١٣٤٢هـ حيث تعين في تلك السنة قابضاً للزكاة، وكتاباً مع رئيس عاملة قبض الزكاة عبد الله بن معمر ثم في مطابع الحكومة بمكة المكرمة في سنة ١٣٥٢هـ حتى سنة ١٣٦٢هـ ثم قيماً على مكتبة القصر الملكي (المربع) في الرياض من عام ١٣٦٩ حتى ١٣٧٠هـ، ثم مدرساً في مسجد الشيخ الجامع في الرياض براتب قدره ثلاثمائة ريال شهرياً، ثم مديراً للمكتبة السعودية بالرياض من عام ١٣٧٤هـ حتى أحيل إلى التقاعد في جمادى الأولى عام ١٣٨٤هـ^(١).



(١) انظر الوثيقة المرفقة .

تلامذته:

كان محباً للعلم حريصاً على بذله، وعندما افتتحت المعاهد العلمية بالرياض طلب منه التدريس فيها، وسأل (إذا كان ابن باز وابن حميد) فيها فلا بأس، وقد ذكر والدي عنه - رحمه الله -: «أنه درس في الجامع الكبير أشهراً في زاد المستقنع».

وقد ذكر الشيخ عبدالله بن جبرين أنه - رحمه الله -: «درّس في المساجد».

※ «ومن درّسهم في المسجد تلك الفترة القصيرة: الشيخ عبدالله بن جبرين والشيخ عبدالرحمن بن فريان والشيخ فهد بن حمين، والشيخ عبدالرحمن بن مقرن، ووالدي - رحمه الله - والعم أحمد - رحمه الله - وغيرهم».

وكان اعتناؤه في الغالب بعلم العقيدة والتفسير والحديث والفقه والفرائض، وكان مجلسه للدرس مرة في اليوم^(١).

وعندما استقر في مزرعته لم يكن له حلق وطلاب ينشدون علمه مشافهة، ولعله أخذ برأي ابن الجوزي - رحمه الله - كما في صيد الخاطر الذي قال: «رأيت من الرأي القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة؛ لأنني أشافه في عمري عدداً من المتعلمين، وأشافه بتصنيفي خلقاً لا يحصى، ما خلقوا بعد، ودليل هذا أن انتفاع الناس بتصانيف المتقدمين أكثر من انتفاعهم بما يستفيدون من مشايخهم».

ولهذا شاهد آخر من حرصه على المؤلفات، فعندما عُرض على الوالد - رحمه الله - أن يتولى وزارة العدل، وكانت فكرة إنشائها جاهزة، قال له

(١) من ورقة كتبها العم الشيخ أحمد بن قاسم - رحمه الله - .

- رحمه الله -: «عليك بالكتب». فأخذ بوصيته .

ومن تأمل في حال طلابه اليوم يجد أنهم طلاب الجامعات والمعاهد الشرعية الذين يدرسون ما ألف وجمع وكتب، ويجد أن العلماء يصدرون عن تأليفه وكتبه - رحمه الله - . فهذه حاشية الروض المربع تُدرس في كليات الشريعة، وتلك فتاوى العلماء تتوج بقول شيخ الإسلام - رحمه الله - وبأقوال أئمة الدعوة .

وحسبك هذه القصة التي جرت للشيخ حمود العقلاء الشيعبي - رحمه الله - لتري للجد أثراً غير منظور في دفع الطلاب إلى العلم؛ ذكر القصة صاحب كتاب (السلوى الحزين) فقال:

توافق الرواة في نقل القصة من أقرانه وأصحاب أبيه، ومجمل القصة أنه قبل ظهور حقن تحصين الأجسام من الأمراض المعدية، كان مرض الجدري من بين الأمراض التي تغشى الناس، وقد يستحر الفناء فيهم بإرادة الحي القيوم .

وكان من بين من أصابهم هذا الوباء، أولاد رجل من أهل بلدة (الشقة)، شمال مدينة بريدة في منطقة القصيم، وذلك في العقد الرابع من القرن الرابع عشر للهجرة وكان من بين هؤلاء غلام له ست سنوات نتج من هذا المرض ظهور خدوش في الوجه، وفقدان البصر بالكلية، كان هذا الغلام يتقلب بين ظهراي إخوته وأخواته الذين يعملون في المزرعة فهو يجري خلفهم يريد اللحاق بهم، لكنه يتعثر هنا وهناك، ويحصل له من الجروح ما يحصل، لكنه ينهض مسرعاً نحو أصواتهم فيصطدم بتلك النخلة أو الشجرة، وعنده عزم وجلد، وقد رزقه الله ذكاءً وهمة فهو يحاول القيام بكل شيء، ويريد أن يفعل أكثر مما يفعله المبصرون، كان أبوه فقيراً جداً،

يرى أن هذا الأعمى عالة عليه؛ لأنه لا يستفيد منه كإخوته، وذات يوم قدم صديق لوالده غاب عنه منذ سنوات، فشكا إليه حال هذا الغلام الأعمى، وأنه لا يستفيد منه، بل إنهم مشغولون في ملاحظته ورعايته مما سبب تعطيل بعض أعمالهم، فأشار الصديق عليه أن يرسله إلى الرياض حتى يطعم من مَضِيْفَةِ ابن سعود، ولا يُعَدَم من وجود من يعطف عليه هناك.

استحسن الوالد هذه الفكرة، فلما قدم جَمَّال على ظهر جملة معه خشب يريد بيعه في الرياض، قال الأب: أريد أن أبعث معك هذا الغلام، تذهب به الى الرياض واعطيك ريالين فرانسي بشرط أن تضعه في الجامع، وتدله على المَضِيْفَةِ وبئر المسجد ليشرب ويتوضأ منه وتوصي عليه من يُحسن به.

حدّث هذا الغلام بقصته بعدما كبر قائلاً: دعاني والدي - رحمه الله - وكان عمري قرابة ثلاث عشرة سنة فقال: يا بني الرياض فيه حلق العلم وفيه مضيفة يحصل لك فيها العشاء كل يوم، وفيه، وفيه، . . . وسوف ترتاح هناك - إن شاء الله - وسوف نبعثك مع هذا الرجل، ويعرفك بكل ما تريد، قال فبكيت بكاءً شديداً وقلت أمثلي يستغني عن أهله؟ كيف أفارق والدي وإخوتي وما ألفت، وكيف أصرّف نفسي في بلدة غريبة عليّ، فأنا متعبٌ وأنا عند أهلي فكيف إذا كنت عند غيرهم! وأنا لا أريد ذلك، قال فزجرني والدي وأغلظ عليّ القول، ثم أعطاني ثيابي، وقال توكل على الله اذهب وإلا فعلتُ بك كذا وكذا، ارتفع صوتي بالبكاء وإخوتي حولي صامتون، ثم أمسك صاحب الجمل بيدي، ووعدني بالخير والراحة التامة، ومشيت وأنا أبكي ثم أمرني أن أمسك طرف خشبة خلف الجمل فكان يسير أمام الجمل وأنا خلفه وقد علا صوتي بالبكاء، وأتحسر على

فراق أهلي، ومضت تسعة أيام وإذا نحن وسط الرياض، ثم وضعني في الجامع ودلني على البئر والضيافة، لكن ما زلتُ كارهاً متحسراً، أبكي بين الحين والحين، وأقول في نفسي كيف أعيش في بلد لا أعرف فيها شيئاً، لا يعرفني فيها أحد وتمنيتُ لو كنت مبصراً لهمتُ على وجهي في الصحراء، لكن من رحمة الله أن قيض لي أناساً في الجامع، عطفوا عليّ فأخذوني إلى الشيخ عبدالرحمن القاسم - رحمه الله - وقالوا هذا رجل غريب، فأتى الشيخ، وسألني عن اسمي ولقبتي، ومن أي البلاد؟ ثم أجلسني بجواره، وأنا أكفكف دمعي فقال: يا بني ما شأنك؟ فأخبرته خبري فقال: خيراً - إن شاء الله - لعل الله أن ينفعك وينفع بك^(١)، أنت ولدنا، ونحن أهلك وسوف ترى ما يسرك عندنا، وسوف نضمك إلى الطلبة الذين يطلبون العلم ونجعل لك سكناً وفيه طعام، وإخوة لك في الله يقومون برعايتك.

فقلت: جزاك الله خيراً، لا أريد ذلك، أريد أن تحسنوا عليّ فترجعوني إلى أهلي مع أحد القافلين إلى القصيم، فقال: يا بني جرّب ما عندنا فإن طاب لك المقام وإلا ستصل إلى أهلك - إن شاء الله -، ثم نادى رجلاً فقال له ضمّ هذا الغلام إلى فلان وفلان وقل لهم استوصوا به خيراً، فأمسك بيدي وذهب بي إلى أخوين فاضلين فرحبا بي، وجلست عندهما وأخبرتهما بحالي، وكرهي الشديد لهذا المقام، ومفارقة أهلي فما كان منهما إلا أن حدثاني بحديث تسلية ووعدا بالخير وطلب العلم فاطمأننتُ لهما وأحسننا بي - جزاهم الله عني أحسن الجزاء - لكنني ما زلت محزوناً كارهاً، أبكي بين الحين والحين على فراق أهلي.

(١) تأمل في دقة عبارته - رحمه الله - وهو ما كان فيما بعد للشيخ حمود - رحمه الله - .

كان مسكن الأخوين غرفة قرب المسجد فمكثتُ عندهما، أذهب وأجيء معهما نذهب لصلاة الفجر، ثم نجلس في المسجد في حلقة القرآن حتى يتعالى النهار، فقد كان الشيخ يحفظنا ثم بعد ذلك نعود إلى الغرفة فنستريح ساعة ونطعم ما تيسر، ثم نعود إلى الحلقة مرة أخرى نمكث إلى الظهر ثم نستريح للقيولة ثم نعود للحلقة بعد العصر، وهكذا استمررنا فبدأتُ أطمئن شيئاً فشيئاً، كل يوم أفضل من الذي قبله، وشرح الله صدري لحفظ القرآن خاصة بعد تشجيع الشيخ - رحمه الله - واهتمامه بي ورأيت أنني أتقدم في الحفظ يوماً بعد يوم، والشيخ يشحذ همم الطلاب ويقول: لماذا لا تكونون مثل حمود؟ انظروا إلى جِدِّه وحرصه، وهو رجل كفيف! فكنت أنشط بهذا الكلام مع ما يحصل بيني وبين الزملاء من منافسة، ولم يمض عليّ شهر ونصف إلا وقد رزقني الله الطمأنينة وراحة النفس حتى أصبحتُ أتلذذ بهذه الحياة الجديدة، ولما مضى عليّ سبعة أشهر قلت في نفسي - سبحان الله - كم فيما تكره النفس من الخير وهي عنه غافلة!!، كيف أبكي وأحزن على الحياة البائسة عند أهلي؟ جهلٌ وفقرٌ وتعبٌ وإهمالٌ واحتقارٌ وأحس أنني عالة عليهم، استمررتُ على هذا الوضع، فلم يمض عليّ عشرة أشهر إلا وأنا أحفظ القرآن بكامله - بحمد الله - ثم عرضته على الشيخ مرتين ثم قام الشيخ معي وذهب بي إلى المشايخ الكبار، وهم الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ عبداللطيف بن إبراهيم وعرفهم بي ثم قال ستتتظم في حلق العلم، ومراجعة القرآن تكون بعد صلاة الفجر يتابع لك فلان، وبعد صلاة المغرب يتابع لك فلان، فبدأتُ أحضر إلى حلق المشايخ وأنهل من العلم بجِدِّ واجتهاد، وكانت الدروس في العقيدة، والتفسير، والفقه وأصوله، والحديث، وعلومه والفرائض، فالدروس منتظمة، كل وقتٍ في

فن من الفنون، وكنتُ مع مرور الأيام تزداد طمأنيتي والأنس وراحة البال، فقد كنتُ مغتبطاً في طلب العلم. كان والدي - رحمه الله - يسأل الذاهبين والرائحين إلى الرياض وتصله أخباري دون علمي واستمررتُ - بحمد الله - على مواصلة العلم والتقلب في رياضه وبعد ثلاث سنوات أستأذنت مشايخي في زيارة أهلي، فأمرؤا بترتيب سفري مع صاحب جمل فركبتُ - بحمد الله - حتى وصلت إلى أهلي فطاروا بي فرحاً شديداً خاصة الوالدة - رحمها الله - وسألوني عن حالي فقلت لا أظن أحداً فوق الأرض أسعد مني، ورأوا من حالي السكينة والوقار، كما رأيتُ منهم التقدير والاحترام وقدموني إماماً في الصلاة وحدثهم عن حالي فارتاحوا لذلك وحمدوا الله وبعد أيام أستأذنتهم للسفر فألحوا عليّ بالبقاء فقبلتُ رأس والديّ وطلبتُ منهما الأذن فحصل ذلك - بحمد الله - ثم رجعت إلى الرياض وواصلت طربي للعلم وكنت شغوفاً في تحصيله . . .

وقد حدث أحد أقرانه قائلاً: جدّ واجتهد الشيخ في التحصيل حتى نال إعجاب مشايخه وأقرانه وأدرك علماً غزيراً، وكان أحب شيء إليه أن يجالسه أحد يقرأ عليه كتاباً لم يسبق أن سمعه، أو يناقشه في مسائل علمية، وكان ذا حفظ عجيب، وسرعة بديهة، ولما بلغ الثامنة عشرة أمره شيخه أن يجلس لصغار الطلاب يحفظهم بعض المتون، ولما فتحت كلية الشريعة أشار عليه بعض مشايخه الالتحاق بها فكان ضمن الدفعة الأولى التي تخرجت منها عام (١٣٧٧هـ) فعُين مدرساً في كلية الشريعة في الرياض، وفي آخر حياته انتقل إلى كلية الشريعة في القصيم وتخرّج على يديه أفواج طلبة العلم من القضاة والخطباء والمدرسين والمديرين وغيرهم، وقد شارك في مواسم الحج في الفتيا والدعوة، كما اشتغل في تجارة العقار

فكان سبباً في الإنفاق على أهله وإخوته ومواساة عامة أقاربه؛ أما إخوانه الذين كانوا يسخرون منه لما كان طفلاً صغيراً، فقد نالوا منه خيراً كثيراً لأن بعضهم لم يوفق للكسب وصدق الله العظيم: ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦] رحم الله الشيخ رحمة واسعة (١).

(١) كتاب سلوى الحزين ص ١٠٧ باختصار.

ورعه:

كان - رحمه الله - إماماً في الورع ومضرب المثل في الزهد ولعل قراءته ومطالعاته في سيرة الأئمة الأعلام كأحمد بن حنبل وابن تيمية طبعت ذلك في نفسه!

وقد ذكر أكثر من مرة أنه - رحمه الله - دفع بقلمه لُعباً من المحبرة وكان في حينها مديراً للمكتبة السعودية بالرياض، وكان عنده دواة للحكومة وأخرى له، فملاً الموظف قلمه من دواة الحكومة فغضب عندما عَلِمَ وقال: «تريد أن تدخلني النار!».

* وقد قال - رحمه الله - قبل وفاته بستتين لبعض محبيه من المشايخ الذين زاروه وكانوا يتحدثون في أمورهم الخاصة: «ما أذكر أنني وقعت في حرام أعرفه!» وقد قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن غديان - رحمه الله - عندما سمع هذه العبارة فيما بعد «صدق والله. وهذا تواضع منه، واعتقد - والله أعلم - أنه لم يفعل أمراً فيه شبهة، والأمثلة على ذلك كثيرة! - أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحداً -».

* ومن شدة ورعه أنه إذا ركب مع الناس في سيارة أجرة لتنقله خارج الرياض كان يعطي الأجرة مثل غيره من الركاب، وإذا عرفه صاحب السيارة رفض أخذ الأجرة منه، فيقوم إذا نزل بإلقائها عليه ويسرع ماشياً.

* وكان - رحمه الله - يتحرج من الفتوى ولا يفتي البتة! مع أنه جعل (حاشية الروض) في سبعة مجلدات ويفتي من قرأها فكيف بمن عكف عليها أربعين سنة؟!!

* وقد أرسل له شخص برسالة فيها مجموعة من الأسئلة فكتب له - رحمه الله - أما إذا أنك لا تعرفني، أو أنك تستهزيء بي.

* وكان لا يتقدم إماماً للمصلين ويرفض ذلك .

ومن شدة ورعه واحتياطه لنفسه أنه يتحرج من إجابة دعوات الناس لخوفه من كسبهم ، وقد برر ذلك لأحد أقاربي عندما دعاه لمنزله فقال : «أعرفك وأعرف مدخلك ومخرجك لكن لو أجبت دعوتك لن أرد غيرك» .

* وقد ذكرت قصة طريفة عن الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم - رحمه الله - إنه كان في مجلس وفيه الجد - رحمهما الله - وكان يعرف تخرجه من إجابة الدعوة ، فقال : «يا شيخ اليوم تتغدى معنا» .

فرفض وأصر الشيخ عبداللطيف وقال : «زوجتي طالق إن لم تجب!» فأجاب - رحمه الله - الدعوة ، ولما انتهى من الطعام قال له أحد المشايخ : «عز الشيخ عبداللطيف في زوجته فقد ماتت» .

فقال - رحمه الله - : والله ، إني متعجب ! وأعرف الشيخ عبداللطيف ، رجل عاقل لا يصدر منه مثل هذا القول !» .

* ومن ورعه - رحمه الله - أنه يكره تشييد البناء ، وكره أن يُبنى له بيت بالأسمت والطوب .

* ومن احتياطه لنفسه أن كان يقوم بالمرور على منتجات مزرعته التي ترسل إلى الأسواق ، ويرى هل أسفلها مثل أعلاها . وكان أهل السوق في الرياض يحبون شراء منتجات مزرعته لعلمهم أنه ليس فيها غش .

* ذكر العم الشيخ سعد - حفظه الله - : أن من ورعه العدل بين أبنائه حتى في دخول منازلهم . «فقد كنت مرافقاً له في آخر حياته من أجل معرفتي بمواعيد علاجاته فكنا بقرب منزلي وأتيت له بالوضوء في الخارج فهو لا يريد أن يدخل منزلي دون منازل إخوتي» .

* ومن حرصه على الولاء والبراء أنه كان يحب شيخاً من المشايخ ويقدمه، ولما سافر الشيخ إلى خارج البلاد وأخذ من لحيته هجره ولم يذهب إليه .

* وعندما زاره أحد العلماء وهو بمرتبة وزير وكان معه بعض القانونيين كره جلوسهم معه في المجلس، ونهرهم، وذكرهم بحكم الشرع وتحكيمه، فقاموا .

* وقد أوصى - رحمه الله - أن تمزق صورته في حفيظة النفوس إذا مات .

* ومن ورعه أنه لم يدخل التلفاز والمذياع في بيته .

قال محمد الحمدان في مجلة العرب: «وكان إلى جانب تضلعه في العلوم الدينية والعقائدية والتاريخية له إلمام كبير بالنواحي السياسية والاجتماعية وتعليقات وانتقادات، وكان يسأل زائريه عن أخبار السياسة...» .

* ومن ورعه وشدة عنايته بنفسه وتطهيرها معرفته لذنوبه فقد ذكر أنه جلس مع الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمهما الله - وتحدثا في أمر رجل، ولما كان من الليل رأى - رحمه الله - شجرة خضراء مورقة ثم بدأت تيبس أوراقها وتتساقط، فلما أصبح ذكر ذلك للشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - فقال: لعلنا أكثرنا الكلام عن الرجل!

* ومن ورعه ما ذكره سبطه محمد بن حمد المحيذيف - رحمه الله - حيث قال: سرت معه وأنا صغير، مع الوادي من العمارة إلى الرياض ولما بلغ مني الجوع مبلغه ناولني ريباً وقال: ادخل على أهل النخل واشتر منهم رطباً. قال: فذهبت واعطوني الرطب بدون مقابل ورفضوا أخذ الريال. قال: فلما عدت إليه بالتمر سألني عما جرى فأخبرته الخبر. فقال لي

- رحمه الله -: لعبوا عليك أعطوك التمر والريال . ولم يأكل معي رطباً .
 * وكان - رحمه الله - عندما يذهب إلى مكة أبان طبع كتاب «الدرر
 السنية» وغيره يأخذ طريق البير - العويند، ويسير على قدميه تلك المسافة
 الطويلة التي تقارب ستين كيلاً . ولا يدخل بلدة العويند، بل يصعد إلى
 الجبل ويبقى في غار فيه وينظر إلى أن تقبل سيارة ثم ينزل ويركب معهم
 فهو لا يريد أن يشق على أحد بضيافته وإكرامه .

تواضعه:

* كان - رحمه الله - متواضعاً مستكيناً لربه ، ظهر ذلك في معاملته للناس عامة وللفقراء والمحتاجين خاصة ، وكان لا يرضى أن يُسمى شيخاً ، ودائماً يقول : «لست شيخاً ، المشايخ في الرياض» ، ويرفض أن يُقبل رأسه .

* ومن تواضعه - رحمه الله - أنه كان يأكل مع عمال المزرعة جميع الوجبات ، بل لم يتميز بوجبة خاصة إنما كان الطعام مشتركاً ، وكان يمازحهم ويحدثهم ويعلمهم أمور دينهم ، ويسألهم عن ذلك .

* وقد ذكر العم الشيخ عبدالعزيز بن محمد - أخو الجد - رحمه الله - أنهم في ذهابهما إلى الرياض مرًا بمزرعة شخص - ذي كرم وضيافة ومن الفلاحين العباد على الطريق - يقال له دغيم - تقع في أعالي الدرعية في الملقا - قال : فلما عرف أن أخي الشيخ وكان مختبئاً في ظل السارية عن السراج خوفاً من التكلف له أراد أن يقوم ، فمنعه أن يكرمه بشيء زايد عن عمال المزرعة ورفض ذلك بشدة ، قال العم : فلما أكلنا معه وعماله ، أقسم على أخي أن ينام في سطح المنزل فقبل .

* وذكر (علي بن جابر) وهو ممن عمل في مزرعة الجد سنوات طويلة وقد سأله يوماً هل سرت على قدمك من الرياض إلى مزرعة الجد في العمارة؟ قال : «نعم ، ذهبت من المزرعة إلى الرياض ليلة عيد ، وفي اليوم التالي وقد انتهيت من السلام على الأقارب والمعارف ذهبت إلى موقف السيارات التي تذهب إلى العمارة ، ولم أجد سيارة حتى انتصف العصر ، فقلت أسير على قدمي حتى ييسر الله لي سيارة ، فسرت حتى وصلت الناصرية ثم المعذر ، ولما غابت الشمس وإذا بي أنزل على الدرعية ، فوجدت أهل تلك المزرعة فصليت معهم ، وتعشيت معهم ، وأكرموني عندما علموا أنني أعمل

لدى الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، ثم بعد ذلك سرت على قدمي حتى وصلت المزرعة بعد العشاء، وذهبت إلى فراشي مباشرة، ولما أذن الفجر صليت معهم فسألني الجد - رحمه الله - «متى أتيت؟» قلت: البارحة، قال: «مع من؟» قلت: مع طريق العمارية، ففهم أنني أتيت بسيارة ولم أقل أنني أتيت على قدمي لأنني أعرف أنه يتكدر من ذلك ولم أخبر أحداً بهذه القصة إلى الآن، وكانت مسيرتي ثلاث ساعات.

* ومن عجائب قصصه - رحمه الله - في هذا أنه كان يوماً في مزرعته وقد غيرت الشمس وجهه فأتاه أعرابي (حدثني القصة بنفسه) قال: فقلت له: أنت سوداني؟ قال: نعم، فقلت له وكنت أظنه عاملاً بالمزرعة ولم أعرف من هو: لماذا الشيخ يمنع البدو من دخول مزرعته بأغنامهم؟ قال - رحمه الله -: «يخشى أن تُفسد الأغنام فيها لكنه ترك لكم هنا مدياً (خزان ماء) ليشرّبوا». قال الأعرابي: ثم ذهبت إلى العمارية وبعد شهر رجعت قافلاً من العمارية إلى الرياض في سيارة لوري، وكنت مُقدماً في قومي فأركبوني بجوار السائق، ومررنا بمزرعة جدكم وكان واقفاً ينتظر السيارة ليدخل إلى الرياض، فلما رآه السائق رفع صوته: الشيخ الشيخ. وأمرني أن أنزل وأركب في صندوق السيارة، فلما رأني جدكم هس، وسلم عليّ وعرفته، فقلت له: أنت السوداني، قال: نعم، ورفض أن أنزل من مقدمة السيارة وقال: بل نركب سوياً.

* وكان يمازح الأعراب إذا أتوا ويقول لهم مختبراً: قال - الله - عز وجل - عن الأعراب: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا...﴾ ثم إذا حاروا في الجواب، قال: قولوا: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾.

صبره وجَلده:

فضيلة الجِد - رحمه الله ورفع درجته في عليين - آية في الصبر، فمن تأمل رحلته في جمع المخطوطات وقراءتها ومن ثم إخراجها، بل وفي صبره على ما أصابه من مرض مع حرصه على القراءة والتأليف ليعجب من ذلك .

وأين يذهب وشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية الذي نشأ على محبته وتربى وهو يرى صبره وجلده وقوة تحمله .

قال الإمام ابن القيم: «وحدّثني شيخنا - يعني ابن تيمية - قال: ابتدأني مرض، فقال لي الطبيب: إن مطالعتك وكلامك في العلم يزيد المرض، فقلت له: لا أصبر على ذلك، وأنا أحاكمك إلى علمك، أليست النفس إذا فرحت وسرت وقويت الطبيعة دفعت المرض؟ فقال: بلى، فقلت له: فإن نفسي تُسرّ بالعلم فتقوى به الطبيعة فأجد راحة، فقال: هذا خارج عن علاجنا . . .» .

وقال ابن القيم أيضاً: «وأعرف من أصابه مرض من صداع وحمى وكان الكتاب عند رأسه، فإذا وجد إفاقة قرأ فيه، فإذا غلب وضعه، فدخل عليه الطبيب يوماً وهو كذلك فقال: إن هذا لا يحل لك فإنك تعين على نفسك وتكون سبباً لفوت مطلوبك»^(١) .

ومن قرأ كتب الجِد - رحمه الله - علم أنه ذو جلد وصبر وطول نفس في القراءة! ناهيك عما قام بجمعه وترتيبه وإخراجه . ولاشك أن خصلة الصبر والجلد توفيق من الله - عز وجل - ونتيجة لتربية النفس ومجاهدتها، وهذه الصفة تجلت في طلبه للعلم وسعيه إليه، وقد ذكر أخو الجِد العم الشيخ

(١) روضة المحبين ص ٧٠ .

(عبدالعزیز بن محمد)؛ أن الجد - رحمه الله - كان یذهب إلى (مكة) حين طبع «الدرر السنیة» فی مطبعة الحكومة وغيرها من المؤلفات ویعود بعد حين إلى بلده .

قال: یأتي من (مكة) إلى (بلدة البیر) عن طریق بلدتي (عفیف والدوادمي)؛ وقبل بلدة (ضرماء) ينزل من السیارة فی مكان یقال له (العویند)، ثم یمشي من (العویند) إلى (بلدة البیر) علی قدمیه والمسافة بینهما تزيد علی ستین کیلو متراً .

ومن تأمل فی سیرة حياته وطول رحلاته وبعدها والمشقة فیها مع ما یلازمه من مرض علم صبره وجلده - رحمه الله - .

* وقد ذكر العم الشيخ عبدالعزیز بن محمد القاسم - رحمه الله - قصة عجيبة فی صبر الجد وجلده وقد سمعت القصة منه أكثر من مرة فقد ذكر: أنهم ساروا من بلدتهم (البیر) إلى (الریاض) علی أقدامهم لمدة ثلاثة أيام لیدرکوا دروس العلم فیها، قال لی العم عبدالعزیز: مشینا من بلدتنا (البیر) قبل المغرب وعمري ١٧ سنة وكان أخي عبدالرحمن أكبر مني، ولما نزلنا علی (بلدة الصفرة) وقد غابت الشمس قلت له: نذهب لأبناء خالك الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن عباد (طالب علم وإمام مسجد)، قال: لن نذهب لأحد، واستمررنا فی المشي حتی أدركنا المبيت فی الخلاء، وقبل الفجر مشینا ووصلنا إلى بلدة (حريملاء) ضحی، قلت له: نروح لزمالك عبدالرحمن بن خریف، قال: ما بیننا وین بلدة (سدوس) إلا ذراع، ومشینا حتی انتصفت الضحوة، قلت له: نروح لعبد الرحمن بن معمر أمير (سدوس) قال - رحمه الله - : ما بیننا وین بلدة (العینة) إلا مسافة قليلة، واستمررنا فی المشي إلى الظهر وإذا بنا فی (العینة) فصلینا فیها الظهر،

وأخذنا في السير إلى صلاة العصر، حيث وصلنا بلدة (الجيللة) ولما أتى المغرب وإذا بنا في بلدة (الملقا) ثم استمرينا نمشي حتى وصلنا (الدرعية) ثم أرحنا في الفوارة (الفاخرية) ثم جاء الليل ولما أذن الفجر وإذا بنا عند دروازة (آل سويلم) وهي من أبواب الرياض في ذلك الحين، استفتحن فلم يفتحوا لنا وبعد الإلحاح استيقظ أحد الحراس الذين يعرفون أخي، وكانت الرياض تُغلق أبواب سورها ليلاً، فعرف صوته أحد الحراس، وقال: «هذا الشيخ عبدالرحمن بن قاسم افتحوا له».

فتفتحوا له، ودخل مع فتحة يسيرة في الباب وكان ممسكاً بيدي فردوا الباب، وصاح: «هذا معي ادخلوه»!

قال: فدخلت وقد بلغ مني التعب، وسرنا إلى الجامع وقد أذن المؤذن فصلينا، واستندت إلى سارية بالمسجد ولم أع إلا وقد ارتفعت الشمس! وتفرق الطلاب فنظرت إلى قدمي وقد انتفخت وبلغ مني التعب مبلغه، فلم أستطع أن أسير إلى الغرف المجاورة للمسجد، قال: وأخي أدرك الدرس بعد الفجر ثم ذهب الضحى لدرس آخر، وأتاني بعد الظهر وكأنه لم يمشي تلك المسافة الطويلة!

* وذكر الشيخ حماد الأنصاري - رحمه الله - بعضاً من الجهد في قراءة خط شيخ الإسلام - رحمه الله - فقال: «اجتمعنا مع الشيخ ابن قاسم ونحن أربعون رجلاً في مكان اسمه المغيدر (اسم مزرعة الجد) وهو قرب الرياض فأخذنا بعض فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية نقرأ فيها، وكانت بخط شيخ الإسلام، ولم نستطع مواصلة القراءة بسبب صعوبة قراءة خطه، وأخذنا على ذلك أربعة أيام نحاول قراءته!» هذا كما ذكر الشيخ حماد الأنصاري - رحمه الله - في أربع ورقات فكيف بمجموع الفتاوى؟!

ويكفي معرفة أن إجمالي صفحات كتبه تجاوزت ٤٠ ألف صفحة كلها من الدر النضيد والذهب المسبوك.

* وذكر الشيخ محمد بن عثمان القاضي ذلك فقال: «وقام بجهود جبارة في التأليف وغيره، ومن ذلك عنايته واهتمامه التام بجمع التراث العلمي من مصادره، فقام بنشاط يشكر عليه، تحمل من أجله مشاق السفر وبحث ونقب في مكاتب كثيرة في الدولة العربية وغيرها، وجمع كل ما وجده من مؤلفات ابن تيمية - رحمه الله - ثم سعى في ترتيبه وتنقيحه وتصحيحه وذلك برحلات عديدة فمنها إلى القاهرة في عام ١٣٦٥هـ.

وكان بصحبته ابنه محمد الذي ساعده على ذلك وبحث مع علماء الشام ومصر، ودار على الكتب المطبوعة وخزانات المخطوطات الأثرية للوصول إلى الهدف الذي آلى على نفسه بلوغه، وقام برحلة ضمن العلاج في عام ١٣٧٣هـ ودار عليهما أخرى. وفي عام ١٣٧٧هـ قام برحلة إلى القاهرة للعلاج مرة أخرى، ولما تماثل للشفاء دار كالأولى على مكتباتها، وعكف على مكتبة الأزهر ودار الكتب بشارع محمد علي، ونقب عما فيهما من مؤلفات الشيخ، ثم واصل سفره إلى فرنسا للمعالجة في باريس، فأجرى عملية في رأسه للألم الذي كان يعاوده عاماً بعد عام، ولما تماثل للشفاء دار على مكتباتها، ثم على مكاتب أوروبا في هذه الرحلة للتنقيب عن هذه المؤلفات في مظانها، ولم يشغله مرضه العضال الذي سافر هذه الرحلات من أجله عما هو بصدده من المجهود الكبير الذي طالما تعطش المستفيدون لأن يبرز بالمظهر الذي أبرزه، ثم سعى بمجهود كبير لإتمامه بعد جمعه ولم شعثه من تفرقه وترتيبه وتقريبه لمراجعيه وتصحيحه وتنقيحه، فجاءت تلك الضالة المنشودة مجموعة نفيسة بلغت سبعة وثلاثين مجلداً، السادس

والثلاثون والسابع والثلاثون فهارس وأعلام للتقريب لرواد المطالعة .
 كما قام بمجهود كبير آخر لجمع الرسائل والمسائل النجدية التي كان صاحب المنار قد طبعها على نفقة الملك عبدالعزيز إلا أنها غير مرتبة، فقام بترتيبها أحسن ترتيب وتقريب لقارئها وصححها ونقحها، وجاءت اثني عشر مجلداً فطبعها وسماها (الدرر السننية في الأجوبة النجدية) وترجم لهم بجزء مفرد خلد مآثرهم، وأبرز فيه كفاحهم في سبيل الدعوة إلى الله ونفع الخلق، وذلك بإضافة زيادات كثيرة عما جمعه قبلها في عام ١٣٥٦هـ بمطبعة (أم القرى) فجاءت الطباعة الأخيرة بتاريخ ١٣٨٥هـ على أحسن ترتيب وتقريب على نفقة الشهيد الملك فيصل - رحمه الله - بواسطة دار الإفتاء، فصار لهذين المجهودين أثرهما الطيب وبقي لسان ذكر له في العالمين^(١) .

✽ قال الشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله - (في رسالته ما عرفته عن شيخنا): وقد استزارني ابنه الزميل أحمد بن عبدالرحمن - حفظه الله تعالى - وقت المذاكرة للاختبار النهائي عام سبعة وسبعين وثلاثمائة وألف، وكان أبوه في ذلك الوقت يشتغل بأخر حاشية الروض المربع، ويطلع بعض الكتب والشروح، وتعجبت من صبره وتجشمه المشقة والتعب في المطالعة والكتابة، رغم كبر السن، ولكن الله - تعالى - أمدّه بقوة البدن، ومتعّه بالسمع والبصر، وقد بقيت عندهم في المزرعة المعروفة بالمغيدر في أعلى الدرعية لمدة أسبوع، وكان غالباً ينزل إلى الرياض حيث كان مشرفاً على المكتبة السعودية، فيدخل صباحاً ويخرج ظهراً أو قريباً من ذلك، وكثيراً ما يجالس في منزله القديم في الرياض قرب دخنة، ونستفيد منه فوائده وحكمه وأمثالاً يلقيها ويعرضها على الحاضرين، فيحجمون عن الجواب حتى يجيب عنها.

(١) روضة الناظرين ٣/٢٣٥ .

محافظة على الوقت:

للعلماء مواقف ودروس في المحافظة على الوقت وإدراك قيمته، وهم أسعد الناس بالاستفادة منه والأخذ به.

قال السخاوي عن شيخه ابن حجر: «... إنما كان همته المطالعة والقراءة والسماع والعبادة والتصنيف والإفادة، بحيث لم يكن يخلي لحظة من أوقاته عن شيء من ذلك، حتى في حال أكله وتوجهه وهو سالك، كما حكى لي ذلك بعض رفقته الذين كانوا معه في رحلته، وإذا أراد الله أمراً هياً أسبابه...»^(١).
* ذكر عنه - رحمه الله - أنه كان يُسأل عن اقرب الطرق إلى مكان ما فيقول - رحمه الله -: نقيس المسافة بعدد الآيات من القرآن التي نقرأها هنا وهنا. ثم نعرف أي الطريقين أقصر.

* فضيلة الجِد - رحمه الله - كان يقرأ ويكتب حتى في حالة مرضه ناهيك عن حالة صحته وعافيته وسفره وإقامته.

* وقد ذكر العم الشيخ سعد أمراً عجيباً منه - رحمه الله - فقال: كان لدينا في المزرعة عمالٌ يحفرون بئراً فلما زاد الحفر والعمق وكان همتهم ونشاطهم قليلاً، كان الجِد - رحمه الله - ينزل بكتبه وهم يحفرون البئر وكانوا يتعجبون من فعله، فيقول لهم: «أنتم تعملون وأنا أعمل!»!

هذه القصة تذكرنا بقصة الإمام السرخسي لما سجنه الحاكم في (بئر) بسبب كلمة قالها. فكان تلاميذه يكتبون ما يُملئ عليهم وهو في البئر فكتبوا عنه (المبسوط) في الفقه، ولما انتهى من إملائه لهم قال اكتبوا: هذا آخر شرح العبادات أبسط المعاني وأيسر العبارات إملاء المحبوس عن الجمع والجماعات...».

(١) الجواهر والدرر ص ٤٨.

وتذكرت حينها قول الإمام الذهبي في السير: «قال ابن الأبنوسي: كان الحافظ الخطيب يمشي وفي يده جزء يطالعه»^(١).

* وكان - رحمه الله - يكتب في كل وقت وينقل كتبه وأوراقه معه أينما ذهب، ولا تراه إلا في عبادة أو جالساً لإكرام ضيف أو يكتب، وكان يكتب بعد الفجر والظهر والعصر حتى أذان المغرب ولا يكتب في الليل إلا قليلاً لعدم توفر الإضاءة بشكل كاف. وكان له محفظة يضع فيها أوراقه وينقلها معه في كل مكان حتى أنه يرقى على مرتفع من الأرض ليشرف على أعمال المزرعة ويكتب.

* وقد ذكر العم عبدالعزيز بن محمد: أن الجد - رحمه الله - يقرأ في الليل ثم يطفى السراج لينام فإذا به يعود ويشعل السراج مرة أخرى ليكتب وهكذا ينام ويستيقظ.

وله - رحمه الله - في أئمة الدين أسوة وقدوة!

* قال الوراق عن الإمام البخاري: «كان أبو عبدالله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ، فكنت أراه يقوم في الليلة الواحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري ناراً بيده ويسرج ويخرج أحاديث فيُعلم عليها ثم يضع رأسه، فقلت له: إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني، قال: أنت شاب، فلا أحب أن أفسد عليك نومك»^(٢).

* وكان - رحمه الله - إذا سافر مع رفقة جلس معهم إذا استراحوا فترة، ثم ذهب لأقرب شجرة وبدأ يقرأ ويكتب.

(١) السير ٢١٨/١٨.

(٢) البداية والنهاية ٣٣٦/١٠.

طرائفه:

مجالس العلماء مجالس علم وفائدة، قال عنه - رحمه الله - الشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله -: «... فلا يخلو حديثه من فائدة دينية أو مسألة فقهية أو استشهاد بآية أو حديث...»^(١).

وكان - رحمه الله - صاحب طرفة ونكتة، لا يتجاوز حدود الأدب والسمت والوقار، ولكنه كان يتبسط مع الناس ويتواضع لهم ويحدثهم بما يفهمون، ولهذا أحبه العلماء والعامّة ومن تلك الطرائف:

* في مرحلة قوة الإخوان كانوا يقابلون من يدخل إلى الرياض ويسألون في الأسواق: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وكان حظهم في أحد الأيام الجد - رحمه الله - وهم لا يعرفونه فاستوقفوه، وسألوه الأسئلة الثلاثة.

فقال - رحمه الله - أولاً: «أنا أسألکم ثم أجيب» قالوا له: اسأل. قال: «أنتم دخلتم في الدين أم الدين دخل فيكم؟» فاحتاروا وتركوه!
* ومرة زاره إمام أحد المساجد في القرى المجاورة ولما دخل مزرعته وجد العمال يعملون في رؤوس النخل ويرددون كلمات طيبة يقضون بها على مشقة العمل. فغضب ذلك الإمام ونهرهم وقال: «تعملون في نعمة الله وتغنون، اسكتوا أو انزلوا».

فنزّلوا يطلبون الراحة. ولما دخل على الجد - رحمه الله - في مجلسه أنكر ما يفعله العمال، وقال: «أنزلتهم من رؤوس النخل» قال الجد - رحمه الله - «اتركهم يرددون كلماتهم أو اصعد رأس النخل اعمل نيابة عنهم». فانظر إلى فقه العالم في مثل المواقف.

(١) حاشية الروض ١٣/١.

- وكان ما يرددونه ويرفعون أصواتهم به ذكر وحدانية الله - عز وجل -
 وطلب العون والتوفيق والتيسير كعادة أصحاب الأعمال .
- * وذكر أحد المشايخ في أحد دروسه في أبواب الطهارة وأن الأصل
 الطهارة، ثم قال إن أحدهم سأل الشيخ عبدالرحمن بن قاسم عن سجادة
 في الأرض يريد أن يصلي عليها: هل هي طاهرة؟ فقال - رحمه الله -
 مازحاً: «هل رأيت أمك تبول عليها؟!» فكان رداً عملياً مباشراً .
- * وكان - رحمه الله - يذكر قصة رأها في بيروت ويتندر بها، فقد رأى
 صغاراً أربعة يمشون خلف رجل؛ اثنان منهم ينادونه بابا واثنان ماما! فاحتار
 القوم الذين شهدوا الموقف، فقال لهم: هذا تحول من ذكر إلى أنثى حيث
 إن من يسير الأربعة معه كان أنثى فولدت ولدين يناديانه: ماما ثم أجريت
 لها عمليات جراحية فتحولت إلى رجل فأُنجب اثنان يناديانه: بابا!
- * سأله أحد الحضور في مزرعته عن ما يذكر من وجود شعر وأثار النبي
 ﷺ في متاحف تركيا. فقال - رحمه الله - : هذا شعر عجائزهم .
- * قال أحد جلسائه: بلدة البير أو بلدة الرغبة أكثر، فقال الجد - رحمه
 الله - مداعباً: البير مذكر والرغبة مؤنث .

خلقه وأخلاقه:

قال عنه صاحب روضة الناظرين: «وكان - رحمه الله - طويلاً، نحيفاً، قمحي اللون يميل إلى البياض، متوسط الشعر، دمث الأخلاق، لا يحب المظهر والشهرة، سخيّاً، لين العريكة، حلو الشمائل، وصولاً للرحم، مستقيماً في دينه وخلقه».

وقال العلامة الشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله - في مقدمة حاشية الروض: «وكان - رحمه الله - غيوراً على حرمات الله، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، يصدع بالحق، ولا يخاف في الله لومة لائم، ثم هو مع ذلك حسن السمات، دمث الأخلاق، دائم البشر، كريم النفس، متعزز عن رذائل الأمور وسفاسف الأخلاق، وكان متواضعاً لربه لا يستنكف، ولا يرفع نفسه عن إجابة الصغير والكبير، ومحاذثة الغني والفقير، مع ما رزقه الله من الهيبة والاحترام في قلوب الخاص والعام».

وقال الشيخ حمد الجاسر: «كان - رحمه الله - من أرق من عرفت من العلماء نفساً، وأطفهم خلقاً، وأسخاهم يداً».

وله قصص في ذلك معروفة يضيق المقام بذكرها. وقد زرتُ الشيخ حمد الجاسر مع بعض طلبة العلم يوم الخميس أواخر شهر رجب عام ١٤١٨هـ ولما عرفني تحدث عن الجد، وقال كلاماً طويلاً في الثناء عليه وذكر فضائله منها قوله إنه: «كريم النفس، كريم اليد، وكان هو الوحيد الذي تعاهدني بالسؤال والهدايا من مزرعتكم حين تركني الناس».

ثم ذكر لي كتاب التاريخ وسألته عنه فقال: «رأيتُه ولازمتُ أذكره إلى الآن وكان مجلداً بقطعة من قماش أخضر، الجزء الأول منه يشمل بدء الخلق وقصص الأنبياء، والثاني وهو المهم يتعلق بحوادث نجد وكأنه تكملة

لابن بشر ويشمل أنساب الأسر في نجد».

* قال الشيخ عبدالله بن بسام: «فكان على جانب كبير من الأخلاق، حلوا الشمائل مستقيماً في دينه وخلقه، وكان عنده غيرة على حرمان الله، ويكره جداً مساكنة الكفار وجوارهم، وكان يخشى ويتخوف دائماً بسبب سوء الأوضاع الدينية في الدول العربية والإسلامية أن يصيبها سوء بسبب معاصيها وبُعدها عن الله»^(١).

* وذكر الشيخ عبد العزيز بن حمدان الحمدان إمام مسجد الضليعة في البير قوله: أن الشيخ عبد الرحمن بن قاسم سبق سريع في المشي لا تلحقه الخيل، وكذلك والده محمد.

* امتازت أخلاقه بسمو النفس وعلوها وحسن الخلق وطيبة نفس، زاد ذلك إيمان وتقى وورع، وكان - رحمه الله - غيوراً أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر وله في ذلك مراسلات مع الملوك والأمراء.

وقد ذكر أحد أبناء العم أنه قال له يوماً: يا أباي، لماذا ترسل وأنت ترى أنه لا يُرد على رسائلك؟

فقال - رحمه الله -: ما أرسلت لئُرد على رسائلي، ولكن أرسلت براءة للذمة ونصيحة للأمة.

* ولم يستشرف للدنيا ويبحث عنها، فقد كان - رحمه الله - يسكن في بيت طين متواضع في مزرعته، ولما زاره الملك سعود - رحمه الله - قال له: «نريد أن نبني لك بيتاً غير هذا» وكان البيت مبنياً من الطين في وسط المزرعة فقال - رحمه الله -: «قد بنيت لي داراً وانتظر الرحيل إليها». فسكت الملك وقد حدث بهذه القصة عبدالعزيز المنيع وكان حاضراً المجلس.

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ٢٠٦/٣.

وكان للملك سعود أباد بيضاء في جمع وطبع مجموع الفتاوى حتى إن والدي - رحمه الله - ذكر أنه أمدهم بمليون ريال لطبع المجموع وكان مبلغاً كبيراً في حينه، وقد قال الوالد - رحمه الله - : إن من أعمال الملك سعود العظيمة طبع (مجموع فتاوى شيخ الإسلام) ويرى أنه مع توسعته للحرمين الشريفين من أعظم الأعمال! واستدرك: «المساجد كل بينها ولكن نشر علوم السلف ليست إلى كل أحد!». .

محبة للعلماء، ومحبة للعلماء، له:

كان - رحمه الله - محباً للعلم وأهله، ولهذا سعى إليهم في سن مبكرة لنيل العلم وطلبه، فوهبه الله من العلم الحظ الوافر والقدح المعلى؛ ولما طاب له الثمر نفع الأحياء بعلوم أخرجها وكنوز أظهرها، ونفع الأموات بإشاعة ونشر علومهم ومعارفهم كمؤلفات «شيخ الإسلام» والإمام أحمد وأئمة الدعوة وغيرهم.

قال - رحمه الله - مثنياً على أهل العلم والإمامة في الدين:

«فضل الأئمة الأربعة وكذا غيرهم من أئمة الدين، ووجوب توقييرهم واحترامهم، والتحذير من بغضهم وأذاهم قد تظاهرت به الآيات وصحيح الأخبار والآثار، وتواترت به الدلائل العقلية والنقلية وتوافقت، وهم أهل الفضل علينا، ونقلوا الدين إلينا، وعول جمهور المسلمين على العمل بمذاهبهم، من صدر الإسلام إلى يومنا هذا، بل لا يعرف العلم إلا من كتبهم، ولم يحفظ الدين إلا من طريقهم، فيجب احترامهم وتوقييرهم، والاعتراف بقدرهم وتحسين الظن بهم. فهم من خيار الأمة، وخلفاء الرسول ﷺ، ومعرفة أقوالهم سبب للإصابة ومعرفة الحق، لاسيما أهل الحديث؛ فإنهم أعظم الناس بحثاً عن أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته وطلباً لعلمها، وأرغب الناس في اتباعها، وأبعد الناس عن اتباع ما يخالفها ومقدمهم الإمام أحمد بن حنبل الذي قال فيه شيخ الإسلام وغيره: أحمد أعلم من غيره بالكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين، ولا يكاد يوجد له قول يخالف نصاً، كما يوجد لغيره، لكن لا ندعي فيه ولا في أحد منهم العصمة، ولا نتخذهم أرباباً من دون الله، وما وجد في بعض كتبهم من خطأ فمردود على قائله، مع إحسان الظن به، والفقهاء المنتسبون

إليهم لم يختاروا مذاهبهم عند عدم الدليل إلا عن اجتهاد، لا مجرد رأي وتقليد، كما ظنه من لم يحقق النظر في مصنفاتهم، ومع ذلك فليسوا بمعصومين»^(١).

* وعندما كبر سنه وضعف بصره - رحمه الله - كان أحد الأقارب يقرأ عليه مختارات من الكتب وأكثر ما كان يقرأ عليه (مجموع الفتاوى) وغيره.

* وكان - رحمه الله - يُجل علماء ومشايخه، ويشني عليهم وحسبك بالمجلد السادس عشر من (الدرر السنية) لترى ذلك جلياً واضحاً في ترجمته للعلماء، كما ترى ذلك أيضاً في حاشية (كتاب التوحيد) عندما يقول «قال شيخنا».

وعندما استقر - رحمه الله - في مزرعته كان يقدم عليه العلماء والمشايخ وطلبة العلم يزورونه ويحدثونه، قال الشيخ عبدالله بن بسام بعد أن ذكر بقاءه في مزرعته... «ولكن العلماء وطلاب العلم ممن يعرفون فضله وجهوده يترددون عليه للاجتماع به والتباحث معه...»^(٢).

وقال الشيخ محمد القاضي: وهو يتحدث عن مجالس الجسد - رحمه الله -: «وكانت مجالسه مجالس علم وبحث شيقة وممتعة للجلوس، وله نكت حسان وعلى جانب كبير من الأخلاق العالية...»^(٣).

وقال الشيخ حماد الأنصاري - رحمه الله -: «اجتمعنا مرة مع الشيخ ابن قاسم ونحن أربعون رجلاً في مكان اسمه «المغيدر» [أي في مزرعته]

(١) حاشية الروض ١٩/١.

(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون ٢٠٦/٣.

(٣) روضة الناظرين ٢٣٦/١.

وهو قرب الرياض، فأخذنا بعض فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية نقرأ فيها، وكانت بخط شيخ الإسلام، فما استطعنا مواصلة القراءة بسبب صعوبة قراءة الخط وأخذنا على ذلك أربعة أيام نحاول قراءته»^(١).

✽ قال الشيخ حمد الجاسر: «وكان - رحمه الله - من أرق من عرفت من العلماء نفساً، وألطفهم خلقاً، واسخاهم يداً..»^(٢).

✽ وأدركت بمزرعته - رحمه الله - غرفاً مبنية تتجاوز الخمس للضيوف ومن يقيمون عنده لأيام من العلماء والمشايخ والأقارب والفقراء والمساكين وغيرهم، وقد زاره يوماً الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان - رحمه الله - . قال أحد الحضور: فما كان من الشيخ الشنقيطي وقد رأى طائراً على نخلة إلا وسأل: «أهنا بندقيّة؟» قالوا له: نعم. فناولوه إياها، فمد يده وصوب البندقيّة، وإذا بالطائر يسقط ميتاً! فتعجبوا من فعل الشيخ ودقة رميه.

✽ وكان الجد - أجزل الله مثوبته ورفع درجته - يقدر المشايخ ويسر بزيارتهم ويعطيهم من نتاج مزرعته من تمر وعنب، ولا يترك أحداً يذهب إلا وقد أخذ شيئاً منه ويتفقد ذلك بنفسه.

✽ يقول الشيخ حمد الجاسر: «وقد توطدت الصداقة بيننا، فكان يتعاهدني بالصلة - بعد أن انفرد في مزرعته في وادي (العمارية) فيبعث إليّ من بواكير الرطب والفاكهة في الوقت الذي كنت فيه مجفواً من عامة الناس بعد فصلي من إدارة كليتي (العلوم الشرعية) و(اللغة العربية)»^(٣).

(١) المجموع في ترجمة الشيخ حماد الانصاري ٢/ ٦٣٣.

(٢) مجلة العرب ١٦٣ ص ٨.

(٣) مجلة العرب م ١٦ ص ١٨.

* وكان - رحمه الله - إذا أتى إلى الرياض يزور العلماء، وقد ذكر فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيان - رئيس مجلس القضاء الأعلى - وكان في حينها في المحكمة الكبرى بالرياض: «أنه كان يزورهم وكانوا يقولون له: لك الحق يا شيخ، فيقول: «أنتم مشغولون».

* وقال الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق - حفظه الله - وهو يتحدث عن الجد - رحمه الله -:

«كنت أتردد على المكتبة السعودية وأسلم عليه، ويحتفي بي، ويسألني عن أسرتي وأهلي، وكان لا يرد لي طلباً وقد طلبت منه إعارتي رسالة خطية لجدنا الشيخ حمد بن عتيق حيث امتنع الموظف المختص بإعارة المخطوطة وهي النسخة الوحيدة في المكتبة، فأمر الشيخ بإعطائي إياها على أن أنسخها وأعيدها إلى المكتبة بعد نسخها، حيث لا يوجد في تلك السنين أجهزة لتصوير المخطوطات وإنما يتخذ الناس النسخ بالقلم وقد كنت أسمع الحديث عن الشيخ عبدالرحمن وما هو عليه من الجوانب الخيرة المباركة من الجد والاجتهاد والحرص على التحصيل والاستفادة من العلماء حتى كان ذلك طبعاً له وسجية».

* وقد قال الشيخ عبدالعزيز السدحان مرة: «ما تمنيت أن أرى أحداً من العلماء مثلما تمنيت رؤية جدك - رحمه الله -».

ومن صفات الجد - رحمه الله - التي كتب عنها الكثير إنه محبوب من الجميع، وليس له مع أقرانه خصومة أو عداوة مع أحد من الناس، وقد أشار إلى ذلك غير واحد من أصحاب التراجم.

* ومن محبته لطلبه العلم والعلماء ما ذكره الشيخ أحمد بن عبد الله بن حميد بقوله: في عام ١٣٥٤ هـ اتفق ثلاثة من أبرز طلاب الشيخ محمد بن

إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - على السفر إلى مكة وصيام شهر رمضان والبقاء فيها إلى انتهاء مناسك الحج وهم:
الشيخ الوالد.

والشيخ العلامة عبد الرحمن بن محمد بن قاسم المتوفى عام ١٣٩٢ هـ -
«جامع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية».

والشيخ الفقيه عبد الله بن سليمان المسعري المتوفى عام ١٤٢٦ هـ - رحم
الله الجميع - . فوصلوا مكة المكرمة نهاية شعبان^(١) .

وقال [أي الشيخ عبد الله بن حميد] المعهد العلمي السعودي أسس في
مكة المكرمة عام ١٣٤٧ هـ، وقد اقترح بعض الأفاضل لما رأى بنوغ الوالد
- رحمه الله - وسعه اطلاعه أن يلتحق بالمعهد العلمي السعودي، ليضيف
إلى علمه علوماً أخرى لم يدرسها، وفعلاً التحق الوالد وأغلب الظن أن
معه صاحبيه الشيخ عبد الرحمن بن قاسم والشيخ عبد الله المسعري.

* ومن محبته العلماء له - رحمه الله - ومعرفتهم بقدره ومنزلته الرسالة
المصورة المرفقة، والمرسل من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز إليه يسأله
عن بعض المؤلفات لشيخ الإسلام.

(١) علاقة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد بالمسجد الحرام، بقلم: أحمد بن عبد الله بن
حميد من مقدمة كتاب: الفتاوى والدروس في المسجد الحرام الشيخ عبد الله بن حميد اعتنى به
إبراهيم بن علي الحمدان.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم الشيخ الفاضل
عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - وفقه الله وتولاه - آمين سلام عليكم
ورحمة الله وبركاته:

بعده يا محب في أثناء تفتيش الشيخ محمد ناصر الدين الألباني عن
بعض المخطوطات الموجودة في مكاتب المدينة وجد في مكتبة شيخ الإسلام
عارف حكمت مجموعاً مخطوطاً تحت رقم ٣٣ فوجد فيه رسالة خطية
منسوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية ابتدئ من صفحة ٢١١ إلى ٢٧٣ هذا
أولها: «مسألة ما قولكم في مذهب السلف في الاعتقاد ومذهب غيرهم
من المتأخرين ما الصواب منهما وما تتحلون أنتم من المذهبيين، وعن أهل
الحديث هل هم المرادون بالفرقة الناجية، وهل حدث بعدهم علوم جهلواها
وعلمها غيرهم وعمما تقولون في المنطق وهل من قال: إنه فرض كفاية
مصيب أم مخطئ؟»

الجواب هذه المسائل بسطها يحتمل مجلدات لكن أشير إلى المهم منها
والله الموفق، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ...﴾ [النساء: ١١٥] الآية
إلخ». انتهى ما نقله الشيخ ناصر الدين منها ويذكر أنه لا يعلمها مطبوعة؛
فترجو الإفادة هل تعلمونها مطبوعة أم لا.

وإذا كانت مطبوعة فترجوا الإرشاد إلى الكتاب الذي طبعت فيه أثابكم
الله والله يتولاكم والسلام.

رسالة من ارحم الراحمين

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز الهمزة الألف الكلمة الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن صالح آل عيسى
 ونحوه آتينا مسودته عليكم في رطله امه كاتمه : بعد ما سمعنا في اثناء نقاش
 الشيخ من ناصر الدين الألباني في بعض المنطوقات الموجودة في كتابته المرمية
 وبعد في نسخة شيخنا امه عارف حكمت مجموعا من خطوطه التي
 توجد في رسالة خطبه ~~التي~~ منسوبة لشيخنا الامام بن تيمية تبين
 من صفحات ٢١١ الى ٢١٤ عند اولها سائر ما ذكرتم في ذلك السلف
 في الاستيفاد ومنه عند غيرهم من المتأخرين ما الصواب فيها وما تستلزمه
 انتم من انه عيبا وهذا أهل الحديث هل لهم المراد به بالقرآن بناء عليه رجل
 حدث بعد علم من علمه وخطبه غيرهم واما نقولون في المنطوق
 من قول الله فمن كفاهم مصيب ام تظلم . الموحى به المسائل
 يستعمل مبدئاته كمن استمر الى المهم منها واما الوفاق في تعالى من يتناقض
 الرسول الآية الى انهم ما تقدم الشيخ ناصر الدين بن تيمية لا يعلمها بطبوعه
 قد صعد الافادة هل لعلها مضمومة ام لا واذا كانت مضمومة قد صعدوا
 الارشاد الى الكتاب التي طبعت في انا كرامه وانه يتولاكم من مسلمهم

١١٤٢ / ١١٨١ هـ

دعوة خاصة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ: عبد الله بن عقيل، حرسه الله .
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد: يا محب، نحب حضورك معنا الساعة ثمان بكره يوم الخميس
الموافق: ٣/١١، نتوجه نحن وإياك للدرعية، نصلي فيها العصر ونتعشى
عند أنسابنا فيها بعد صلاة العصر، ويتزوج ابني سليمان، ثم إن أردت
توجه معنا ونبيت في المغيدر، وعلى كل حال العشاء عندنا فيه يوم الجمعة،
الرجاء الإجابة، ودمتم محروسين، والسلام^(١).

محبكم

عبد الرحمن بن قاسم

(١) هذه دعوة من الجد للشيخ عبد الله بن عقيل - رحمه الله - بحضور زواج العم سليمان -
رحمه الله - (١٣٥٣ - ١٤٢١) وذلك في مزرعة الجد المسماه (المغيدر).

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

مكتبة الرياض السعودية

الرقم

التاريخ

الموضوع
حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن عجيل

عبد الله بن عجيل

عبد الله بن عجيل شيخ حضورنا معنا الساعة

و يوم الخميس الموافق

توجهنا

تأخر للدعية تصلي في العصر وتعتني عندنا فيكم

صلاة العصر وينزونا النبي صلى الله عليه وسلم انا ارادنا

وجمنا ونبيت في العيد وعلى كل حال

لحنا عندنا في يوم الجمعة الرجال اجاب

ودعتم بحسب

عبد الرحمن بن عجيل

الغيرة على محارم الله:

كان - رحمه الله - غيوراً على محارم الله أن تنتهك، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر في عامته وخاصته .

وله مراسلات مع الملوك في النصيحة، وما كتبه ومؤلفاته ألا أمر بمعروف أو نهى عن منكر .

ومن قصصه العجيبة في ذلك التي تدل على شدة نفرتة من الشرك وإن كان أصغر:

أنه سمع عاملاً أتى إليهم في المزرعة يقول: «والنبي» فقال: «لا يبقى عندي ويُعلم التوحيد قبل أن يُرجع به» .

✽ قال محمد الحمدان في مجلة العرب متحدثاً عن الجد - رحمه الله -: «إنه كان غير مرتاح للأوضاع الدينية والاجتماعية في الدول العربية والإسلامية المجاورة خاصة بعد ما شاهده هناك من العقائد المنحرفة وأنواع المعاصي الظاهرة، وكان يتخوف دائماً أن يصيب قومه ما أصاب أولئك» .

✽ من غيرته - رحمه الله - قوله في مقدمة المجلد ١٥ من الدرر: «والله أسأل أن يوفق علماء هذا العصر الذين هم ما بين قاض ومعلم وغيرهم بأن يتساعدوا مع ولاة الأمر على أن يخففوا وطأة هذه المنكرات التي حدثت فيبينوا ما تهدم مما أظده سلفهم إلى أن يعود الأمر إلى نصابه» .

قال - رحمه الله -: لهذا يجب علينا ألا نرسل أبناءنا وهم صغار إلى بلاد الكفار للتعلم، لأن النشء إذا شب بينهم لا بد أن يتخلق بأخلاقهم، والأوفق بالمسلمين إذا أرادوا تعليم أولادهم بعض العلوم الحديثة كالميكانيكا والهندسة: أن يفتحوا المدارس في بلادهم ويجلبوا لها هؤلاء المهندسين، وبهذا يمكن حفظ أخلاق النشء ودينهم^(١) .

* ومن غيرته على محارم الله أنه - رحمه الله - وجه سؤالاً إلى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم عن حكم لبس المرأة لبعض الملابس الضيقة كما في مجموع فتاوى محمد بن إبراهيم - رحمه الله - ^(١).

* ويتضح ذلك أيضاً في سؤاله لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم عن قائمة أسماء الكتب المنوع توريدها لثلاث تطلب، حفاظاً على المكتبات من الكتب المخالفة للشريعة. وقد أجابه سماحة الشيخ - رحمه الله - :
بالجواب التالي :

من محمد بن إبراهيم إلى

حضرة المكرم مدير المكتبة السعودية الشيخ عبدالرحمن بن قاسم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فقد وصلني كتابكم المؤرخ ١٥/٥/١٣٧٦ هـ وفهمت مضمونه خصوصاً إشارتكم بأنكم تودون أن لو أرسلت إليكم أسماء الكتب المنوع توريدها لثلاث تطلبوها.

وأفيدكم: أن الكتب المنوعة لا تنحصر أسماؤها، فإن كل كتاب يشتمل على باطل فهو ممنوع؛ ووظيفة المكتبة توريد الكتب النافعة التي لا محذور فيها وليس وظيفتها وشأنها توريد الكتب كلها حتى يطلب تبين ما لا يصلح ليتقى. أما ما كان مشهور النفع في علم طب أو لغة أو ما أشبه ذلك وفيه أشياء متقدمة فهذا شيء آخر... ومن خصوص طلبكم بياناً بأسماء الكتب التي يحجزها المفتشون فلا مانع من أن ترسلوا شخصاً إلى دار الإفتاء يأخذ أسماءها من التفقيش. والسلام عليكم ^(٢).

(١) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم ١٥٩/٢.

(٢) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم ١١٤/١٣.

النصيحة

العلماء هم أهل النصيحة الصادقة المشفقة، وهل هناك أعظم من نصيحة تدل على طريق الجنة وتحذر من النار، وتبين طريق الخير وتحذر من طريق الشر؟!!

والشيخ - رحمه الله - له باع طويل ويد معطاء في بذل النصيحة؛ شفقة على الأمة، ورفقاً بالخاصة والعامة.

وقد ذكر الشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله -: عن الشيخ عبدالرحمن بن قاسم في مقدمة (حاشية الروض المربع): «... وكان - رحمه الله - غيوراً على حرمة الله آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر يصدع بالحق، ولا يخاف في الله لومة لائم...»^(١).

وقد كان - رحمه الله - ناصحاً لأئمة المسلمين وعامتهم. أما الأئمة والعلماء فكان متواصياً معهم على الحق والصبر، وكان - رحمه الله - يرسل نصائح للملك سعود ثم الملك فيصل بخطابات يسلمها إليهم بوساطة أحد المقربين منه.

* وذكر العم الشيخ سعد: أن الجد - رحمه الله - كان يتواصل مع الملوك بالنصيحة، وذكر أنه في أواخر سنوات عمره في عام ٩٠ أو ١٣٩١هـ كتب نصيحة للملك فيصل من صفتين، وختمها بقوله: «وأرجو أن تكون معذرة إلى الله - عز وجل -».

(١) حاشية الروض ٤/١.

ثم سأل أبناءه ومن حوله من يسلمها للملك فيصل؟ قال العم سعد، قلت: أنا. قال: «هناك رجل عند الملك فيصل اسمه ابن حسين، اسأل عنه ودعه يدخلك على الملك وسلم الخطاب للملك يداً بيد».

قال: فذهبت وكان الاستقبال بعد المغرب، وعندما وصلت إلى قصر الملك وقفت مع الناس وكان عددهم من ٥٠ - ٧٠ رجلاً قال: فلمحني رجل، وقال: أنت ابن قاسم. قلت: نعم، قال: أنا ابن حسين ماذا لديك؟ قلت: الوالد أرسلني بخطاب إلى الملك فيصل. فأخذ بيدي وأدخلني وسلمت الخطاب للملك فيصل يداً بيد».

* ذكر ابن العم صالح بن سليمان القاسم أنه كان بجوار مزرعة الجد جماعة من البادية أتى أحدهم للجد وقال أن زوجتي لا تصلي، قال: قل لها تصلي ولها ريال كل يوم، فكان يأتي حيناً بعد حين لأخذ الريالات لاعطائها زوجته. فلما بقينا فترة على تلك الحال قالت زوجته: قل للشيخ أصلي بدون ريال.

* وقد ذكر الشيخ د. عبد المحسن العسكر: أن أحد طلبة العلم من المتشددین قال للجد: هل نصلي على شارب الدخان؟ فقال - رحمه الله - : نعم هو مسكين مستحق للدعاء بالرحمة والمغفرة، نعم نصلي عليه.

إلى الشيخ حمد الجاسر

ومن مناصحته أيضاً ومراسلته لطلبة العلم ومن يشفق عليه، الشيخ حمد الجاسر حيث كان يحبه في شبابه وبداية طلبه للعلم الشرعي، وله منزلة في قلبه حين بدأ في طلب العلم؛ لما يتوسم فيه من النجابة والنباهة. وهذا أتمودج من تلك الرسائل وقد كتبت لها مقدمة هذا نصها^(١):

حفلت رسائل العلماء قديماً وحديثاً بعناية خاصة واهتمام بالغ لجزالة ألفاظها وجمال معانيها، وصدق النصيحة بين حروفها.

وقد ترجمت للجد الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله - في مجلد من إصدارات دار القاسم وبين طيات الترجمة رسالة كتبها الجد - رحمه الله - إلى الشيخ حمد الجاسر عندما كان مدرساً في ينبع عام ١٣٩٥هـ وعمره حينذاك (٢٩) عاماً وعمر الجد (٣٨) عاماً. ومع أن الجد يكبره سنّاً وقدراً فقد طبع له قبل هذا التاريخ بأمر من الملك عبد العزيز - رحمه الله - (الدرر السننية في الأجوبة النجدية) والتي تقع في ستة عشر مجلداً وبدأ أيضاً في جمع (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) التي طبعت فيما بعد في (٣٧) مجلداً، رغم منزلته - رحمه الله - إلا أن أرسل للشيخ حمد نصيحة مشفق فيها التلطف والتودد وجميل العبارة، وأمتازت رسائل الجد عموماً بحسن الأدب تلطفاً وبراعة الأسلوب كتابة وبراعة الذمة بيانه.

وكان للجد - رحمه الله - يحب الشيخ حمد الجاسر في شبابه وبداية طلبه للعلم الشرعي وله منزلة في قلبه حين بدأ في الطلب لما

(١) نشرت في جريدة الرياض ١١/٥/١٤٢٩هـ.

توسع فيه من النجابة والنباهة .

وقد ذكر الوالد - رحمه الله - عن الجد قوله: لا أرى أحد يخلف الشيخ محمد بن إبراهيم في مكانه إلا هذا الفتى يعني الشيخ حمد الجاسر . وكان لي لقاء مع الشيخ حمد الجاسر أواخر عام ١٤١٨هـ عندما بدأت في إعداد رسالة الدكتوراه وذكر لي بحضور ثلة من طلبة العلم والأدب قوله: إن جدكم الشيخ عبد الرحمن بن قاسم هو أستاذي في التاريخ واثني عليه كثيراً خاصة في فترة انقطاع الناس عنه . وأنه كان يرسل له من بواكير مزرعته من الرطب والعنب . وقال أنه من أرق من عرفت من العلماء نفساً والطفهم خلقاً واسخاهم يداً .

وقد تحدث الشيخ حمد في ذلك المجلس قرابة الثلاث ساعات، وعندما استأذنته في الانصراف تल्प كثيراً وقال: يا بني إن الإنسان إذا كبر سنة ورق عظمه تموت فيه جميع الشهوات إلا شهوة الحديث فاعذرني يا بني . وأترك للقارئ يجول بين ثنايا عبارات الرسالة المؤرخة في ٢٦/٣/١٣٦٥هـ ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالرحمن بن قاسم

إلى حضرة الأديب الصديق الأخ الشفيق حمد الجاسر

المُدرِّك بلا تعاسر ألهمه الله رشده وتقواه آمين

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته وأزكى وأشرف تحياته على الدوام،
مُحبك يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو على جزيل نعمه .

وكتابكم الكريم وصل وسر الخاطر حيث أنبأ عن صحتك وسلامتك بعد انقطاع وحرقة من المكاتبة والفرقة .

وكنت في هذا العام مشتاقاً للقائك محزوناً بفراقك، وزاد في لوعة ما ذكرته من همك للتخصص مع البعثات لطلب الفنون، ولم أدر ماذا يتعلمون وإلى ما بعده تكونون وإلى أين تذهبون، ومساكنة الكفار ما تخفأك وانظر ما نحن فيه ونحن في بلاد الإسلام بين أهل المعاصي، لا ننكر ولا نفارق فكيف بالكفرة؟ والعاقل لا يأمن الفتنة، واذكر قصة أهل الهجرة وتأثير الخلطة وقد خولك الله من فنون العلم والبلاغة والفصاحة ما لم يدركه أحد، وقد كنت وددت أن يسعد بك قطر من أقطار نجد ولو اطلعوا على ما خولك الله لم يدعوهم مهجوراً ولا على ينبع مقصوراً، ولغالوا فيك ولكن نأيك يواريك وأوطانك أولى بما أودع فيك ونأمل أن يأتينا منك كتاب يجينا وبقدومك يهيننا والمجلد الأول من الرسائل فرقوه في نجد وفي مكة قليل حتى أنا ما تحصلت على نسخة إلا من غير طريقة الشيخ والنبد التي لابن صالح أربع ورق عند السعودي، ولم أنقل منها شيئاً وهي عند رجل في الرياض مستخف بها، ولا بد إن فسح الله في الأجل نقلها ونرسلها لك والمجلد الثاني في متن من الرسائل انتصف.

ومنا السلام على الإخوان من أهل الدين كما من عندنا العيال والإخوان طيبين وينهون السلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٢٦ / ٣ / ١٣٦٥ هـ

والرسالة امتازت - كما يلحظ القارئ الكريم - بأسلوب أدبي رفيع مع إظهار المحبة والتودد والشفقة بين حروفها وأسطرها. وهي رد على رسالة كتبها الشيخ حمد الجاسر إلى الجد - رحمهما الله - حيث المودة قائمة وحبل النصيحة موصول والتواصل مبذول، ويظهر فيها أدب النصيحة الشرعي

المعروف، من إظهار محاسن الشيخ حمد الجاسر وخشية الجد من تأثره بالخلطة حين الابتعاد وثنيه عن ذلك. واستشهد بقصة أهل الهجرة وتأثير الخلطة فيهم، وأحكام السفر والابتعاث مبثوثة في كتب العلماء قديماً وحديثاً ثم ثنى بسعادة نجد وفرحتها أن أقام بها وترك الغربية والابتعاث والتمس له أن يأتي كتاباً من يخبرهم بالقدوم، وذكر أنه «يحيينا» ثم استرسل في الحديث عن بعض المؤلفات وذكر له المجلد الأول من الرسائل وغيره وسعيه إن حصل له شيء أن يرسله إليه ومن لطائف الرسالة أن الاستخفاء بالكتب وعدم إظهارها ممتد عبر العصور القديمة حتى حاضرنا، وللعلماء والآدباء مطارحات شيقة في ذلك وهم بين حامد ودام.

رحم الله الجميع وفي القادم - بإذن الله - اورد رسالة أخرى بعث بها الجد إلى أكثر من شخصية معروفة لعل في ثناياها الفائدة.

※ وهذه الرسالة بعثها الجد - رحمه الله - إلى الشيخ حمد الجاسر عندما كان مدرساً في ينبع عام ١٣٦٥هـ قبل أن يُنقل إلى ضبا قاضياً وكان عمره حينئذ ٢٩ عاماً وعمر الجد ٣٨ عاماً بمعنى أنه أكبر منه سنّاً وقدرّاً؛ ومع ذلك أرسل نصيحة مشفقة فيها التلطف والتودد وجميل العبارة .

الحمد لله

سبحه
 سبحة الحمد يا قاسم الصفة الاديب الصديق الام الشريف حمد الجاسر المدرك بلا حاسر الحمد لله ربه ونحوه
 شامع مقيم ورحمه عالم وملكته واركي الشرف حياته على الودام يمكن عجز اليك الهامه والاهو على جبريل
 وتكبر الكرم وصله سر الاطراف حيا باناف صحتك اسلاطك بعد استغناء اهونه من العائنه والفرقة
 وكت هذه العلم شاق للناكمن محرونا بزوالك وزاد لوهونه ما ذكرته من صاهك السلطه مع العتات لطيفه الضوء ولم ادر
 ماذا ينقلوه والما بعد تكونوه اني حبه وسائنه الكفار ما تخافك وانظر ما غفرتهم وعنه في بلاد الاسلام
 في اهل المعاص لا شكر الا عن حق فكيف بانكفروا المعاصرا لا يا ما الفتنه اذ ذكره اهل الخطبه وناشره الخلفه
 وقد فؤك له سافر من العلم والبلاده الفاضله عالم بمرامه وقد نزلت رددت الا سجدت في فطره سادته محمد
 ولو اطلعت على ما فؤك من المبرم مع مهوره ولامه من مفسدرا والمعالوا فيك وتكنا ليك يواركك وارمك
 اولى بالارء فيك ونامل ان يا شيا نك من بر حيا بهندتكن بيننا والجلد الاور اسباب الكفر فقهوا به
 وفي كتبه قليله انا ما فؤك ما نسفه الا سائر طمره في الحج وانه واليه الامام اربهم ربه عن السعوديه
 ولم نقل ما نبت وهم من جبر الا ارضه مستحق بر اولادنا فصح به الا اهل تشابه ونز من اهلنا والجلد ان نوس ارضنا
 انصف وسالنا مع الاقواء من اهل العرب كما من قدهنا الميمار والفقنا طيبه ويزهوا السلام
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٣٣

وداعه ربه انه من اخير كرمنا غفنا به من ذكر الرسالة الى اوردنا بحجته ونكمنه من طبعه من الجله الاول
 كرامه فؤك

صورة لرسالة إلى الشيخ حمد الجاسر

رسالته إلى الشيخ محمد بن مانع (*)

تُفاخر الأمم والشعوب بعلومها وحضارتها، وقد سبقتها هذه الأمة منذ أن لامس شغاف قلوبها «اقرأ» فجثى الطلبة في حلق العلم، وضربت أكباد الإبل لسماع حديث واحد. وتنوعت المعارف والعلوم الأخرى فكانت لها عناية خاصة، ومما ذكر عن الإمام الشافعي - رحمه الله - قوله: «لا أعلم بعد الحلال والحرام أنبل من الطب». ونهضت الأمة بسطوع هذا الفجر الجديد، وترقّت في علياء المجد، وكثرت حواضر العلم في أنحاء البلاد حتى ضربَ المثل بأمة أمية لا تقرأ ولا تكتب أضحت خلال قرنين من الزمن يندر فيها وجود الأمي!

ومن ساهر القمر وحيداً يحكي دمه لغطاً وشعراً؛ سامر وأنس بالكتاب صاحباً ورفيقاً، ومن أهمه الثأر والقتل؛ رقت طباعه وقربت دمه عندما سمع آيات التنزيل تنهى عن ذلك. بل ومن أنجد محبة الأطلال شرق وغرب نحو معين العلم وأهله.

أمة جمع الله لها بين العلم والإيمان وهو ما تخلو منه صفحات التاريخ وحضارات الأمم السابقة واللاحقة!

مدخل أردت أن أسر القارئ الكريم به، قبل أن اذكر له أنني نشرت قبل فترة في هذه الصفحة رسالة بعث بها الجد الشيخ عبد الرحمن بن قاسم إلى الشيخ حمد الجاسر - رحمهما الله - وكان لها صدى طيب، ونقاش مثمر، وأحسب أن مثل هذه الرسائل تستحق ذلك. ورغبت اليوم في قراءة

(*) نشرت في جريدة الرياض يوم الجمعة الموافق ١٤٢٩/١١/٩هـ.

وعرض رسالة أخرى بعث بها الجدل إلى الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع (١٣٠٠ - ١٣٨٥ هـ) وهو من العلماء الفضلاء وله جهد مشكور وسيرة زكية في التعليم والتدريس . حتى توج ذلك في عام ١٣٦٥ هـ بأن صدر مرسوم ملكي بتعيينه مديراً عاماً للمعارف واستمر كذلك حتى شكلت وزارة المعارف وأسندت وزارتها في حينه إلى سمو الأمير فهد بن عبد العزيز - رحمه الله - .

وبدا لي بين يدي هذه الرسالة أن أهل العلم والحكم، بل وعامة الناس ممن لهم سعة في العقل والإدراك يطلبون النصيحة ابتداءً . ومن العادات الطيبة والموروثات المباركة : المناصحة والتذكير رافة وشفقة وإعانة وتسديداً؛ خاصة لمن حُملَ أمراً من أمور المسلمين رغبة في التسديد والتوفيق، وسد الثلم، ومعالجة القصور، فالمرء بإخوانه طالباً في ذلك براءة الذمة . والناس في باب النصيحة على أضرب مختلفة وعلى طرفي نقيض؛ إما عزوف عنها أو إنزالها منزلة الفضيحة، وقلَّ منهم من سلك المنهج الشرعي في ذلك .

والرسالة تدرت بالمنهج والتزمت به، وقد كتبت بعد تولي الشيخ محمد بن مانع إدارة المعارف بأربع سنوات وهي فترة احتاجت فيها البلاد مع التوسع في التعليم إلى معلمين من بلاد أخرى؛ فكأن الجدل - رحمه الله - استشعر الفوارق بين أهل هذه البلاد وغيرها وعظم مسؤولية المعلم وأنه المربي لجيل ناشئ يخشى عليه من الوافد الجديد ديناً وعقيدة وتقليداً .

وهو - رحمه الله - ينزع في هذا إلى أهمية التربية بالقدوة، وأن القدوة هي الموجه الأول في العقائد والأخلاق والآداب، ولهذا ذكر الله - عز وجل - عن نبينا محمد أنه قدوة لعباده ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿ [الاحزاب: ٢١] بل ونحن في كل ركعة ندعو أن نلحق بالركب ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ﴿

وقد ظهر جلياً في ثنايا الرسالة حرصه على هذه البلاد، وعلى ركيزة من أهم ركائزها ألا وهي تعليم الناشئة. خاصة أنه - رحمه الله - إبان جمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية طاف البلاد العربية كالشام ومصر والعراق وغيرها، وبلغ به السفر حتى حط في فرنسا للبحث عن المخطوطات في وقت لم يتعد عامة الناس قراهم؛ ولهذا فله اطلاع على أحوال الشعوب وما أحدثه التعليم سلباً وإيجاباً.

ومما ورد في الرسالة: التنبيه على كثرة مزاحمة العلوم لبعضها وعدم التخصص فتتج عن ذلك ضعف التعليم بشكل عام وهو ما نراه ماثلاً للعيان.

ونص الرسالة وهي من محفوظات مكتبة الملك فهد، كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن مانع المحترم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ونحمد إليك الله على جزيل نعمه

وبعد، قد استرعاك الله على إحياء هذه الأمة المحمدية، فعليك بالاعتناء

بالأساتذة الأكفاء وتفقد حالهم وحال التلاميذ فإن ذلك من أعظم أسباب

التوفيق، فقد مضت سنون ولم ينتج عن التلاميذ - مع كثرتهم - من برع

في العلم النافع؛ وذلك لعدم كفاءة الأساتذة ومزاحمة الفنون التي هي تعب وعنى، وعند النقد تتلاشى وتضمحل فيخسر التلميذ شبابه والعلم النافع، والرجاء من حضرة الأستاذ الجد في إعزاز ما جاء به سيد المرسلين وإعلائه ورفع مقامه وتقديمه وتقديم من قام به ورفض ما سواه، ورفض من أصيب بالانصراف عنه أو الصرف عنه، لاسيما من ابتلي بالأخلاق التي هي غير مرضية؛ كحلق اللحي، وشرب الدخان، والتهاون بالجماعات، وغير ذلك؛ فإن التلميذ ينصبغ بأخلاق أستاذه فتنتبع فيه تلك الروح، بل لا يجوز أخذ العلم عن تلك حاله وبالأخص من تخصص في نجد بالعلم النافع، بل لا يجوز أن توجه فطرته إلى ما قد رغب فيه من لا بصيرة له، ويصد عن العلم النافع؛ علم الكتاب والسنة؛ هدي محمد ﷺ الذي هو الهدى والنور وفيه الخير بحذافيره، من أخذ به أخذ بحظ وافر ومن أعرض عنه خسر دنياه وآخرته، وهو يسير على طالبه، ومع ضعف الاعتناء به، وقلة من يهتم به، وكثرة العوامل الصارفة عنه؛ أصيب الناس بوضع فنون تزاحمه، وأساتذة يحثون الناس عليها ويوهنون أمره، فنسأل الله بأسمائه الحسنی أن يعين الأستاذ ومن له مقال في المقام على إعزاز ما جاء به سيد الأنام وتقديمه على ما سواه وجعله نصب أعينهم ودفع ما يضعفه؛ فلقد أشرعت الدول في أصله مجادفها، وأنشبت العلوم العصرية فيه أظفارها، وغلغلت أساتذتهم فيه أنيابها؛ ليقلعوه، وأحاطت به منه كل جانب الأسقام، وبلغت منه الروح الخلقوم، وطوى غالب العرب في كثير من النواحي بساطه، وأقيمت القشور من الفنون والمجلات وغيرها مقامه وإن حضروا فللتبجح والتبرك، ولئن لم تُطيب أرضه، وينق بذره، ويُخلص من الدغل ويبالغ في سقيه؛ ليضعفن ويتلاشى من هذا الوطن

فتداركوه قبل أن يجتث باب أصله كما اجتث من كثير من الأقطار وعسى أن لا تكون المصيبة به في عهدكم؛ فاهتموا به واعتدوا نياتكم في تداركه وتوطيده من صالح الأعمال، وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، ومنا السلام على الأبناء والمشائخ والإخوان ومن عندنا المشائخ والإخوان ينهون جزيل السلام وأنتم في أمان لله وحفظه والسلام.

٦٩/٥/١٠.

محبكم/ عبد الرحمن بن قاسم

والرسالة وصية جامعة تبين أهمية المعلم وأنه المربي والموجه للطلاب ومنه يأخذون ومن طريقه يستنون وبسيرته يقتدون. ذكرت كتب السير والتراجم أن الإمام مالك قال: قلت لأبي أذهب فأكتب العلم؟ فقالت: تعال فالبس ثياب العلم فألبستني مسمرة، ووضعت الطويلة على رأسي وعممتني فوقها، ثم قالت: اذهب فإكتب الآن، وكانت تقول: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أديه قبل علمه.

ومن تأمل واستقرأ في كتب السير يرى مكانة المعلم وانطباع أخلاقه وعاداته في نفس الطالب ناهيك عن علمه وعقيدته. وللقارئ أن يجول في سطور الرسالة ليقراً ما بينهما، ومن تأمل فوارق الزمن وما أحدثته يلحظ أموراً لا تخفى.

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد باقر

الحمد لله

والتواكل اليك يا علي بن ابي طالب

سلامك ارجو اسرورتي

وبعد قد استرناك امه على احياء هذه الامم المحمديّة فعلينا بلاغتاً و بالاسان والافان وشفق حالهم وحالاتهم فانه ذكرنا علم
 اسباب التوفيق فقد سمعت سنوي و دلمينج من التلاذيم مع كثرة ثم سماج في العلم النافع وذكر عدم كماله والاسانق و مزاجه
 الفقهية التي هي تعب وعنى ومنه الشفق شلانس وشفق فيفسر التسمية بشاره العلم النافع والرجماء حصره الاستاذ الجيد في الغزاة
 ما جاد به سيد السليبي والعلامة ارفع مقامه وتقديره وندم ما قام به ورفضه ما سواه ورفضه ما اصابه بالاشفاق عن
 اواله عن لسانه لاسيما ما يتكبر بالانظاف التي هي غير مرضية كحلق العجى وسر به الدخاخ والنهوه بالجماعات وغير ذلك فلهذا التولية
 يصح ما خلافاً استاذة فتشطب فيه نكل الروا بل لا يجوز اخذ العلم من نقل حاله وبلاخصه من تخصصه في تعلم النافع
 بل لا يجوز ان يترجمه في السادة ورفضه في ما لا يصير له وسيد علم النافع على انكار السنه هو محمد صلى الله عليه
 واله وهو الهمة والنور وفي النجوة محمد فيمير ما اخذ به اخذ محظواً وافتر وما ارضت عن حسن دنياه واخره وهو يسير على حاله
 ومع ضعف الاعتناء به وتلاسه ما يحتم به والى العوازل العارضة عن اصابته انما هو منتهى فنوننا من اعمه واسانق له مجزاً
 انما به جلا ويوصف امره فنسأل الله باسماز الحسن ان يعيد الاستاذ وسه لم مقال في القيام على افران ما جاد به سيد الانام
 وشفق على ما سواه وحمل نصيب منهم و دفع ما يصفق فلفق اشرفت العوز في اهلهم بما رزقوا واشتت العلوم العصرية
 في انظارها وغلغلنا اسانق ثم قيس انما كالمفهوم واحاطت به من طر جانب الاستقام وبلغت من الروا الخلفنا
 وطوبى غاب العرب في كثير من النواحي بساطه واقربت القشور من القصور والجملة والغير حفاة واه احضر فللمن
 والتبريت والام نظير ارضه وينو بيزر ويخلص من الدغل ويالغ في سقبة ليضعف ويتناسى ما هذه الروط قد ارجح
 قولاً بجدت ابا اهلهم كما اجنت من كثير من الاقطار وعسراء لانكرو المصيبة به في علمهم فاهتموا به واشتدوا فبانك
 في تداركهم وتوطيد ما صالح الاعمال ونسأله ان يكرم ما رزقنا من الله وسأله ان يكرم ما رزقنا من الله وسأله ان يكرم ما رزقنا من الله
 والاخوان يهون جبريل السلام وانتم ذمامه وعضفوا العلم



محمد
 عبد الله بن محمد

رسالة إلى الشيخ عبد الله بن عقيل

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن قاسم إلى الأخ المكرم: عبد الله بن عبد العزيز آل عقيل - حفظه الله - .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأشرف تحياته على الدوام. وكتابك الكريم وصل وسرَّ الخاطر حيث أفاد عن صحتك وتذكر أنك أرسلت لنا كتاباً قبله، ولم يصل.

ومن جهة الكتب التي طبعت تمت وأتاكم ذكر قيمتها في جريدة أم القرى أيام العيد. والكتب التي عند الشيوخ ما لنا بها اتصال، وجاهم جملة من كتاب الزهد وإلى عشرة من تأريخ ابن كثير، ومن جهة رسائل المشائخ يخلص المجلد الثالث هالايام.

ومن جهة رسائل شيخ الإسلام: فاجتمع منها نحو اثنا عشر مجلداً، وباقي أشياء لم تصل إلينا، وحننا في طلبها، وحاشية الزاد تحتاج وقت طويل.

ومن جهة تأريخ ابن صالح: فأنا أشرفت على أربع تأريخ؛ واحد في الأنساب بكافة، مختص من ابن مشرف، وفيه أشياء زائدة كله، نحو أربعة كراريس، وآخر في جبال نجد نقله من أبي عبيد والثالث في سيرة الإمام، والثالث شيء يسير نسبه. وأما الأشياء المتفرقة فيذكر له أوراق، وشفت له أوراق في أفراد لم أنقلها، وإذا ظفرت بغير ما أذكر لك فلا تذخر، ويقال لابن بسام تأريخ، إن وقفت عليه لا تذخر. وهالايام يطبع تأريخ لابن لعبون فيه أشياء يسيرة.

ومنا السلام على المشايخ والوالد والعيال والإخوان ومن عندنا العيال

يسلمون. ١٣٥٨م

رسالة عن بعض مؤلفاته

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن قاسم إلى حضرة الفاضل الشيخ: عبد الله بن عبد العزيز العقيل، متع الله به، آمين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأشرف تحياته.

كتابك الكريم وصل، وسر الخاطر عن صحتك وسلامتك الحمد لله رب العالمين، وأوصيك بما أوصيتني به من تقوى الله، نسأل الله - تعالى - أن يجعلنا وإياك ممن خافه واتقاه آمين.

وما ذكرت من جهة رسائل شيخ الإسلام: فجمعنا منها جملة صالحة نحواً من (١٦) جزء، ورتبنا العقائد بالتناسب، ثم الإيمان، ثم السلوك ثم الرد على المبتدعة ثم التفسير؛ وقواعده أول، ثم نفسه، ثم تفسير الأحاديث المفردة، ثم الفقه على ترتيب الفقهاء، ولا بدَّ إذا انفكَّت الحرب^(١) - إن شاء الله - نزور الشام ومصر، تكمل الأشياء الموجودة هناك ولست عندنا، لأنهم يذكرون كثيراً منه ما جاءنا فهرسه.

وحاشية شرح الزاد^(٢): مشينا فيها على السَّعة، إذا حصلنا وقت راجعنا بعض الشيء.

والتأريخ: متأخر في مكة، لا يمكن إلا في نجد، والسؤال عن ذلك ومراجعة أهل المعرفة في ذلك.

(١) أي الحرب العالمية الثانية.

(٢) وهي: «حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع».

وسائر الكتب التي تطبع: ما لنا اطلاع عليها، لا نشترى شيئاً في هذه المدة، والمجلد الرابع بقي نحو ثلثه، وهالايا م ما عندهم ورق، ونبغي نتوجه لنجد إن شاء الله. والبداية والنهاية كمل منها (١٤)، والباقي وهو النهاية مَشِيهم فيه على الهوين لعدم الورق. ومطبوعات الشيوخ لا طلبتُ منهم ولا أعلم عنها.

وإن اطلعتهم على تأريخ حديث فيه ذكر أنساب أهل اليمن أو غيرهم تطرحون عليه البال، إما شره، أو نقل المهم منه، أو ذكره لنا في غير هذا الوقت لنطلع عليه أو نرسل له من يستسخه لنا.

والسيول هالزمان في نجد كثيرة، وبالأخص ما يقرب من الرياض على نحو ست مراحل، والقصيم وما وراءه سَيْلُهُ هَيْن، ووادي الدواسر كذلك، والحجاز خبره عندك، ولا يمكن تجد عني خبر إن أردت أن ترسل لي جواباً إلا بعد شهر.

عزيمتي أنني أتوجه أطلب العلم في الرياض إذا صلحت الفلاحة، ولا أظن أتمكن من الجلوس أكثر من شهرين للاشتغال بالفلاحة.

ومنا السَّلام على من لديك من الإخوان، ومن عندنا الشيخ ابن حسن وابن مانع، والشيخ محمد بن إبراهيم توجَّه أمس للرياض، وكافة الإخوان، الجميع ينهون جزيل السلام، والباري يحفظك، والسلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

المخلص

حضرة الشيخ المحترم محمد السيد عفتيل رزق الله الصبر على الكسر
سلام عليك ورحمة الله وبركاته
بعد الرجاء خلوص ما قد مره لك والاول من عند الله
هذه ثلاث رسائل لم ارجع ان اجزم فيها حتى
رى رأيك انت وقضيتك الشيخ ولا حسب

ان المسألة غير بظارة ولو غير بظارة لكن الخطا ب
عقده ان هذا امر نفع عام ولا يجعلني استغنى بغيرك
من صدقك وسماحة جنابك واحسان فتاوى
واسر يوفقنا وان كان لما في الخبر ويعني بك
عن الغير ويغنيك الصبر ويجعل منك السيد
في نعيم هذا الخير والسلام عليك من طرفي

عبد الرحمن

مشاورته للمشايع

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الشيخ المحترم: عبد الله بن عقيل، رزقه الله الصبر على الكثير والقليل.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: الرجاء خلوص ما قدمته لك، وأن لا يموت في الدرج، وهذه ثلاث رسائل لم أرغب أن أجزم فيها حتى أرى رأيكما، أنت وفضيلة الشيخ، ولا تحسب أن المسألة خربطة، ولو خربطت لك الخطاب. اعتقد أن هذا أمر نفعه عام، ولا تجعلني أستغني بغيرك، لحسن صوابك، وسماحة جنابك، واحتساب فعالك، والله يوفقنا وإياك لما فيه الخير، ويغنيننا بك عن الغير، ويكفيك الضير، ويجعل منك السير، في تنجيز هذا الخير. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محجك

عبد الرحمن بن قاسم

مهموم الكتب والمؤلفات

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة، الشيخ: عبد الله بن عقيل، الموقر.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
وبعد: لجزمي باهتمامك وكرم نفسك، فأرجو أن تقرأ هذا الكتاب على
الشيخ حالا، وتخبرني بالواقع، شكر الله سعيك.

محجك

عبد الرحمن بن قاسم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المملكة العربية السعودية

مكتبة الرامض السعوية

الرقم

التاريخ

الموضوع

حضرة صاحبنا الفاضل الشيخ عبد الله بن عقيل
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: الجزم باهتمامك وكرم
نا جوان تقراء هذا الكتاب عن الشيخ هالا : والله خير تحبني
بالواقع سأل الله معيل
محبك
عبد الرحمن بن عامر

«رسالة موجهة للشيخ عبد الله بن عقيل».

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة، الشيخ: عبد الله بن عقيل .
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد: حفظك الله، تسأل عن حاشية منصور وحاشية البهوتي، وليستا
عندنا، وهما عند الشيخ محمد - رحمه الله -^(١)، وعند الشيخ العنقري
- رحمه الله -، وبسبب هذا الطلب فأرجو شفاعتك عن الوالد الشيخ،
- حفظه الله -، بالسعي في الحصول على مصورة كبيرة للمكتبة، تؤخذ
الكتب القيمة من نجد بها بدون ثمن، ودمتم محروسين، والسلام.

محبيك

عبد الرحمن بن قاسم (*)

(١) أي: الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ - رحمه الله - .
(*) الرسائل الخاصة بالشيخ ابن عقيل استقينها من كتاب: (الشيخ العلامة عبد الله بن عبد
العزیز بن عقيل، سيرته الذاتية وأهم مراسلاته).

الرقم ...

التاريخ

السنة

الموضوع

حفظ

حفظ صاحب الفقيه الشيخ عبد الله بن عقيل
 سلام عليك ورحمة الله وبركاته
 بعد حفظك الله تعالى عن حاله
 تصور حاشية اليهودي وبيت
 دنيا وهما عند الشيخ محمد رحمه الله وعن
 من كرامته وبسبب هذا الطلب
 رجو شفا عليك عند العلاء الشيخ حفظ
 في الحضور على صورته كبره لانه
 وهذا الذي لقيه مما تجلأ بديوه من
 دمه حرمه سبوا لسلامة

رسالة إلى الشيخ محمد بن إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة الوالد المحترم: محمد بن إبراهيم، فسح الله في
أجله. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: حفظك الله، كلمني الشيخ ابن عقيل يقول: وَيَنْ جبت السؤال
عنه، وأنا حين أرسل الكتاب إلى فضيلتكم أرسله من طريقه باليد به
يلوى، لأن من غير طريقه أخشى عليه تأكله الأرضة في الدرج، والمسألة
ابتلينا بها.

وراجعت الاقتضاء في التشبه بالمشركين ومسائل لشيخ الإسلام، ويصل
إليك ثلاث الطويلة فيها تشبههن بالمردان وضخامة القدم، وزاد أكثرهن
بقبقاب له عروق طويلة، يزيد القدم ضخامة، ويبرز العجيزة، واثنان
متقاربتان في تقاطيع البدن، والرابعة كنت نقلت منها ما على الحديث،
والخامسة إذا لم ينهانها يعني الأب والزوج يعزران، وأيضاً ظننت أن
كثرة اللفائف على العجيز فيه شيء من الزور والسرف، فلأعالي ذراع
وللأسافل أكثر من عشرة، ومرادي زيادة فائدة وجواب يسكت الطائشات
وتنتفع الرعية.

وكتب لكم من جهة فتح معهد للتصوير وقيل وتفتح للسینما، ولعلك
وقفت على كلام لشيخ الإسلام أن العلوم المفضلة - فكيف المحرمة -
إذا زاحمت العلم كُرِهت، وإن أضعفته حُرِّمت، مع نقاط أخرى ربما لا
يطلعك عليها أحد، والجرائد لا تنشر في الغالب إنكار منكر.

وأكثرت على فضيلتك، وسيقول الشيخ ابن عقيل: «الحرفي الفلاح لا يتأذب». وما ذكر محزن ويطغي القلم، والشيخ ابن عقيل أنا مصنع لنقده، مستحق لفنده، مستمر لغرده؛ لطيب ورده. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ابنك

عبد الرحمن بن قاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة، الوالد الشيخ: محمد بن إبراهيم، فسح الله في أجله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد: حفظك الله، أتيت في هذا الصباح للسلام على فضيلتكم، ولم أحظ بذلك، أخبرني الابن محمد أنك متشره عليّ من جهة الطبع، وأنا - والله - أود أن لو قد فرغ الكتاب من الطبع، ولكن يا والدي كنتُ اطلعتُ على مسائل للشيخ بخطه وبغيره، وكتبنا البعض هناك، ثم اشترت بألفي ليرة أربع مكائن للتصوير، وأخذناها بالصغيرة في أفلام، والكبيرة لم يأت فيها الابن محمد إلا بالفرازة؛ خوفاً من حبسه في طريف لأجلها، والرابعة حولت ستمائة ليرة لحسن سمسية، واشترى بها، وأخذ صفة التصوير، وأرسله إلينا، ثم طلبت إرسالها، ولم يحصل، وقيمتها ليسلمها للمطبعة هناك، ولم يحصل، وهذا مع ما أنفقته في الأفلام، وأيضاً تعهد لي يوسف ياسين بحصول هذه المسائل لو بجماعة، ولم آل جهداً في التحريض على تنجيز العمل، وبعض مخطوطات الشيخ عند حسن سمسية في الشام ليكتبها، ولم يأت منها صحيفة واحدة، ولا يعبأ بتحريضنا، وإنما يعبأ بتحريضكم أو تحريض يوسف ياسين مع ملاحظة السفارة هناك، وما هنا لم يكتب إلا بعضه، والمسائل التي فهرست من الشام ومصر لم يكتب فيها شيء إلى الآن وقد قيل لأهل المطبعة عند قدوم الابن محمد: الكتاب جاهز، ومرت هذه الشهور والحال كما وصفت مع الحادي المحسوس، فكيف إذا اشتغل بالطبع، فقد تكون في خبر كان،

وتسقط تلك الثمرات الثمينة، والله إنه قد يذهب عني بذلك حلو المنام؛
لإمكان الحصول عليها بالاهتمام، وقد أوصيتُ إن قَدَّرَ اللهُ على أنك تضع
تلك المسائل في محالها، ولا يغير من المرتب شيء إلا بأمرك. ويا والدي:
أرجو أن لا تستطيل مني هذا الكلام، فقد أقامك الله لنفع المسلمين، وهذا
من أعظمها، ونظرك العالي، والسلام.

عبد الرحمن بن قاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الوالد، الشيخ المحترم: محمد بن إبراهيم، فسح الله في أجله .
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد: وصل كتابكم الكريم، والعمل على ما أمرتم به - إنشاء
الله -، وهذه برقية ابن جاسر .

وأنا أيضا ما ظننت أنها تأخر المسائل إلى هذا الوقت، كمحاضرتي مع
أهل الشام في التوحيد، ورسالة في الحلول، وسؤاله عن افتراق هذه الأمة،
وغير ذلك مما هو في الفهرس مع المجموع، وإنما وضحت لك عن الشرهة
عليّ، وحزني على فوات المسائل عن محلها لسهولة الحصول عليها، وأنه
قد ساءني التأخر، وأرجوكم الحرص والاهتمام على تحصيلها، وأنا إنما
اعتمدت على الشروط التي بيني وبين يوسف^(١)، والحمد لله على ما قدر،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ابنك

عبد الرحمن بن قاسم

[كتب الشيخ ابن عقيل: تاريخ وصوله: ١٦ / ١ / ١٣٨١ هـ].

(١) أي: الوزير يوسف ياسين .

مكتبة الرياض السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم
التاريخ

الموضوع

حضرة والده الشيخ المحترم محمد بن ابراهيم فسيح الله في اجلكم
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته
بعد وصولتنا بكم الكريم والعلل على ما ارسلتم به ان

هذه برقية ابنا حسرة اننا نأخر المسائل الى هذا الوقت
واننا ايضا ما خطت اننا نأخر المسائل الى هذا الوقت
كما نضرة مع اهله السالم في التوحيد ورسالة الخلق
سواء العدا فتراق هذه الامة وغير ذلك مما هو في النهي
مع المجموع وانما وضعت كد عبد الله هبة على وجز في علمي عولت
اننا نعلم بحالا لسولة الحصول على وانا قد سألني اننا نأخر
في ارجوكم الرخص والاهتمام على تحصيلها وانا انما اعتدت على
شروط الويليني وبيد يوسف والحمد لله على ما قدر الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
تاريخ وصوله ١٢٨١ / ١ / ٦
عبد الله بن محمد

عبادته:

كان - رحمه الله - عابداً ورعاً تقياً، يختم القرآن في كل أسبوع، وله في رمضان ختمة في كل يوم ونصف؛ أي يختم في رمضان عشرين ختمة.

* وذكر عبدالرحمن بن عبدالعزيز القاسم: «أنه كان يمشي معه من بلدة البير إلى الرياض سيراً على الأقدام، وكان - رحمه الله - سريع المشي يتقدمه في السير، لا يدركه إلا إذا سجد»؛ ومعنى ذلك أنه يقرأ القرآن الكريم وهو يمشي وكلما أدركته سجدة سجد وعندها يلحق به.

* وذكر العم الشيخ سعد - حفظه الله - أنهم كانوا يسيرون معه في نواحي المزرعة فإذا به يهوي ساجداً! ومعنى ذلك أنه كان يقرأ القرآن وهو يسير حتى في مزرعته.

* وفي مرض موته في المستشفى كان يقرأ القرآن كاملاً من صدره، وإذا مر بآية أو ما إيماءً - حيث كان لا يستطيع السجود -.

* وقد ذكرت (جدتي) - رحمها الله - أنه سأل مرة: أين المصحف؟ كي يقرأ فيه، ولم يكن المصحف قريباً فقالت متساءلة: ألسنت بحافظ للقرآن؟ قال: - رحمه الله -: «بلى ولكن اشتقت لحروفه».

* وكان - رحمه الله - يذهب إلى المسجد قبل ساعة من غروب الشمس يوم الجمعة رغبة في إدراك ساعة الإجابة.

* وله نصيب من قيام الليل منذ حداثة سنة، قالت جدتي عنه: كنت أصلي «أي في الليل» ويصلي لكنه كان كثير البكاء.

* وكان له - رحمه الله - دعوات مستجابة، منها ما ذكره الوالد عندما سأله يوماً عن فضل الدعاء في الملتزم. قال - رحمه الله -: «حدثني والدي أن الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - حدثه أنه دعا في الملتزم

بدعوة فاستجيب له، (وذكرها وهي خاصة بأمر عظيم من أمور المسلمين)، ثم قال أن والدي قال [أي الشيخ عبدالرحمن]: دعوت في الملتزم بدعوة فاستجيب لي، وقال والدي - رحمه الله -: وأنا دعوت في الملتزم بدعوة فاستجيب لي».

* ذكر الدكتور حمد بن إبراهيم الحيدري - الأستاذ في كلية الشريعة رواية عن عبد العزيز بن حمدان بن علي الحمدان إمام مسجد الضليعة في بلدة البير قوله: أنه في سنة من السنوات زرع أبناء عمي محمد بن علي زرعوا في شرقي البلد، فلما جاء وقت شدة حاجة الزرع إلى الماء نضبت الآبار التي يسقون منها، فأتوا إلى جارهم الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله - وكان عنده بئر يقال لها «البابية» غير التي يسقى بها مزرعته. وطلبوا منه أن يأذن لهم بالسقيا منها؛ فقال: إن فيها دفين - أي اندفنت مع طول الزمن - وتحتاج إلى إخراج لهذه الأتربة، فابتدؤا بالحفر من بعد صلاة الفجر إلى آخر النهار يخرجون ما فيها من الأتربة حتى بلغوا قعرها. ولما صلوا العشاء بدأوا يسقون بالسواني، فسقوا زرعهم مرة واحدة وكنت - أي عبد العزيز بن حمدان - أسوق الأبل التي يتزح بها الماء «صدر» فلما جاء آخر الليل وإذا بالبئر نضبت من الماء فجاء الشيخ عبد الرحمن وصلى ماكتب له ثم سأل أحد أبناء عمي فأخبروه أنها نضبت، فتأثر تأثراً بالغاً واسترجع وتوجه إلى القبلة وصلى ركعتين ورفع يديه واستسقى. فلم يأت الضحى حتى استجابة الله دعائه وأغائنا فامتألت البلد بالسيول وارتوت واكتفت.

* وذكرت جدتنا زوجته نورة الزومان: أنه نقض الماء في نخلنا وقلت الأمطار، فجاء - رحمه الله - في يوم وهو حزين لما يرى من انقطاع الماء

وقلته، وبدأ يصلي في الليل ويستغيث ويبكي بحرقه ويدعوا بالحاح، حتى خشيته عليه أن يسقط من التعب وطول البكاء، فما كان من الغد إلا وامتألت السماء بالغيوم ومطرنا بفضل الله ورحمته.

✽ ومن عبادته - رحمه الله - حسن توكله على ربه والرضا بقضائه، ذكر ابن العم عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن القاسم^(١) : أنه في سنة من السنوات ونحن مع الجد جلوس إذا اظلمت الدنيا وتتابع السحاب ونزل بردٌ شديد حتى ما تكاد تسمع صوت صاحبك من شدته وتتابعه وكبر حجمه . وأتسى أحد الأعمام، وقال للجد: تلفت ثمار العنب والنخل - وكانت في موسم حصاده - وذلك من شدة البرد.

فلما سمع ذلك - رحمه الله - ما زاد على أنه قال: يخلف الله . وكنت أرى شفتاه تتحركان ولم أسمع سوى يخلف الله . قال: فلما أتت السنة التي تليها حتى كان انتاج ثمار المزرعة ضعف السنوات الماضية واخلف الله عليه ما تلف .

(١) مدرس للعلوم الشرعية حتى تقاعد، له: اهتمام بالأنساب، وهو الذي اعتنى بنشر شجرة آل قاسم، ولا زال. حفظه الله ووفقه.

سخاؤه وكرمه:

✽ كان منفقاً ذات اليمين والشمال على الفقراء والمحتاجين، وعندما ضرب البرد مزرعة جاره (وهو الذي حدثني بالقصة) وكان له جمع من الأبناء الصغار، ذهب له - رحمه الله - ومعه ما يقارب (٨٠٠٠) ريال وقال: «هذه لك»، قال: ففرحت بها فرحاً شديداً وسد الله بها فاقتي وحاجاتي، وكان ثمن محصولي لا يتجاوز هذا المبلغ، وكان في حينه كبيراً.

✽ وكان له - رحمه الله - عناية بأقاربه ومعارفه، يكرمهم ويدعوهم إلى مزرعته ويلح عليهم في ذلك، ويرسل سيارته إلى الرياض لإحضار من يرغب المجيء إليه.

وقد ذكر الدكتور خالد القاسم قصة رواها عن والده حيث قال: «هذه قصة ذكرها لي والدي عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد القاسم - رحمه الله - عند لقائه الشيخ عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله - فيقول: خرجت أنا ووالدي عبدالعزيز - رحمه الله - من بلدة الحريق مشياً على الأقدام قاصدين بلدة القصب ثم الرياض وكان عمري وقتها لم يتجاوز العاشرة، فوصلنا إلى القصب، فلما خرجنا منها قاصدين الرياض قال لي والدي، سنزور ابن عم لنا في بلدة البير - يقصد الشيخ عبدالرحمن - وبعد عشاء ومشقة السير وصلنا إلى البير فإذا بالشيخ عبدالرحمن بن قاسم يستقبلنا استقبال الكريم الفرح بضيوفه، فذبح لنا وأطعمنا وأكرمنا غاية الإكرام، مع أن ذلك الزمان كان زمن فقر وحاجة وقلة زاد.

وعندما عزم والدي على الانطلاق إلى الرياض قال له الشيخ عبدالرحمن: إلى أين يا ابن العم لا تذهب إلا بعد أن تستكمل ثلاثة أيام، فأصرَّ علينا

بالجلوس عنده، وكنت أريد الجلوس لما رأيت من عظيم إكرامه لنا، فجلسنا عنده حتى انقضت الثلاث، وكان مع ذلك متواضعاً فقد كان مهتماً بي على صغر سني مقدراً لي، ثم انطلقنا بعد ذلك إلى الرياض .
فكان يقول: «أكرمنا في هذه الأيام الثلاثة إكراماً بالغاً حتى إنني تمنيت أن نقيم عنده ولا نذهب إلى الرياض، فرحمنا الله وإياه وجمعنا به في مستقر رحمته» .

✽ وأذكر أن بعض من يتظاهرون بالحاجة يأتون إليه في مزرعته ويوقفون سياراتهم في الوادي حتى لا يراها .
فلما ذكر له أحد أحفاده أن هؤلاء لديهم سيارات ولكنهم يوقفونها بعيداً حتى لا تراها . قال: سوف أعطيهم ما أتوا .
قال في (روضة الناظرين): «كان يحنو على الفقراء ويواسيهم ويقول: «مرحباً بمن يحمل زادنا إلى الأخرة» .

والدته وزوجته - رحمهما الله :-

للأمهات الصالحات دور كبير في دفع أبنائهم لطلب العلم والسعي لتحصيله وفي صدر الإسلام نماذج حية لذلك .

حدث الإمام الشافعي عن نفسه فقال: « . . . كنت يتيماً في حجر أمي ، فدفعتني إلى الكتاب ، ولم يكن عندها ما تعطيه للمعلم ، فكان المعلم يرضى مني أن أخلفه إذا قام ، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد ، فكنت أجالس العلماء ، وكنت أسمع المسألة أو الحديث فأحفظها ، ولم يكن عند أمي مال تعطينه لأشتري به ورقاً وقراطيس أكتب فيها ، فكنت أتبع العظام والخزف وأكتاف الجمال وسعف النخل ، فأكتب فيها الحديث ، فإذا امتلأ طرحته في جرة كانت لنا في البيت ، ثم إن الجرار التي في البيت قد كثرت ، فقالت لي أمي : إن هذه الجرار قد ضيقت علينا البيت ، فأقبلت على هذه الجرار أحفظ بما فيها ثم ألقها . . . »^(١) .

* وكان سبب تبكير سفيان لطلب العلم والاشتغال به تشجيع أمه له ، وحظها له عليه ، وتوجيهها له أن يستفيد علماً وأدباً .

فقد قالت لسفيان وهي تدفع به إلى حلقات العلم ومجالسة العلماء : « يا بني خذ عشرة دراهم ، وتعلم عشرة أحاديث ، فإذا وجدتها تغير في جلستك ومشيتك وكلامك مع الناس فأقبل عليه ، وأنا أعينك بمغزلي هذا وإلا فاتركه ، فإني أخشى أن يكون وبالاً عليك يوم القيامة »^(٢) .

* والجد - رحمه الله - اعتنت به والدته واسمها (هايا بنت عباد بن حمد العباد) ، وأمها عمته ، وكانت ذات يسار ولها أملاك في (البيير وحرميلاء

(١) جامع بيان فضل العلم وأهله ٩٨/١ .

(٢) صفة الصفوة ١١٩/٣ .

والصفرة)، ولما توفي أخوه عبدالله أراد والده محمد أن يبقى معه في المزرعة لكنها - رحمها الله - دفعته إلى طلب العلم ودفعت له من مالها .
 * وكان - رحمه الله - يسافر كثيراً، ويمكث عنهم بعيداً، وكعادة الأمهات تحب بقاء ابنتها عندها ولو إلى حين، لكنه - رحمه الله - كان مشغولاً بطلب العلم وتلقيه ثم بنشر المؤلفات والكتب، ولما أراد أن يسافر مرة عازم عليه أن يبقى فسكت وكانت تدفعه بيدها حتى لا يُقبل رأسها، فلما كبرت للصلاة، أتى من خلفها وقبّل رأسها، وسافر، وكانت وفاتها - رحمها الله - في سفره ذلك .

* وكما أن للأمهات دور فإن للزوجات الصالحات أثراً واضحاً وجلياً في حياة الرجال . أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - تواسي نبي الأمة وترفع من همته وتشد أزره؛ لما نزلت الآيات الأولى على النبي ﷺ كان لزوجته خديجة موقف عظيم فقد وآسته ولاطفته بكلمات عظيمة حتى هدأ روعه وسكن خوفه .

* تزوج - رحمه الله - هيا بنت محمد بن عبد الله البراك، وماتت وهي على ذمته ثم تزوج بالجددة - رحمها الله - وهي (نورة بنت محمد بن عبد العزيزي الزومان)^(١) وعمها الأمير المشهور محمد بن زومان، وكانت ذات عقل ووراعة وعبادة، وعفاف وقراءة للقرآن؛ وما رأيت إلا والمصحف في يدها أو مسبحة الله أو مصلية أو أمرة بالمعروف .

(١) وعائلة الزومان ممن ولوا إمارة البير، ويعد الأمير محمد بن عبدالله بن زومان من أمراء البير وأعدلهم بل هو أبرزهم . . . وقد ولي الإمارة مرتين إحداهما إبان فترة الإمام عبدالرحمن الفيصل ثم عزله ابن رشيد ورده الإمام عبدالرحمن بعد فتح الملك عبدالعزيز الرياض، وكان عبدالرحمن الفيصل يحبه وينتق فيه، ويسميه أخاه، ولا يقبل قوله أحد فيه (انظر كتاب البير ص ٩٢).

※ تقول - رحمها الله: - كنت أنزعج كلما أراد السفر خاصة أنه يغيب شهوراً متواصلة، فلما قلت له يوماً في ذلك قال لي: «أنت خشيرتي في الأجر» أي شريكتي. قالت - رحمها الله -: «فما عدت أقول له شيئاً بعد ذلك».

وكانت حريصة على تربية أبنائها والمحافظة عليهم، ومن ذلك أنها كانت تحفظهم كتاب الله - عز وجل - وهي تعمل وقد جعلتهم بجوارها .

※ وعندما كبر سنها وضعف بصرها، وتأسفت عليه، قلت لها: لعلك لا ترين أحفادك الصغار؟ قالت: «أتأسف على قراءة القرآن».

وقد كان لها من الصبر والجلد الشيء العظيم فقد تحملت سفر الجد وغيابه عن مزرعته شهوراً طويلة، وربت الأبناء وأنشأتهم النشأة الطيبة، وكانت إذا رأت خادمة مع من يزرنها سألتها عن التوحيد أولاً.

وقد عانت من فراق الزوج كثيراً حتى إنها ذكرت ما يشبه أحاديث السلف فقالت - رحمها الله -: «إنه كان يسافر وقد حملت بحمل في بطني ثم يعود وإذا بالحمل قد وضعت بل ويجري ويستقبل والده».

※ وكانت كثيراً ما تسأل عن أخبار الصالحين، وكانت تحمل السلام إلى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز وتقول: أنا أحقر من أن أرسل إليه سلامي، وكان هو - يرحمه الله - يسأل عنها أبنائها وأحفادها عند زيارتهم له.

※ وتأمل في أحوال من سبق تجد الأثر... أراد عبدالله بن القاسم العتكي المصري السفر من القاهرة إلى المدينة لطلب العلم عند الإمام مالك، وكانت زوجة عبدالله آنذاك حاملاً، فقال لها: «إنني قد عزمت على الرحلة في طلب العلم، وما أراني عائداً إلى مصر إلا بعد مدة طويلة، فإن شئت أن أطلقك طلقتك فتنكحين من شئت، وإن أردت أن أبقى في عصمتي

فعلت ولكن لا أدري متى سأرجع إليك!

فاختارت البقاء زوجة له، ورحل ابن القاسم إلى مالك، وبقي عنده سبع عشرة سنة ملازماً للمالك لا يبيع ولا يشتري، بل همته مصروفة إلى طلب العلم، وفي هذه المدة ولدت زوجته غلاماً وكبر ولم يكن يعلم ابن القاسم لولادة ولده؛ لأن أخباره قد انقطعت عن زوجته منذ رحيله.

قال ابن القاسم: فيينا أنا ذات يوم عند مالك في مجلسه، إذ أقبل علينا حاج مصري شاب ملثم، فسلم على مالك، ثم قال: أفيكم ابن القاسم؟ فأشاروا إليّ، فأقبل عليّ يعتنقني ويقبل ما بين عينيّ، وجدتُ منه رائحة الولد، فإذا هو ابني الذي تركت زوجتي حاملاً به وقد شب وكبر».

✽ وقد توفيت الجدة - رحمها الله - في ٣٠ شعبان، وصُلي عليها ليلة رمضان ١٤١٨/٩/١هـ وقد صلى عليها جمع من العلماء والمشايخ، منهم الشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله - ودفنت في مقبر العود بالرياض - رحمها الله رحمة واسعة -.

حياته وسكنه:

سكن - رحمه الله - في مسقط رأسه بلدة (البيير) أول عمره حتى عام ١٣٦٠هـ، ثم بعد ذلك رغب في الانتقال منها، وذكر الوالد - رحمه الله - أن والده بحث عن أرض زراعية ليسكن فيها في (ثادق) فلم يتيسر له، ثم وجدها في (القصب) وبقي هناك مدة يسيرة.

ثم انتقل إلى الرياض، وأقام بها حتى كان عام ١٣٦٦هـ حيث غرس الجد - رحمه الله - مزرعته في أول طريق العمارية والمسماة (المغيدر).
وبنى له فيها بيتاً متواضعاً سكن فيه هو وزوجته وأولاده. وكانت له غرفة صغيرة تحت الأرض هي مكتبته وقد أدركتها ومساحتها لا تتجاوز ٢م٤ وفيها دولاب لكتبه - رحمه الله -.

وقد أمضى في هذا المسكن بقية عمره حتى تاريخ وفاته في عام ١٣٩٢هـ أي: ما يقارب من ستة وعشرين عاماً.

وقد زاره في هذا المنزل الملك سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله - وجمع من الأمراء رغم أن الطريق من الرياض إلى مزرعته لم يكن معبداً. وقد قال له الملك سعود حين زيارته: «نريد أن نبني لك بيتاً غير هذا» فقال - رحمه الله -: «قد بنيت لي داراً وانتظر الرحيل إليها». فسكت الملك سعود - رحمه الله -.



«منزل الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في مزرعته وقد هدم منذ سنوات طويلة وهو
المنزل الذي زار الجدة فيه الملك سعود - رحمهما الله.»

البركة في حياته:

البركة ما حلت في قليل إلا كثرته و لافي كثير إلا نفعته وأبقتة وحفظته، والبركة هي دوام الخير وكثرته، ولا خير أدوم وأكثر من خير الله - سبحانه - .

والسبب في حلول البركة في وقت المؤمن وعمره وماله وولده هو تقوى الله - سبحانه - قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الاعراف: ٩٦].
وكلما كان العبد أتقى لربه طرح الله البركة في وقته وعمره وماله، والناس في هذا على مراتب لا تحصى .

وقد قال الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - عن الجد: «إنه مُبارك في ماله وولده» .

أما المال فأحوال الجد ميسورة - والله الحمد - وعاش أكثر من عشرين عاماً في مزرعته خارج الرياض في نعمة وعافية .
أما أولاده وأحفاده فنسأل الله أن يطرح البركة فيهم .

✽ وأذكر أن الدكتور محمد بن أحمد الصالح كان ينادي الأحفاد ممن يدرسون في كلية الشريعة بالسلسلة الذهبية!
✽ أما البركة في علمه فواضحة في قبول مؤلفاته وانتشارها ونفع الناس بها والنهل منها .

✽ وقد ظهر له - رحمه الله - بعض الكرامات في حياته فقد ذكر: أنه - رحمه الله - حفر بئراً في وقت مسغبة وندرة أمطار فوجد ماء عذباً لم يجد جيرانه مثله .

وحفروا في أراضيهم في الأرض المجاورة للبئر التي لم تكن تبعد عنها سوى أمتار قليلة ولم يجدوا مثل ما وجد - رحمه الله -!

* ولعل من أبرز ما لاحظته المشايخ الذين كانوا يزورونه في المزرعة: كبر حجم الفواكه في مزرعته من عنب ورمان وخوخ ومشمش مع حلاوة فيها وكان الناس يتساءلون عن سر ذلك.

قصة مرضه:

أصيب الجد - رحمه الله - في حادث سيارة في عام ١٣٤٩هـ، وأثر في رأسه تأثيراً بالغاً والتأم بعد ذلك وعوفي، فلما ضعف جسمه وصار مسناً عاوده الألم بشدة. وأصيب بعد ذلك بسنوات بحادث سيارة آخر ولكنه لم يؤثر عليه بشيء - والله الحمد - .

قال الوالد - رحمه الله - وهو يحدثنا عن ذلك في حج عام ١٤١٤هـ قال: «...». لما ذهبنا إلى بيروت لم يستفد الوالد من العلاج، ثم بعد فترة ذهبنا إلى فرنسا وبقينا فيها سبعة أشهر، وأصبح الوالد في عافية بعد أن كشفوا عليه بالأشعة، وأظهرت أن هناك دماً جامداً في الرأس، ولما ذكرت لهم سبب الدم وأنه من حادث سابق، قالوا: هناك ثلاثة حلول اختر أحدها:

الأول: أن نفتح جمجمة الرأس ونشفظ الدم.

الثاني: أن يذاب الدم المتجمد بالحرارة الشديدة.

الثالث: أن ننفخ الرأس مع استعمال الأدوية.

فاختار الثالث وهي النفخ مع الأدوية، فلما استخدم الدواء تعافى وتحسنت حاله، ولكنه لم يدوام على الدواء. حيث انتهى الدواء ولم يوجد مثله في السعودية».

ولما مرض الجد - رحمه الله - كان الوالد محمد - رحمه الله - يذهب يومياً من الرياض إلى المزرعة حيث يعطي الجد حقنة (إبرة) لتخفيف الألم الذي كان يصيبه في رأسه ولأنه لم يبق من الإبر إلا القليل، فقد استأذن الوالد من الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - وقال: «الإبر لا تكفي والوالد تعب حين انتهت الأدوية وأريد أن أذهب إلى فرنسا اشترى له

الدواء». قال الشيخ محمد بن إبراهيم: أخشى أن تتأخر، قال الوالد: إن شاء الله ثلاثة أيام». وكانت العلاقة مقطوعة بين المملكة وفرنسا في حينها، فذهب الوالد إلى البحرين ومنها إلى فرنسا. وأحضر الدواء، ثم رجع عن طريق ألمانيا وتركيا، ثم البحرين ثم الظهران فلما استعمل الجد الدواء قام صحيحاً.

❖ وقد ذكر الوالد - رحمه الله - كلاماً مؤثراً: «قال: لما أقبلت على المزرعة بعد هذه الرحلة فإذا بوالدي خارجها يمشي وحده، قال: «فلما رأني فرح فرحاً شديداً ومن شدة فرحه بكى».

قال الوالد - رحمه الله -: «... بكى من فرحته بالدواء وذلك لشدة ما كان يجد من الألم...».

❖ قال الوالد - رحمه الله -: ذهبنا إلى بيروت للعلاج، ومكثنا أحد عشر شهراً وكنتم أذهب إلى الشام للبحث عن المخطوطات كل يوم سبت وأعود له في بيروت يوم الأربعاء، ولما ذهبت إلى العراق بقيت شهراً كاملاً والوالد في بيروت واتصلت عليه من العراق فطلب عودتي وألح في ذلك ورجعت إليه وبقينا في بيروت شهراً ثم عدنا إلى المملكة».

❖ وقد رأيتُ الجد - رحمه الله - في أحد الأيام وقد أتني إليه بغاز أزرق صغير ثم أوقدوه، وأتوا بمقلاة لها يد فقلبت على الغاز حتى سخنت ثم قربوها إلى جمجمته وتكرر الأمر وكنت في صغري أخشى أن تلامس قشرة رأسه حيث لم يبق بينها وبين القشرة سوى سنتمتر أو أقل. ثم قام - رحمه الله - وكان له طاقة من الصوف السميك فلبسها لتحفظ الحرارة ثم لبس شماغ الصوف.

❖ كان للجد - رحمه الله - رؤى صادقة فقد ذكر العم الشيخ سعد أن

الجد - رحمه الله - كان في فرنسا وقد حصل بيني وبين ابن عمتي سلمى محمد بن محيذيف بعض ما يجري بين الصغار فأرسل الوالد رسالة من فرنسا يسأل أنه في اليوم الفلاني جرى لمحمد بن محيذيف أمراً أحزن والدته وأنها أتت إليّ تشتكي .

✽ والرؤيا الأخرى أنه كانت أخت الجد وإسمها سارة متزوجة ومات عنها زوجها وهي شابة وكان حولها أبناء أخيها وأخوها عبد العزيز وأخذوا يمزحون معها ويذكرونها بضرورة الزواج فكأنها تضايقت من ذلك . وكان الجد - رحمه الله - في مكة فأرسل رسالة؛ أن هناك أمر يضيق صدر أختي سارة ما هو؟ فلما جاء الخطاب وقرأناه وسمعت، قالت: إما دعوني وإلا أخبرته .

نماذج من نفعه الخاص

مع قله المتعلمين والقراء كان - رحمه الله - يكتب لأهل بلدته وما جاورها وصاياهم وأوقافهم وقد عثرت على الكثير منها، وأنقل صوراً لبعضها:

بسم الله الرحمن الرحيم
 هذا ما وصت به منيرة بنت محمد بن عبد الله بن قاسم شهيداً
 لله وللإسلام وإن محمد عبده ورسوله وأبى القاسم محمد بن رسول الله
 النبي صلى الله عليه وسلم وروح مني وأخيه جف وان رحق وان
 أنته الأربى فلا وإن الله يبعث من في القبور وأوصت
 ابناً ربيبة الله وبعثوا ذاتيهم وأوصت
 في تلك ما لا يحصى لا مراً وأصحية لا والدنيا والدنيا
 أمها وأما أصنافها الأربعة على كل واحد منهن وزانية
 لإمام مسجد الجوف وصاع لسراج وست وزانية
 فركبة المنيرة وثلاثة وزانية لساناً مسجد البلاد
 شهيد على ذلك عبد الله بن محمد بن قاسم وأبى عبد الله
 والوكيل أبو إبراهيم والصالح عبد الله بن عبد الله
 بن قاسم وصمهم في سنة ١٣٥٦
 ٢٠

دكت في عام ١٣٥٦ هـ.

١٣٤٨ هـ

لقد شهد عندكم مشوا ابن زولدا بان السفة الزير في فيدلاد برس عابر الى الاعلى
والحوطات كتب شاهان محمد ابن عبد العزيز وشهد عندو عبد الله ابن محمد بن
بان استغنى هذا اهل وقتنا السوف عابر الى الاعلى كتب شاهان محمد بن
العزيز ونظم ما خطه عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ابيهم محمد بن

بسم الله الرحمن الرحيم
 باع عبد الله بن عبد العزيز بن أبي قحافة نصيبه في
 المخزن المعروف عن المسجد جنوب وغن جنوب
 بيت أبي يحيى تابع الحبيب ونصيبه منه حيث
 الوكالة تلك المخزن بأربع مائة وعشرين ديناراً
 أو يبلوغ إن شاء الله والله اعلم
 وأبيع لأختي خيرة بنت محمد بن يحيى
 شهيداً ما ذل عبد العزيز بن أبي زرماؤ شهيداً
 كاتب عبد الله بن محمد بن قاسم ١١٩٥

ع ١٣٥١
 ص ٥

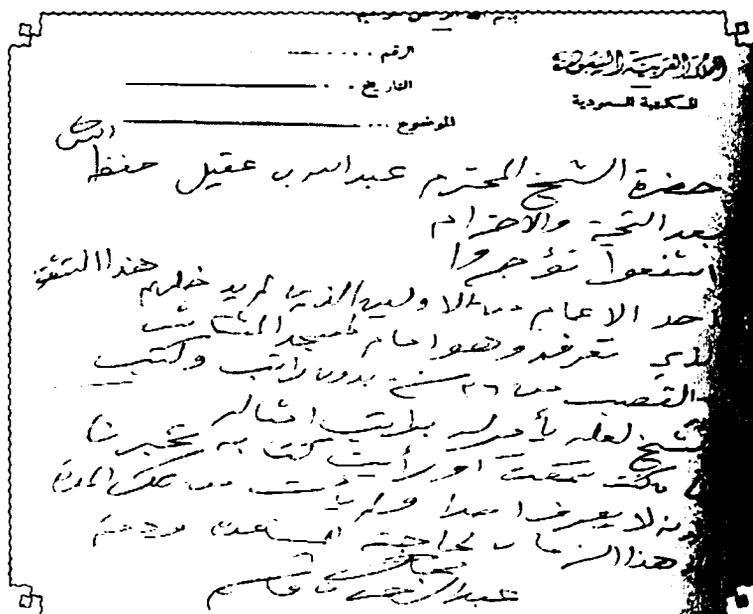
بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الشيخ المحترم: عبد الله بن عقيل، - حفظه الله تعالى - .
بعد التحية والاحترام.
اشفعوا تؤجروا.

أحد الأعمام من الأولين الذين لم يدخلهم هذا الشكف الذي تعرفه، وهو
إمام لمسجد المشاش في القصب، من سنة بدون راتب، وكتب للشيخ لعله
يأمر له براتب أمثاله، فإن كنت سمعت أو رأيت كتابه تخبرنا، لأنه لا يعرف
أحدًا، ولم يأت من تلك المدة إلا هذا الزمان لحاجته للمساعدة ودمتم.

محجك

عبد الرحمن بن قاسم



وفاته:

لم يزل - رحمه الله - مكباً على إخراج كتبه ومؤلفاته مع ما أصابه في حياته من ألم شديد في الرأس .

وفي أواخر أيامه ضعف بصره - رحمه الله - من كثرة ما يقرأ ويكتب وهذه حال العلماء، جاء في ترجمة الحافظ عبدالغني المقدسي: «... و كان قد ضعف بصره من كثرة المطالعة والبكاء، وكان أوحد زمانه في علم الحديث...»^(١) . ومع أنه - رحمه الله - توفي وهو لم يستعمل العصا .

✽ قال الشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله - وهو يتحدث عن الجد - رحمه الله -: «ولما توفي ابنه عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - إثر سبب عارض، زرناه في المغيدر [مزرعته] للتعزية وكان بصحبتنا الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن مرشد، فذكره الشيخ ببعض ما مضى منهما زمن الطلب، وأنه لم يبق من تلاميذ الشيخ عبدالله بن عبداللطيف غيرهما، وقد فهم من ذلك قرب الأجل حيث تذكر من مضى من مشايخهما وزملائهما وهكذا بقي متمتعاً بعقله وفهمه حتى وافاه أجله عام ١٣٩٢هـ وصلى عليه جماهير أهل البلد وعلماؤه فرحمه الله وأكرم مثواه» .

✽ وكان - رحمه الله - قد رأى رؤيا قبل وفاته: «أنه أذن المؤذن فدخل المسجد للصلاة، ورأى شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام أحمد بن حنبل وجمعاً من العلماء واقفين في الصف فقدموه للصلاة!» .

وقال: «ما أراه إلا أجلي قريب، فما بين الأذان والإقامة إلا قليل»، ولكنه - رحمه الله - قال: «إن كنت مع هؤلاء فلا عليّ خوف». فمكث أربعين يوماً ثم توفي .

(١) ذيل الروضتين ص ٤٧ .

وقد ذكر الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ هذه الرؤيا عندما أتى معزياً بوفاة والدي ثم قال: «وهذه لها مناسبة فهو الذي أخرج مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى) وكذلك مؤلفات الإمام أحمد بنشر حاشية الروض وغيرها».

✽ وذكر العم الشيخ أحمد: «أن والدي - رحمه الله - رأى شيخ الإسلام يضع التاج على رأسه».

✽ وعندما اشتد به المرض أرادوا أن يذهبوا به من المزرعة إلى المستشفى قال - رحمه الله - : «يا الله مقسوم خير».

ولم يفت في عضده الألم ولم يثنه المرض عن العلم وتحريره، وأمثال ذلك في كتب السير كثير، فقد ذكر القرشي في ترجمة إبراهيم بن الجراح التميمي مولاهم - تلميذ أبي يوسف وآخر من روى عنه - قال: «أتيته أعوده، فوجدته مغمى عليه، فلما أفاق قال لي: يا إبراهيم! أيهما أفضل في رمي الجمار، أن يرْمِيها الرجلُ راجلاً أو راكباً؟

فقلت: راكباً. فقال: أخطأت!

قلت: ماشياً. قال: أخطأت!

قلت: قل فيها - يرضى الله عنك - .

قال: أما ما يوقف عنده للدعاء، فالأفضل أن يرميه راجلاً، وأما ما كان لا يوقف عنده، فالأفضل أن يرميه راكباً.

ثم قمت من عنده، فما بلغت باب داره حتى سمعتُ الصُّرَاخَ عليه، وإذا هو قد مات - رحمه الله -^(١).

(١) الجواهر المضيئة ٧٦/١.

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن له في الأمة لسانُ صدق عام بحيث يُثنى عليه ويُحمد في جماهير أجناس الأمة فهؤلاء أئمة الهدى، ومصاييح الدجى، وغلطهم قليلٌ بالنسبة إلى صوابهم، وعامته من موارد الاجتهاد التي يُعذرون فيها، وهم الذين يتَّبَعون العلم والعدل، فهم بُعْدَاء عن الجهل والظلم، وعن اتباع الظن وما تهوى الأنفس»^(١).

* وأدخل الجد - رحمه الله - المستشفى وكانت شفاهه تتحرك بقراءة القرآن ويومئ برأسه حين يمر بسجدة، ولم يلبث إلا قريباً من أسبوعين حتى وافاه الأجل، في مدينة الرياض في ٨/٨/١٣٩٢ هـ. واصلت وفاته في الإذاعة السعودية، ودفن في مقبرة العود.

* قال العم الشيخ سعد وكان مرافقاً مع الجد في المستشفى: كان مع والدي وعيه ويقرأ القرآن، وأتى طبيب عراقي الجنسية والوالد يتألم فقال الطبيب: الآن اريحك، فضربه إبره، فصرخ من شدة الألم ومات مباشرة - رحمه الله -.

* وكان في مقبرة العود أثلة بجوار قبر الشيخ سعد بن عتيق - رحمه الله - فقال: «إن مت لعلي أجاور الشيخ». ولم يتيسر ذلك.

رحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

كانوا جمال ذي الأرض في الحياة وهم

بعد الممات جمال الكتب والسير

أولاده:

كان - رحمه الله - حريصاً على تعليم أبنائه العلم الشرعي وحفظ القرآن، وقد ذكر الوالد - رحمه الله -: «... أنه لم يكن يضرب أياً من أولاده بل كان يوجه وينصح...».

* وقد ذكر الوالد - رحمه الله - أنه عندما رشح وزيراً لوزارة العدل إبان إنشائها قال له - رحمه الله -: «عليك بالكتب» وكانت هذه الوصية من أنفع الوصايا وأثمن النصائح.

* وكان يلتمس لأبنائه العذر للخروج من المضائق!

ذكر الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق - حفظه الله - القصة التالية عن الجد - رحمه الله -: «تأهل ابنه محمد للقضاء، فرغب الشيخ محمد بن إبراهيم ترشيحه للقضاء، ولكن لما علم محمد بذلك سافر إلى الحجاز.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم لأبيه الشيخ عبدالرحمن: أين محمد؟ فقال الشيخ عبدالرحمن: لقد أخفته وأرعته فقد هرب إلى الحجاز.

فقال الشيخ محمد بن إبراهيم: وماذا يصنع هناك؟ فقال: اشترى سيارة يؤجرها لينفق على أولاده!

فقال الشيخ محمد بن إبراهيم: أبلغه ليعد فلن أعرض عليه القضاء والحالة هذه».

* وكان إذا قدم من سفر وأولاده في شوق إليه يريدون أن يسألوه عن سفره، يبادرهم بقوله: «كم حفظتم من القرآن؟».

* قال الشيخ عبدالله بن جبرين - رحمه الله - يثني على تربية الجد لأبنائه في معرض حديثه عن الوالد - رحمه الله -: «... رزقه الله صدق الرغبة ومحبة العلم وحسن المعتد والتربية الصالحة على يدي والده - رحمه الله -».

* وقال الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق - حفظه الله - : «وكان الشيخ محمد بن إبراهيم يظهر للشيخ عبدالرحمن القاسم المودة والتقدير، وكان يعتبر أولاده وبالأخص محمد وأحمد من طلبته الخاصين ومن هم في خدمته والاستفادة منه، فكان الابنان محمد وأحمد يلازمان الشيخ ملازمة تامة في مجالس التعليم وفي البيت» .

* ولما أصاب الجدري الوالد - رحمه الله - وشفي منه كتب إلى والده في مكة يخبره بشفاؤه وأن الله سلم عينيه وبدنه، فسجد - رحمه الله - في الحرم شكراً لله - سبحانه - أن شفى ابنه وسلم بصره .

* ومما أثر في نفسي ما ذكرته إحدى عماتي عندما سألتها عنه - رحمه الله - فقالت: «ماتهنينا به» فهو بين سفر وكتابة، وقالت: أذكر مرة أنه أتى إلينا وسمعت أنه سوف يسافر في الغد، فقلت له في تلك الليلة وأنا صغيرة جداً: «احلف أنك ما تسافر!» .

* وكان - رحمه الله - يأمرهم بالصلاة ونوافل العبادات، وقد ذكرت لي عمتي سارة وهي أخت للجد - رحمه الله - أنه كان يقول لها يا أختي: «النار . . . النار» .

* وكان في رمضان يحثهم على قراءة القرآن ويقول: «لا تجلسوا إلى بعض، بل تفرقوا حتى تقرأوا» .

* وقال العم الشيخ سعد - حفظه الله - : كان والدي يحرص على تعويدنا الإمامة والصلاة بالناس، وقد كان لها الأثر الكبير في حياتنا العلمية والعملية .

* وذكر ابن العم صالح بن سليمان القاسم وكان مقيماً مع الجد في مزرعته أن كان يقرئني القرآن ويرد عليّ إذا أخطأت وهو مستمر في حفظه

عن ظهر غيب، وعيناه تقطران من البكاء والتأثر.

✽ وأذكر وأنا صغير أنني أتيتَه فأخذ بيدي - رحمه الله - إلى غرفته، وناولني كيكاً يحفظه كهدايا يقدمها للصغار! وكان نادراً في وقته.

✽ وقد غرس أشجاراً من الخوخ والمشمش بجوار مجلس الضيوف في المزرعة ويقول لبعض أحفاده: قولوا غداً هذه زرعها جدي . - فرحمه الله رحمة واسعة - .

✽ وكان يعطي الصغار ريالاً إذا سقوا أشجاراً بجوار مجلس الضيوف في المزرعة وكانت من الخوخ والمشمش ويقول: تذكرون هذه وتأكلون منها! وقد ولده له ولد اسمه إبراهيم وعمر الجد كما ذكر ١٤ سنة وتوفي الابن مبكراً.

وقد رُزق - والله الحمد - أولاد وبنات، فقد ولد له من الأبناء:

✽ عبدالله: أكبر أولاده؛ عابداً ورعاً حافظاً لكتاب الله - عز وجل - كان يقوم الليل حتى شق عليه فوضع اسفنجاً ليقب ركبتيه أثناء السجود، وبقي سنوات طويلة يمكث في مصلاه حتى تشرق الشمس، وقد ذكر الوالد - رحمه الله - أنه وجد ورقة كتب فيها ابتداء جلوسه في المسجد بعد صلاة الفجر فوجدنا أنه قد مضى على تلك الحالة أحد عشر عاماً، وسألت الوالد - رحمه الله -، لماذا جعل هذه الورقة وتاريخ هذا اليوم، قال: «لعله جعل ذلك لتزيد همته وحتى لا يتكاسل يوماً عن المكوث في المسجد حتى تشرق الشمس».

وكان من عبادته عجب؛ فقد كان يوم الجمعة يصلي الفجر ثم يذهب إلى الجامع الكبير ويمكث في المسجد حتى يصلي الجمعة.

وكان صواماً قواماً وله مواقف في العبادة معروفة؛ أعانه على ذلك صحة عباد يتعاونون على البر والتقوى والمكوث في مكة طوال شهر رمضان. توفي - رحمه الله - في ٦/٦/١٤٠٢ هـ فرحمه الله رحمة واسعة. * ويليه: إبراهيم وتوفي وهو ابن أربعين يوماً.

* الوالد الشيخ محمد: العالم العابد الزاهد خريج كلية الشريعة، لازم الشيخ محمد بن إبراهيم خمس وعشرين سنة، واشتغل بالتدريس في المعهد العلمي، ثم كلية الشريعة وكلية أصول الدين بالرياض، وهو الذي ساعد والده، في جمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، واخرج (فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم) في ثلاثة عشر مجلداً، وله (المستدرك على الفتاوى) في خمسة مجلدات وغيرها من المؤلفات، رشح وزيراً للعدل ورشح عضواً في هيئة كبار العلماء فاعتذر، توفي يوم الثلاثاء ٦/٧/١٤٢١ هـ وكانت جنازته مشهودة^(١).

* عبدالعزيز: عمل مع والده في المزرعة، محب للخير والعبادة، توفي - رحمه الله - قبل والده بـ ١٨ شهراً أي: في المحرم عام ١٣٩١ هـ. وقد أوصى الجد - رحمه الله - لأولاد ابنه عبدالعزيز بمثل نصيب أحد أبنائه الموجودين حال الوصية من عقار ومنقول.

ذكر صاحب كتاب «حياة الشيخ محمد بن إبراهيم» عن سماحته ما يلي: من المنامات التي رؤيت: ما ذكره ابنه معالي الشيخ إبراهيم بن محمد أنه لما كان الشيخ عبدالرحمن بن قاسم في العمارة في مزرعته كان له ابن صالح وهو عبدالعزيز بن عبدالرحمن. لما توفي ذهبت لعزائه وبعد الخروج

(١) أخرجت كتاباً يتحدث عن سيرته بعنوان «العالم العابد الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله - حياته وسيرته ومؤلفاته» من إصدارات دار القاسم للنشر.

من عنده خرج معنا سليمان وقال: إن عبدالعزيز المتوفى رأي ليلة وفاته رؤيا، يقول عبدالعزيز:

رأيت الليلة رؤيا عجيبة وهي أنه جاءني رجل ومعه قطعة قماش خضراء وقال: قد أرسلني محمد بن إبراهيم من الجنة بهذه القطعة، فقال والده الشيخ عبدالرحمن: بشرك الله بالخير لعلها تكون كفي. وفي صباح هذه الرؤيا حصل له حادث ومات - رحمه الله - (١).

* الشيخ أحمد: ولد سنة ١٣٥١هـ درس على الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - وهو الذي كان يقرأ عليه بعد سفر الوالد لجمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، وله جهود دعوية معروفة، عمل سكرتيراً للشيخ محمد بن إبراهيم، ثم أميناً لمكتبة كلية الشريعة، أخرج «تفسيراً للقرآن الكريم» في ستة مجلدات قدم له فضيلة الشيخ صالح الفوزان. وله كتاب «المنتخب من أدلة الشريعة» طبع قديماً وأعيد طبعه، حتى أحيل للتقاعد في عام ١٤١٨هـ وكذلك كتاب «العمدة في فقه الشريعة». توفي - رحمه الله - الخميس ليلة الجمعة ١٤٢٩/٧/٧هـ بعد مرض ألم به.

* سليمان: عمل مع والده في المزرعة، باراً بوالدته، توفي - رحمه الله - في شوال ١٤٢١هـ إثر مرض أصابه ولم يمهل طويلاً.

* الشيخ ناصر: عمل موظفاً برئاسة تعليم البنات، وله أياد في الإنفاق ومن مآثره أنه طبع كتب الجدة كاملة على نفقته (كالفتاوى) و(الدرر) و(الحاشية) وغيرها - فجزاه الله خيراً - وبارك في ماله وولده.

(١) حياة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وآثاره د. صالح الأطرم، د. عبدالله العمار ص ٢٢٣ باختصار.

* الشيخ سعد: ولد في بلدة البير عام ١٣٥٨هـ، وتعلم القرآن في الكتاتيب ثم انتقل إلى الرياض ودرس على الشيخ محمد بن سنان ثم على الشيخين عبد اللطيف بن إبراهيم ومحمد بن إبراهيم، وعين مدرساً في معهد إمام الدعوة ثم في معهد الرياض العلمي حتى أحيل للتقاعد عام ١٤١٨هـ وظل إماماً وخطيباً بجامع الرحمانية شمال الرياض لمدة ١٤ عاماً، وله مشاركات في المحاضرات والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أشرف مع الشيخ عبدالله بن جبرين على طبع (حاشية الروض المربع)، واخرج (الدرر السنينة) في طبعتها الأخيرة وغيرها من كتب الجلد - رحمه الله - فأسأل الله أن يجزيه خير الجزاء على ما قدم. صدر له رسالة بعنوان (في الرد على شبه تجرى على السنة الكثير من الناس) قدم لها الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك - حفظه الله - .

* الشيخ حمد: خريج كلية الشريعة، عمل في المجال الحكومي حتى تقاعد وعنده من الفضل والأدب الكثير.
* ورزق الجلد - رحمه الله - من البنات ثلاث:

الأولى: تزوجها حمد بن عبدالله المحيديف وأنجبت ولدين وابنتين توفوا صغراً عدا (محمد بن حمد المحيديف) ولد عام ١٣٦٢هـ وهو خريج كلية الشريعة وكلية الهندسة في آن واحد. توفى يوم الجمعة ٣/٤/١٤٣١هـ وصلي عليه في مسجد الملك خالد، ودفن في مقبرة أم الحمام.

وقد توفيت والدته - رحمها الله - في حياة الجد وأوصى لها في وصيته بخطه: «وأوصي لابنتي سلمى - رحمها الله - بثلاث نخلات دخيني».

الثانية: تزوجها عبد الرحمن بن عبدالعزيز بن القاسم توفيت - رحمها الله - يوم الجمعة ٢٤/٣/١٤٢٧هـ بعد أن اغتسلت وصلت صلاة الضحى

وقرأت سورة الكهف؛ عرفت بالصلاح والتقوى والمداومة على قراءة القرآن وهي والدة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن القاسم عضو المحكمة العليا، بالرياض.

الثالثة: تزوجها محمد بن عبدالرحمن القاسم - رحمه الله - وهي والدة الشيخ عبدالعزيز بن محمد القاسم القاضي في محكمة خميس مشيط سابقاً. وقد عرفت بالصلاح والدعوة إلى الله - عز وجل -.

❖ وبارك الله في ذريته فزادوا على ثلاثمائة نفس، منهم العلماء والقضاة وطلبة العلم والدعاة ومن لهم نفع في المجتمع.

أسأل الله أن يبارك فيهم وأن يثبتهم على دينه وأن يجعلهم هداة مهتدين.

رثاء في العالم العامل المحقق السلفي
 الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
 المتوفى بتاريخ ٨ / ٨ / ١٣٩٢ هـ تفهده الله بواسع رحمته

على العلم والدين القوي الدعائم
 أولى الصدق والإخلاص من كل عالم
 رجوم العدا من كل غاو وأثم
 حكيم حليم ثابت الجأش حازم
 وبات بأطباق الثرى المترادم
 كهتان وبل من خلال السواجم
 تجيش بها الأشجان مثل الضرائم
 أخي السبق في شأو العلا والمكارم
 أكيد الإخا الشيخ الأديب «بن قاسم»
 يسير على النهج المنير المعالم
 وصحة إيمان ورشد القوادم
 وحسن اعتناء في الأداء والتفاهم
 بحكمة داع مشفق... غير ناغم
 وكل انحراف زائع... أو جرائم
 وعون مع الإخوان أوفى مساهم
 وخشية رب بالسرائر عالم
 بحسن بيان واضح غير كاتم
 وعن كل خوض سئ أو تخاصم
 جهاد بمجهود الدؤوب الملازم
 وتأليفها والجمع بين الملازم

مصائب على الإسلام بين العوالم
 رحيل رجال العلم والمجد والتقوى
 نجوم الهدى والرشد والحق والعلو
 فكم فاضل... حبر جليل مهذب
 نصرمت الأيام... أيام عمره
 وفي اليوم ذا... تجري الدموع غزيرة
 وتتقد الأحشاء حزناً ولوعة
 لفقد التقى الألمي أخ الوفا
 هو العابد الرحمن.. نجل محمد
 هو الصالح المحبوب والناصح الذي
 على الأصل والتقوى وحسن عقيدة
 عفاف وزهد صادق ونور
 ونصح وإرشاد وحزم وغيره
 وحرث على «الإلحاد» والغبي والردى
 سخاء ونبل فائق وسماحة
 وترتيل آيات الكتاب تدبراً
 مفيد بما يدري.. وما صح علمه
 وما ليس بالمعنية عنه بمعزل
 له في سبيل العلم والحق والهدى
 حريص على نشر العلوم ونصرها

بترتيب فن لائق متلائم
 بخط رشيد شيق السطر راقم
 ولم يثته وهن... ولا لوم لائم
 بهمة صبار قوي العزائم
 عظيم مساع في سجل الأكارم
 وسار إلى أدنى وأقصى الأقالم
 بواسع إحسان من الله دائم
 ويجبر صدعاً في المصاب المداهم
 ويفنى الورى محي العظام الرمام
 وما الله يوماً للعباد بظالم
 وبئس لحظ خاسر الربح نادم
 وأحسن عقبي وهو أرحم راحم
 بكل قضاء الله أعدل حاكم
 على المصطفى الهادي الأمين بن هاشم
 وهب الصبا وأنهل صوب الغمام

فتون بحوث... ضم بعضاً لبعضها
 له القلم الموهوب عزما وقوة
 بعزم وجد واهتمام مواظب
 فله شوق في المعارف والعلی
 ويكفيك عن عد الخصال لماجد
 فقد طار في الأفاق بالخير ذكره
 فترجو له خير الثواب مضاعفاً
 وأن يخلف المولى بخير تكراً
 وسبحان رب دائم أبدع الورى
 وكل ملاق في الحساب جزاءه
 فيا نعم من يلقي السعادة فائزاً
 من الله نرجو العفو واللطف رافة
 وحمداً وتسليماً مع الصبر والرضا
 وازكى صلاة الله ربي مسلماً
 وأتباعه الأبرار ما ناح طائر

بقلم / محمد بن عبدالعزيز بن هليل^(١)

(١) ديوان زاهي الأزهار في مליح الأشعار ص ٤٤ .

ترجمة منفصلة

بعث إلى الشيخ عبد العزيز السدحان - حفظه الله - هذه الترجمة وطلب أن تفرد في كتاب مستقل، ولما أعدت طبع هذا الكتاب وضعتها تلبية لرغبته، وتعاهداً لمودته ومحبته، ونبهت على بعض ما ذكر في الهامش. ترجم الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن من علماء القصيم للجد - رحمه الله - في كتابه: تذكره أولي النهي والعرفان بأيام الواحد الديان وذكر حوادث الزمان.

فقال: وفيها وفاة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه - وهذه ترجمته: هو العالم الزاهد الورع التقي أبو محمد^(١) عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي، ولد في قرية البير من قرى المحمل على بعد مائة كيلو عن مدينة الرياض في الشمال الغربي سنة ١٣١٢ هـ فأخذ يتعلم القرآن حتى حذقه في سن مبكرة، ونشأ في عبادة الله وطاعته، ثم أخذ يطلب العلم وكان في أخلاقه أنه متواضع متقد الفكر صريح لا يملق ولا يداهن ولقد اتفقت به في مكة المكرمة في أوائل شهر ذي القعدة من عام ١٣٦١ هـ حينما حججت بيت الله الحرام حجتي الثالثة بحيث كنت مبكراً في الحج، فبعث إلي أحد الأجرة يطلب مني مواجته في مكتبه الحرم الشريف وكنت لا أعرف شخصيته غير أنني طلبت منه أوصافه لأعرفه بها، فقال لي تجد رجلاً طوالاً أسمر اللون يعني قد لوحته الشمس سريع الحركة ملتهباً متواضعاً فحينما دخلت المكتبة

(١) هو أبو عبد الله.

المذكورة وكان يتولى إدارتها إذا ذاك محمد بن سياد الطبرستاني شيخ كريم الأخلاق حسن المعاملة جلست إلى جانب الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وكنت عرفته بأوصافه التي وصف بها غير أنني ويا للأسف سألت إنسان إلى جانبي: أهذا ابن قاسم؟ فأجابني بأنه ليس هو وكان لا يعرفه، وكان الموعد بيننا في الساعة الثالثة وبعد مضي ثلاثين دقيقة أصغيت في أذنيه وهو إلى يميني فقلت له يا أخي إن بيني وبين الشيخ ابن قاسم موعداً في الساعة والدقيقة ففزع واستوى قائماً وبدأني بالتحية والمصافحة والتقبيل، وهكذا كنت واعتذر بعدم المعرفة ثم أنه أطبق كتاباً بين يديه في أصله دفترًا كبيراً أراه يكتب ويمحي ويجمع فيه العبارات وهو مسودة حاشيته على شرح زاد المستقنع، وأخذ بيدي بعد تبادل التحية الحارة وذهب بنا إلى بيته ماراً بالسوق حيث أخذ حبات من القثاء ودخلنا ثم جاء بالقهوة والساي ثم جاء بالقثاء ووضعها على السفرة، وبينما كنت أحادثه كلمته بيا شيخ فقال أرجو أن لا تخاطبني إلا باسمي فإنه أحب إليّ ولما أن استفسرته عن هذا اللقاء الذي منّ الله به علينا أبدي فرحه بذلك لما يحب على الإخوان من الاجتماع وتبادل الحديث، ثم ذكر أن الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ بعثه إليّ لما علم بقدمي إلى مكة لأن أنسخ له شرح السنة اللبغوي، فذكرت له أن شرح السنة كبير ويحتاج إلى وقت طويل، غير أنه أبدى لي أن ناسخين يشتغلان فيه من جهته بحيث أن الكتاب ليس بموجود إلا في كتب خانة وهي مكتبة الحرم المكي، وعندما أبدت عذراً أنني غريب وليس لدي مسطرة ولا حبر أسود ولا أقلام للنسخ تكون صالحة أجاب بأن أعمل على حسب القدرة، وأن كل شيء فموجود في مكاتب باب السلام فاتفقت بالشيخ محمد - رحمه الله - ووجدت رغبته في ذلك العمل وأما المسطرة

فلدى فلان الحاوي مسطرة صالحة فسهل الله الأمور وكنت عند حسن ظنهما بي فكنت أخذ الكراسة واذهب ليلاً فانقل ما تيسر حوالي أحد المصاييح في رحبة المسجد الحرام . وفي السنة التي بعدها كنت أوافيه في المسجد الحرام بعد المغرب والعشاء وجرى بيننا البحث في فضائل الشيخ عمر بن محمد بن سليم لأنه قد توفي في تلك السنة فأثنى على الشيخ عمر و ذكر ماله من المناقب وترحم عليه وأثنى على تلامذته بما ذكرناه عنه عند ذكر تلامذة الشيخ عمر - رحمه الله - ، وكان الرجل متواضعاً حسن المعاشرة والمحادثة وجعل يثني على الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ويذكر مقاماته في الإسلام ونصرته له خاصة والدفاع عنه وتأييده له ، نعم كان الشيخ محمد بن إبراهيم مناصراً للشيخ عبد الرحمن بن قاسم ومدافعاً عنه بل وعن غيره بجاه العريض وماله من الوجاهة عند الحكام فإنه قد يكون سداً عظيماً ودرعاً حصيناً يلوذ به في حياته المنكوبون والمغلوبون ولما للشيخ محمد بن إبراهيم من المواقف الدينية الجبارة التي يقفها الله - عز وجل - فلا يوقف في طريقه وذلك لأن الشيخ بن قاسم كان لا تأخذه في الله لومة لائم ومن كان مثله فإنه لا يسلم وشاية الأعداء ، وإني لأثني عليه وأنوه بذكره وأسأل الله أن يرفع منزلته في الجنات العالية ذلك لما قام به من الأعمال التي يشكر عليها فمنها ترتيبه لرسائل أئمة الدعوة ، لقد قام الشيخ عبد الرحمن بن قاسم بعناية تامة لترتيب هذه الرسائل بعدما كانت متشورة في مجلداتها التي طبعتها مطبعة المنار ويصعب طلب المسائل المطلوبة منها فقد ألفها ونظمها تنظيماً فائقاً وسماها (الدرر السنية في الأجوبة النجدية) وجاء في أحد عشر جزءاً وقد ذكر أن ساعده الأشد في هذا العمل الخيري هو الشيخ محمد بن إبراهيم وقد قرض عليها المذكور والشيخ عبد الله العنقري

ولكنها ويا للأسف طباعتها رديئة بالرغم من أنها طبعت مرتين الأولى في مطبعة أم القرى عام ١٣٥٢هـ والأخرى في مطابع المكتب الإسلامي في عام ١٣٨٥هـ وكلتاها لم يعتن بطباعتها ولو أنها طبعت بحرف جميل وورق جميل لكان أولى خدمة لتلك الأسفار الجليلة^(١).

ترتيبه لفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية

لما كانت فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية مشتتة في مشارق الأرض ومغاربها، وطبع الرجل المواطن مقبل الذكیر أجزاء كبرى من تلك الجواهر، كما أن مطبعة المنار طبعت أخرى، ويوجد في مجاميع نبذة منها فلأنها لم تستكمل ولم تحصل الفائدة منها فقد قام المترجم يفكر في جمعها وترتيبها وجعل يفتش في مكاتب نجد وغيرها لاستحصائها وبما أن نجد تعتبر أسعد الأقاليم بالانتفاع بمؤلفات شيخ الإسلام وتداولها وتدريسها، ولما أن باشر تصحيح فتاوى أئمة الدعوة النجدية في مكة المكرمة فتش في المخطوطات الموجودة بمكة المكرمة بمكتبة الحرم الشريف فاستخرج منها عدداً من المسائل كما تحصل على مسائل من بعض العلماء الأفاضل ثم إنه عزم على ترتيب فتاوى ابن تيمية فضم الموجود من المخطوطات إلى المطبوعات بإشارة الشيخ محمد بن إبراهيم وأخذ في ترتيبها على وضع الكتب المتداولة بين العلماء لتسهيل المراجعة ثم إنه سمع من بعض رواد المكاتب بوجود مسائل لشيخ الإسلام في دار الكتب المصرية فأجل طبعتها وأجمع على السفر إلى مصر لهذا الموضوع في سنة ١٣٦٥هـ فلم يقدر له ذلك، ولما أن أصيب بنكبة انقلاب السيارة التي أثرت على دماغه اختل نظام الدم في رأسه فأصابه من ذلك وجع شديد فسافر إلى بيروت للعلاج وفي

(١) وطبعت الآن والله الحمد بخط جميل واضح في ١٦ مجلداً -

صحبه ابنه محمد ولما استكمل الفحوص الطبية وأجرى له بعض العمليات التي لم تنجح توجه إلى مكتبة بيروت العمومية ولم يثن عزمه وهو فيه من المرض الذي أصيب به من جراء انقلاب السيارة وكان حازماً لأنه قد استصحب ما جمعه سابقاً من الفتاوى وفهرساً خاصاً بها مفتشاً فيها فلم يجد مسائل لشيخ الإسلام وذكر له أن ما كان فيها من المخطوطات قد نقل لإحدى الدول منذ زمن طويل ثم فتش في مكتبة الجامعة الأمريكية فلم يجد فيها شيئاً، وكان مستصحباً ورقة فيها أرقام لثلاث مسائل في المكتبة الظاهرية ذكرها له بنص من رواد المكتبة من العلماء فبعث ابنه إلى دمشق لنسخها وبذل مجهود في هذا السبيل مع ما كان يقاسي من شدة المرض ومواصلة العلاج فدأب نجله محمد في مواصلة العمل والتفتيش حتى ذهب إلى المكاتب الأهلية بدمشق وحلب وحماة وسافر إلى بغداد وبعدهما حصل على ما تحويه بلاد الشام وطن شيخ الإسلام وجعل يبحث وينقب في بغداد ومكاتبها وأراد أن يسافر إلى البصرة والكويت وتركيا غير أن صحة والده كانت متأخرة بحيث أقام الشيخ في بيروت ثمانية أشهر فاضطر إلى الرجوع إلى والده ببيروت وعاد إلى الرياض، ثم أنه سافر الشيخ عبد الرحمن إلى باريس عن طريق القاهرة يصحبه نجله محمد وذلك لما يريده الله - تعالى - من إبراز مكنون فتاوى شيخ الإسلام بحيث جعل الله - عز وجل - مرض المترجم سبباً للسفر إلى فرنسا ولما أن وصلاً إلى القاهرة قاماً بزيارة دار الكتب المصرية وتصفحاً ما تحتوي عليه من المجاميع التي لم تكن موجودة لديهما ولما أن وصلاً إلى فرنسا أجريت له عملية وتمائل للشفاء فذهب إلى مكتبة باريس الوطنية وتبعاً لما فيها من الفهارس المطبوعة باللغة الغربية للمخطوطات الموجودة في باريس ولندن وبرلين وفيينا وبعض

فهارس مخطوطات تركيا وغيرها، ولما أن كان في عام ١٣٨٠هـ أمر الملك السابق سعود بن عبد العزيز بطبع هذه الفتاوى وأمر أيضاً أن يدفع من المبالغ ما تحتاجه إليه هذه المجموعة لتجهيزها للطبع وما يحتاج إليه التصحيح وكان قد ساعد على ذلك بإرشاداته وإشرافه وتوجيهاته رئيس القضاة في المملكة العربية فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم ولما تكامل جمعا من مصر وأوروبا إصدار الملك سعود أمره بطبع خمسة آلاف نسخة وقدرت تكاليف طبعتها وتجهيز الكتاب للمطبعة بمبلغ يزيد على مليون ريال أمر الملك بدفعها فبرزت في ٣٧ مجلداً بفهارسها وما يلتحق بها وكانت طباعتها ممتازة جداً فأما الثلاثون الأولى فطبعت في مطابع الرياض وأما السبعة الأخيرة فأمر بطبعها الملك فيصل بن عبد العزيز في مطبعة الحكومة ولقد علم الله من حس نية شيخ الإسلام فنشر هذه الفتاوى وقام بطبعها للمرة الثانية صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وكان إعادة طباعتها برحاء من العالمين الفاضلين عبد الله بن محمد بن حميد وعبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى الملكين الكريمين ذلك لأن الطبعة الأولى أوشكت على التقسيم على العلماء المتأهلين وكان صدور الأمر من الملك السابق سعود في عام ١٣٧٤هـ. ومن مؤلفات المترجم حاشيته على الروض المربع وتقع في سبع مجلدات ضخمة أتى فيها بالعجب العجاب فهي موجودة وتكررت طباعتها بالورق الصقيل والحرف الجميل وخدمت بتوفيق من الله - تعالى -، ومن مؤلفاته إحكام الأحكام شرح أصول الأحكام رأيت منه ثلاثة أجزاء، ومنها مختصر كتاب اللطائف، وله تعليق على الرحبية وله تعليق على الأجرومية وله حاشية على ثلاثة الأصول، وحاشية على كتاب التوحيد، ومنها مقدمة في أصول

التفسير وحاشية عليها، ومنها الصارم المسلول في الرد على عابد الرسول، ورسالة في تحريم حلق اللحية، وله إمام بالتاريخ حتى أنه اشتغل بالتاريخ وجميع الشيء الكثير لكن قضية وقعت له بسبب التاريخ جعلته ينصرف عن ذلك وذكر بعض الأدباء أنه اطلع على كراريس من تاريخه وأنه وجدها وافية لكنه عدل عن ذلك.

أعماله التي كان يمارسها

أما عن أعماله التي كان يمارسها فقد كان مدرساً في المساجد وفي خدمة الكتب والإشراف على طبعها ويعلق ويفيد وبضاعته العلم ونشره فكان قد اشتغل بطلب العلم منذ صغره وتلقى عن عدة علماء أجلاء فأخذ عن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ وأخذ عن الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري وأخذ عن الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ وأخذ عن الشيخ أحمد بن فارس وأخذ عن الشيخ بعد بن حمد بن عتيق وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية ويكفي المترجم شرفاً أخذه عن هؤلاء الأجلاء ولقد اثنى عليه مشائخه وامتدحوه ورضوا عنه وقد عمل مدة في مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ثم تولى إدارة المكتبة السعودية بالرياض، وأخيراً قبل وفاته بثمان سنين طلب الإحالة على المعاش واعتزل الأعمال وبقي في مزرعته في (المغيدر) قرب العمارة حتى توفي. وكان خائفاً وغير مرتاح للأوضاع التي كانت عليها الأمة من الناحية الدينية والاجتماعية ويخشى من الانجراف لما شاهده في البلاد المجاورة من العقائد المنحرفة وأنواع المعاصي الظاهرة ويخشى من حلول النقمة وأن يصيب قومه ما أصاب الآخرين، وكان إلى جانب تضلعه في العلوم الدينية والعقائد له إمام كبير بالنواحي السياسية

والاجتماعية وله سؤالات وانتقادات ويسأل زائرية عن أخبار الساسة لأنه لا يستمع إلى المذيع، ولقد قام المترجم بجهود جبارة تقصر عنها وثبات المطاولين وبما أنه يعمل بمقتضى هذا المثل ما لا يدرك جلّه لا يترك كله فإنه عمل أسباباً لطبع كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل، وكتاب التخويف من النار، وكتاب أهوال القبور وكلاهما من مؤلفات الحافظ ابن رجب وديوان الشيخ أحمد علي بن مشرف مصحوباً في ميمية شمس الدين ابن القيم ونونية القحطاني ونبد من قصيدة ابن عبد القوي، وجعل لهذه مقدمات وتراجم لأصحابها ورام أن يصدع بالحق لا تأخذه في الله لومه لائم ولكي يعلم أعداء الشريعة في الحياض من يزود عنها وفي سبيل الله ما لقيه من المشاق والأتعاب ومن سبر حالته وصبره وتمسكه بالدين فإنه يبكي لحالته والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وقد قلت في هذه المناسبة:

هو المعلم المشهور من فاق ذكره
 وكان لعمري آية في الفضائل
 صبوراً على كرب الزمان ومره
 وينشر دين الله ليس بغافل
 له قدم طولى لتبين واجب
 وكشف لثام المشكلات النوازل
 بصول بقال الله قال رسوله
 مجداً ولا يخشى ملامة عاذل
 يفرص على مكنونها مخرجاً لها
 بحسن بيان مدركاً للمسائل
 قضى عمره في خدمة المعلم والنه
 وتحقيق برهان ودفيع الأباطل
 فباعا بد الرحمن عشت معزاً
 وفزت من المولى بأعلى المنازل

ألست الذي قد قمت لله جاهد
 بتقرير مسنون وكشف المشاكل
 ليهنك ما ترجو من الله وحده
 وما الله عما تعملون بغافل
 جمعت فتاوى قام فيها محقق
 إمام جهور لا يميل لعاذل
 كفانابها عن مشاكل البحث جهبذ
 وحير نبيل ماهر في الدلائل
 سقاه بتنيار المعافوف ربه
 فسبحان ربي مسدياً للفضائل
 فأصبح مجموعاً للهداية كافياً
 بترتيب تحرير كفى في المسائل
 عليك سلام الله حياً وميتاً

وغفران لسرب العرش يا خير راحل
 وبما أنه لقي مشقة في جمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية من مظانها
 وكان قيداً وأبدها حتى حصل عليها فإنه كابد المشاق أيضاً في استحصال
 فتاوى آل الشيخ وأئمة هذه الدعوة وترتيبها ولم يثن عزمه عدم مساعدة
 الظروف والصعوبات التي كابدتها والأخطار التي واجهها، ولكنه ما وهن
 ولا استكان والله يحب الصابرين، وأسر لي ثقة ما ناله في هذا السبيل وفي
 كلامه الحكمة إياك والسأمة فتقذفك الرجال خلف أعقابها فكان لا يعتربه
 ملل ولا كآبة وقد ساعده على ذلك حسن الخط وسرعة الكتابة وقد جعل
 تراجم لأولئك الأئمة المهديين في جزء من هذه المجموعة، ولما أن أصيب
 بحادث انقلاب السيارة قبل وفاته بعشرين عاماً وأجريت له العملية الأخيرة
 في فرنسا ونجح بعض النجاح تحسنت صحته غير أن المرض لا يزال يعاوده
 فكان يتناول حبوباً مهدئة باستمرار حتى توفاه الله - تعالى - في ٨ شعبان

من هذه السنة، ووافاه أجله المحتوم - رحمه الله - وعفى عنه فصلى عليه في جامع الرياض الكبير وشيعه خلق كثير إلى قبره وحزن عليه المسلمون وترحموا وقد رثاه الشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل بهذه المرثية التي أبانت مواهبه وخصاله الحميدة [هي المذكورة في الترجمة].

خلف المترجم أنجالاً صالحين أكبرهم عبد الله ثم محمد الذي كان عضد والده الأشد ومساعداً له في آخر حياته وقد تخرج من كلية الشريعة وقام بالتدريس فيها مدة، ويتدب لتصحيح بعض كتاب والده، وأحمد أمين مكتبة كلية الشريعة، وسليمان، وسعد، وناصر، وحمد، هذا آخر ترجمة الشيخ ابن قاسم، فالله المستعان



«هذه البئر حفرها جدنا عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وهو جد
الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في بلدة البير قبل نحو (٢٠٠) عام وهي
مطوية بالحجارة المرصوة رصاً عجبياً، ولا تزال قائمة إلى الآن».





«بقايا مجلسه في بلدة البير وقد جعله في طرف المزرعة على الطريق»



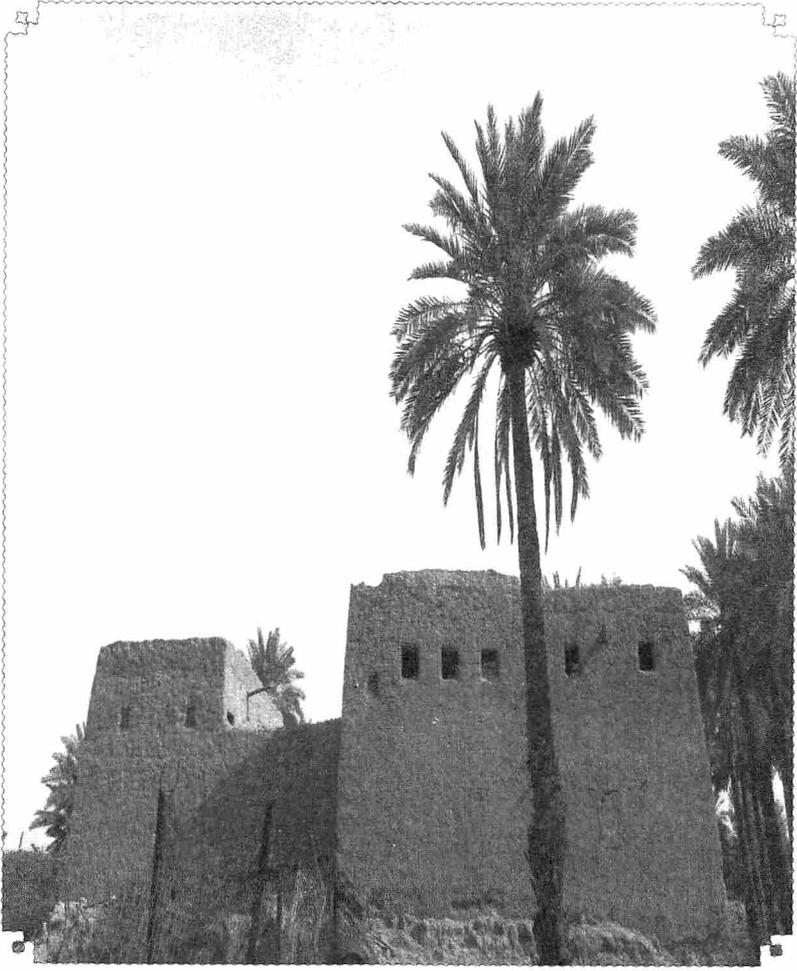
«صورة جانيه لجلسه - رحمه الله - في مزرعته في البير»



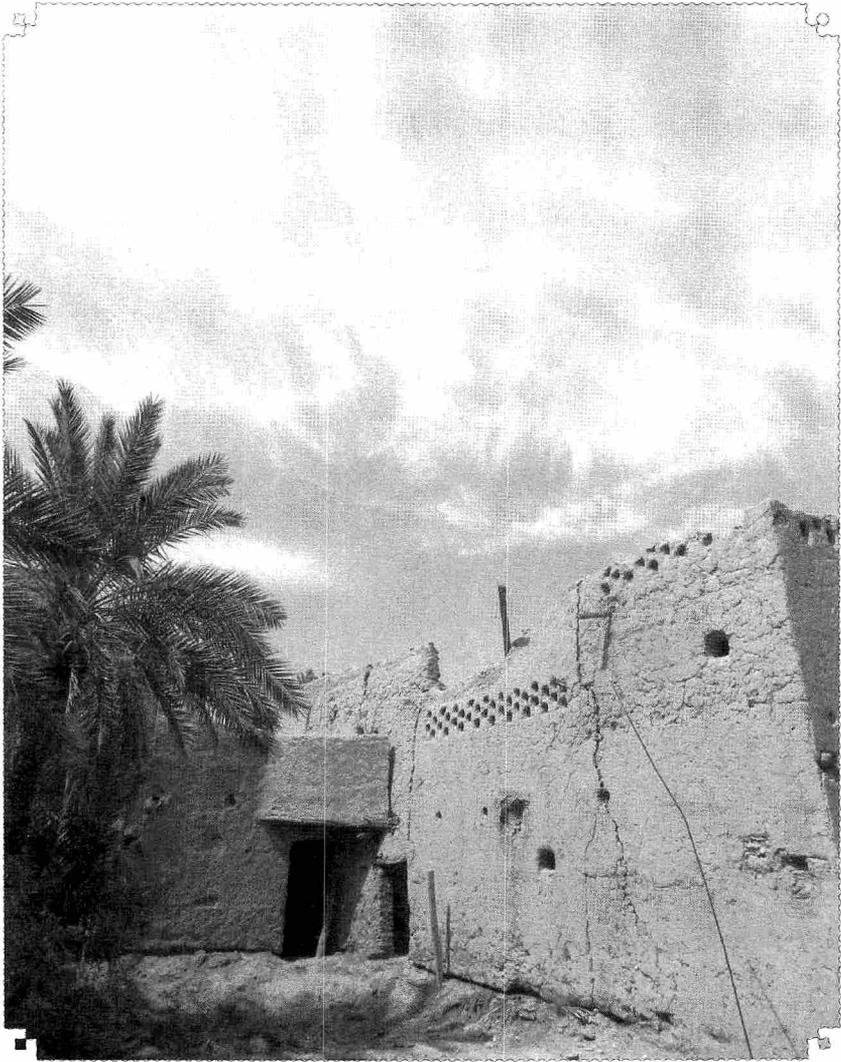
«المسجد) و(المدي) الذي أقامه - رحمه الله - في مززعه في المغيدر وقد
تهدم ونه على قواعده بناء حديثاً - الوالد - رحمهما الله.»



«صورة لمزرعته في البير ويلاحظ طول النخل»



«بعض البيوت المقامة في مزرعة الجد في بلدة البير، وقد تداعت جدرانها
وهجرت منذ نحو ستين سنة»





الفهرس

| رقم الصفحة | |
|------------|---|
| ٥ | قالوا عنه - رحمه الله - |
| ٨ | مقدمة الطبعة الثانية |
| ١٠ | المقدمة |
| ١٤ | مدخل |
| ٢١ | نسبه وولادته ونشأته |
| ٢٤ | شيوخه |
| ٢٨ | مؤلفاته |
| ٣٠ | علومه ومعارفه |
| ٣٥ | كتاب: مجموع الفتاوى |
| ٧٥ | كتاب: الدرر السنية |
| ١٠٧ | كتاب: حاشية الروض المربع |
| ١١٧ | كتاب: متن أصول الأحكام |
| ١٢١ | كتاب: شرح أصول الأحكام |
| ١٢٥ | كتاب: حاشية كتاب التوحيد |
| ١٢٩ | كتاب: حاشية ثلاثة الأصول |
| ١٣٣ | كتاب: حاشية الدررة المضية |
| ١٣٧ | كتاب: السيف المسلول على عابد الرسول |
| ١٣٩ | كتاب: مقدمة أصول التفسير |
| ١٤٥ | كتاب: حاشية مقدمة التفسير |

- ١٤٩ كتاب: حاشية الرحبية
- ١٥٣ كتاب: حاشية الأجرومية
- ١٥٧ كتاب: وظائف رمضان
- ١٦١ كتاب: تحريم حلق اللحية
- ١٦٥ كتاب: مخلص الفواكه العديدة في المسائل المفيدة
- ١٦٧ كتاب: التاريخ
- ١٧٣ كتاب: الحجاب واللباس في الصلاة
- ١٧٥ جولة تاريخية
- ١٧٨ منهجه في البحث والتأليف وما تميزت به مؤلفاته
- ١٧٩ أولاً: التزامه منهج السلف
- ١٨٢ ثانياً: عدم تعصبه لمذهب معين
- ١٨٥ ثالثاً: الدقة في عبارات وألفاظ كتبه
- ١٨٧ رابعاً: إجلاله للعلماء وثناؤه عليهم
- ١٨٨ خامساً: أمانته العلمية في النقل
- ١٩٠ سادساً: طرح القبول لمؤلفاته وكتبه
- ١٩٣ سابعاً: الثبات على المنهج
- ١٩٤ ثامناً: ترتيب مؤلفاته على أبواب الفقه
- ١٩٥ تاسعاً: سلاسة عباراته وتجانسها
- ١٩٦ عاشراً: التواضع والضراعة
- ١٩٨ الحادي عشر: محبته لمؤلفات السلف
- ٢٠٢ الثاني عشر: تعظيم أمر الشريعة
- ٢٠٣ الثالث عشر: رجوعه إلى أمهات الكتب

- ٢٠٥ الرابع عشر: خدمته لدينه.
- ٢٠٦ الخامس عشر: السعة والشمول.
- ٢٠٧ السادس عشر: حرصه على الدليل والبحث عن الراجح
- ٢٠٨ السابع عشر: مقدرته العلمية.
- ٢٠٩ الثامن عشر: الجهد المبذول في إخراج مؤلفاته.
- ٢١١ التاسع عشر: طول الرحلة في جمع المخطوطات.
- ٢١٣ العشرون: مؤلفاته قرئت على علماء أجلاء.
- ٢١٤ الحادي والعشرون: الحاجة إلى كتبه.
- ٢١٥ وضع اسمه على المؤلفات.
- ٢١٧ المشاركة في الدعوة ونفع الناس.
- ٢١٨ نماذج من كتاباته في صحيفة أم القرى.
- ٢٢٠ تسلسل تاريخي لمؤلفاته.
- ٢٢٢ أعماله.
- ٢٢٥ تلامذته.
- ٢٣٢ ورعه.
- ٢٣٦ تواضعه.
- ٢٣٨ صبره وجلده.
- ٢٤٣ محافظته على الوقت.
- ٢٤٥ طرائفه.
- ٢٤٧ خلقه وأخلاقه.
- ٢٥٠ محبته للعلماء ومحبة العلماء له.
- ٢٥٩ الغيرة على المحارم.

| | |
|-----|-----------------------|
| ٢٦١ | النصيحة |
| ٢٩٣ | عبادته |
| ٢٩٦ | سخاؤه وكرمه |
| ٢٩٨ | والدته وزوجته |
| ٣٠٢ | حياته وسكنه |
| ٣٠٤ | البركة في حياته |
| ٣٠٦ | قصة مرضه |
| ٣١٦ | وفاته |
| ٣١٩ | أولاده |
| ٣٢٦ | رثاءه |
| ٣٤٦ | الفهرس |